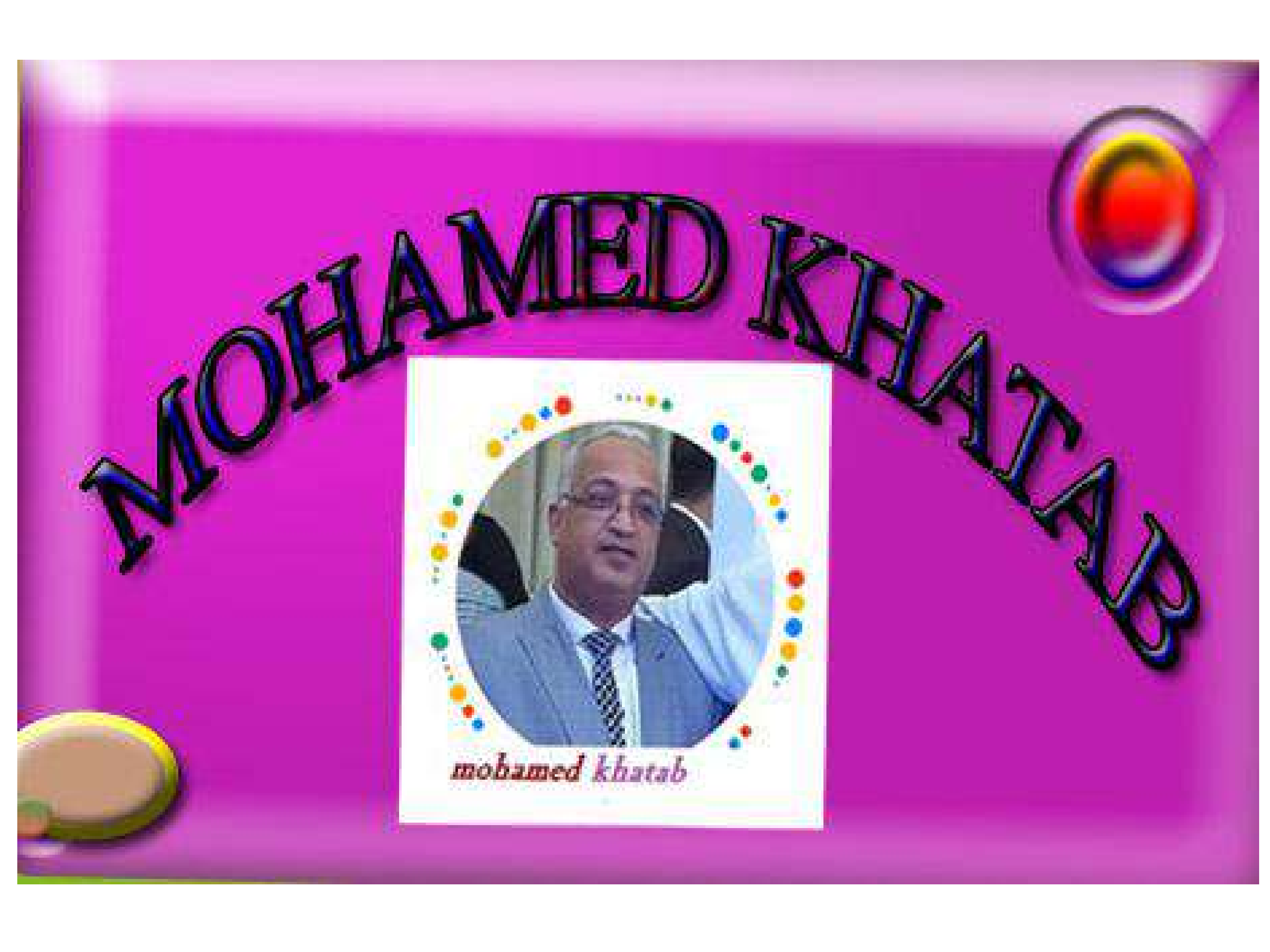
نوربرت فراي

1968

الثوار الشباب "موجة تمرد عالمية"

ترجمة: د. عـلا عـادل

صفصافة
SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAFA.NET


MOHAMED KHATAB
mohamed khatab

نوربرت فراي

1968

الثوار الشباب

موجة تمرد عالمية

ترجمة : د. علا عادل



د. علا عادل عبد الجواد/ أستاذ الأدب الألماني بكلية الألسن جامعة عين شمس، لها العديد من الترجمات من الألمانية وإليها، نشر لها مؤخرا ترجمة كتاب "ثقب الألواح الصلبة" لأكسندر كلوجه عن دار صفصافة، وقد شاركت في لجنة تحكيم جائزة المترجمين من الألمانية إلى العربية التي يمنحها معهد جوته، وأدارت كثير من ورش العمل ودورات المترجمة في المركز القومي للترجمة (مصر) ومعهد جوته والمنتدى الأدبي في برلين والمنتدى الثقافي النمساوي.

....

1968

الطبعة الأولى 2017

رقم الإيـــداع: 2016/25011

الترقيم الدولي: 978-977-821-003-3

جميع الحقوق محفوظة ©
عدا حالات المراجعة والتقديم والبحث والاقتباس العادية، فإنه لا يسمح بإنتاج أو نسخ أو تصوير أو ترجمة أي جزء من هذا الكتاب، بأي شكل أو وسيلة مهما كان نوعها إلا بإذن كتابي.

No part of this book may be reproduced or utilized in any from or by means electronic or mechanical including photocopying recording or by any information storage and retrieval system without prior permission in writing of the publishers.

الناشر
محمد البعلي

إخراج فني
علاء النويهي

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبِّر بالضرورة عن رأي دار صفصافة.

1968 Jugendrevolte und globaler Protest by Norbert Frei

© 2008 Deutscher Taschenbuch Verlag GmbH & Co.KG, Munich/Germany

The publication of this work was initiated and coordinated by the Goethe-Institut and funded by the Foreign Office of Germany.

تم نشر هذا العمل بمبادرة معهد جوته وبتمويل من وزارة الخارجية الألمانية.





دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات
5 ش المسجد الأقصى - من ش المنشية - الجيزة - ج م ع.

1968

الثوار الشباب "موجة تمرد عالمية"



المحتويات

باريس، مايو 1968

"الخيال يحتاج إلى قوة"

"لا ممنوعات"

"الحلم صار واقعًا"

شعارات الطلاب الباريسيين، مايو 1968[1]

ربما كان طلب القداحة هو السبب الحقيقي الذي يُرجع إليه اندلاع الحركة، التي بدت بعد عدة أشهر للكثيرين أشبه بالثورة الفرنسية. غير أن المُدخن الشاب، الذي أربك طلبه البسيط وفد الدولة كله، في نهاية الاحتفالات التي أقيمت على حمام سباحة جامعة نانتير الجديد، يؤكد حتى اليوم أن الأمر في هذه الأمسية الجافة من شهر يناير عام 1968 لم يكن يتعدى مجرد السعي إلى إجراء حوار مع الوزير، ولم يكن التمرد واردًا في الحسبان؛ فقد كان الموقف كله على حد قوله ناتجًا عن تصرف تلقائي من جهته بعدما رأى القداحة في يد الشخص المعني، غير أن رد فعل عميد الكلية الذي تابع الموقف وحاول إبعاده، هو ما أشعل المعركة الكلامية.

الطالب: "لماذا لم تتعرض للمشاكل الجنسية في كتابك الأبيض عن الشباب؟"

الوزير: "إذا كنت ترغب في تهدئة رغبتك الجنسية، فلتقفز في الماء البارد."

لكنه لم يُذكر ما إذا كان هذا الطالب قد أجاب عليه، وقد ذكّره هذا الجواب الفظ "بحجج شباب هتلر"[2] لكن مما لا شك فيه أن صاحب السؤال اعتقد أنه قد كشف الوزير على حقيقته، لا سيما كونه متسلطًا، متعجرفًا، غير قادر تمامًا على التواصل مع أولئك الشباب الذي يُعد هذا المدعو فرانسوا ميسوف مسؤولًا عنهم داخل حكومة جورج بومبيدو.

ومـن المؤكـد كذلـك أن هـذه الواقعـة وافقت هوى الشـاب المزعج اللبـق وأصدقائه، وهـم مجموعة صغـيرة مـن الطـلاب الأناركيـين، فقد تناسـبت مـع الصورة القاتمة لسـلطة الدولـة في أذهانهـم. فيما بعد حـرص الطـلاب عـلى نشر هـذه الحادثـة بين صفـوف زملائهم في نانتـير بسرعة.

هـذه القصـة لم تكـن لتتجـاوز أسـوار حـرم جامعـة السـوربون الجانبـي البائـس غـير مكتمـل البناء منـذ سـنوات، الواقـع في القطـاع الفقـير مـن غـرب فرنسـا، لـو لم تكـن الأوضـاع مشـتعلة هنـاك بالفعل منـذ شـهور، ولـو لم يرتكـب الوزيـر والعميد خطأ نـشر رواية مزعومـة، خاصة وقد صـار الطالب المتمرد ينتظـر دعـوة جنائيـة وقـرار الفصـل مـن الجامعـة. لكـن هـذه القضيـة عُرفـت عالميًـا فيـما بعـد باسـم "قضيـة ميسـوف" وبـزغ بعدهـا نجـم: دانييـل كوهـين بنديت.

وفي ظـل هـذه العقوبـات المحتملـة والمبالـغ فيهـا أصبح من المتوقـع أن يعتمد طالب علـم الاجتماع، البالـغ مـن العمـر اثنـين وعشريـن ربيعًا، على مسـاندة زملائـه الأقل منه تطرفًـا في السياسـة. وقد حدث ذلـك لاسـيما بعدمـا جـرت، بعـد مـرور ثلاثة أسـابيع على هـذه الواقعـة، اشـتباكات بين الطـلاب وقوات الشرطـة بعـد خـروج مظاهـرات أخـرى، وقـد كتبـت صحيفـة "لومونـد" عنها في ذلـك الحـين.[3] بعد ذلك انتـشرت روايـة واقعـة حـمام السـباحة عـلى نطـاق واسـع، خاصـة وقـد أصبـح معروفًـا أن ابـن المهاجرة اليهوديـة ألمانيـة الأصـل سـيُرحّل مـن فرنسـا حـال فصله مـن الجامعـة. أعلنـت نقابة الطـلاب (FNEF) تضامنهـا، وعـلى الرغـم مـن كوهـين بنديـت قـد قـدم في هـذه الأثنـاء اعتـذاره للوزيـر وأن الوزيـر كان يرغـب في نسـيان الأمـر برمتـه، فـإن موجـة الاحتجاجـات أخذت في الانتشـار.

سـاهمت شروط العمـل غـير المنصفـة في الجامعـة العتيقـة التـي يـدرس فيهـا (12000) اثنـا عـشرة ألـف طالـب، والضجـر مـن أحـوال سـكن الطـلاب، الـذي يُـدار مثـل مدرسـة داخليـة، في إضافـة سـببين لماسـبق. وقـد تواصلـت حالـة الضجـر والاسـتياء وذكتهـا أسـباب أخـرى، مثـل: نقـد النظـام الرأسـمالي وتفاقـم وضـع الحـرب الأمريكيـة في فيتنـام. عندمـا أُلْقِـي القبـض عـلى طالـب مـن نانتـير إثـر انـدلاع احتجاجـات ضـد فـرع شركـة أمريـكان إكسـبريس في باريـس، بنـاءً عـلى ماسـبق مـن أسـباب، دعـا مائـة ناشـط تقريبًـا مـن مختلـف المجموعـات اليسـارية في

الجامعة إلى تأسيس "حركة 22 مارس".[4] كان هدف هذا الاتحاد واضحًا، وهو ضرورة التغلب على الخلافات الدوجماتية وتكوين "جبهة معارضة ثورية".

ولهذا الغرض اتفق الجميع على عقد لقاء "يوم المحادثات الشامل"، وهنا يتضح تأثير المجادل المتحمس كوهين بنديت. كان من المخطط لهذا اللقاء أن ينعقد بعدها بأسبوع، وكانت قائمة جدول الأعمال تشمل موضوعات مثل "الجامعة وجامعة الدراسات النقدية"، "معارضة الاستعمار" الرأسمالية عام 1968 وكفاح طبقة العمال".[5] غير أن هذه الخطوة المزمع عقدها في نانتير فشلت بسبب قرار العميد المفاجئ بغلق أبواب الجامعة في الليلة السابقة.

ومع ذلك استمرت الموجة بعد ذلك بعدة أيام، فقد وصل كارل ديتريش فولف رئيس اتحاد الطلاب الاشتراكي الألماني إلى باريس، وامتلأت القاعة الكبرى بكلية الآداب بأكثر من ألف طالب يرغبون في الاستماع إليه. وخلال هذه الجلسة عرفوا أن الموضوعات التي تشغلهم هي نفسها التي رفعها الطلاب الألمان في تظاهراتهم في الشارع منذ ما يزيد عن العام، وهي حرب فيتنام و"الهياكل الاستبدادية" في الجامعات وغيرها. مثلت زيارة فولف في الوقت نفسه مظهرًا رسميًا للصلات القائمة بين النشطاء الألمان والفرنسيين منذ وقت طويل، خاصة مع عودة دانييل كوهين بنديت إلى دائرة الاهتمام الإعلامي، بعد خضوعه في مركز شرطة باريس إلى استجواب استمر لساعات. ظل الرجل يتكلم واستمر في حضور ما ينظمه رفاق الفكر في ألمانيا الغربية من ندوات ومظاهرات واعتصامات وصار كل ذلك مصدر إلهام له.[6]

على يمين الراين في يوم 2 إبريل 1968 تبين للكثيرين كيف تتشابه أطروحات أنشطة الجهات المعارضة وأنماطها، وكيف أنها ترتبط ببعضها بشكل أو بآخر، فالمواطنة البرلينية الشابة التي رفعت في هذا اليوم في قاعة بون شعار "اطردوا كيسنجر النازي"[7]، وبعد مرور نصف عام تقريبًا صفعت المستشار الألماني، وكانت قبل ذلك بوقت قصير سكرتيرة جمعية الشباب الألمانية الفرنسية في باريس وتزوجت هناك من محامٍ قُتِل والده في معسكر أوسشفيتز للاعتقال.[8] وبعد مرور ثماني سنوات، وبعد الهجوم على رودي دوتشكه في برلين، اندلعت موجة من التظاهرات ومعارك الشوارع في أنحاء الجمهورية

الألمانية الاتحادية، وكان ذلك يعد أيضًا مؤشرًا على "حركة 22 مارس".

لم يقتصر إعلان التضامن التلقائي مع "رودي لا روج" على مدينة نانتير، بل اجتازها إلى باريس وغيرها من العواصم الغربية المتعددة، حيث كان الغضب كبيرًا. وفي يوم 19 إبريل انطلق من الحي اللاتيني عدة آلاف من الطلاب يحملون لافتات احتجاجية ضد صحافة شبرينجر، وضد إجراءات الطوارئ التي اتخذها الائتلاف الكبير، وضد كيسنجر. تواترت أنباء دولة الجوار بشكل كبير ولافت للنظر. ويرجع تفسير ذلك التوجه إلى إقامة بعض أعضاء اتحاد الطلاب الألماني الاشتراكي، الذي كان قد بدأ يحظى بالإعجاب، في العاصمة الفرنسية، ودعوتهم إلى ضرورة توحيد المواقف المتباينة للجماعات التي تسير على غرار نماذج اشتراكية أخرى كالنموذجين الكوبي والصيني وغيرهما.[9]

دلت الشواهد على أن المساعدات التنموية الألمانية تركت تأثيرًا مؤكدًا على استعداد الطلاب الفرنسيين للكفاح وتشكيل التنظيمات بشكل أو بآخر. وقد ساهم في ذلك بوضوح قرار غلق كلية نانتير الذي اتخذه العميد في 3 مايو، عندما انتشرت شائعة تفيد بأن هناك جماعة يمينية متطرفة تحمل اسم اوكسيدنت (الغرب) تخطط لهجوم على اللقاء الذي اعتزم كوهين بنديت وزملائه عقده تحت عنوان "أيام ضد الاستعمار"، وكانت هذه هي اللحظة التي اندلعت فيها الشرارة في السوربون.

لم تكتسب الاستجابة إلى إعلان التظاهر ضد حظر دخول الزملاء جامعة نانتير في البداية قدرًا كبيرًا من الحماسة، وهو ما لبث أن تغير مع انتشار الخبر بعد استراحة الغداء، ومع انضمام أعضاء جماعة أوكسيدنت (الغرب) إلى الصفوف، تلا ذلك إعلان رئيس الجامعة السيد روخي غلق قاعات المحاضرات، في سابقة فريدة من نوعها منذ الاحتلال الألماني. تجمع حينها في الفناء الداخلي للسوربون عدة مئات من الطلبة اليساريين، تزود عدد غير قليل منهم بالهراوات وخوذ الدراجات البخارية، غير أن طلاب اليمين المتطرف تخلفوا عنهم معتصمين في الحي اللاتيني، وقد حضرت قوات الشرطة بدلًا منهم. بمجرد أن حاولت وحدات من قوات شرطة الأمن الوطني الفرنسية (CRS) الإمساك بزعماء الشباب المتقهقرين، قُذفت أول حجارة فجُرِح على إثرها شرطي جرحًا بالغًا. واستمرت حرب الشوارع تلك حتى ساعة متأخرة من مساء يوم الجمعة وانتهت باعتقال عدد كبير

مـن المتظاهريـن بصفـة مؤقتـة، وتفـرق سـائر الجمـع باسـتخدام الغـاز المسـيل للدموع، وقد طـال ذلك حتـى المـارة الذين تصـادف وجودهم في المشـهد.

سـاد الهـدوء التـام أنحـاء باريـس خـلال إجـازة نهايـة الأسـبوع، لكـن كانـت هنـاك ترتيبـات داخـل صفـوف النشـطاء، وبحلـول يـوم الاثنـين بـدأ وبسرعـة مـا أطلـق عليـه اسـم "الحركـة"، وفي مسـاء يـوم الاثنـين 6 مايـو 1968 أرسـت الحركـة أول المتاريـس.

بـدأ اليـوم بدعـوة كوهـين بنديـت وسـتة طـلاب غـيره وطالبـة إلى المثـول أمـام مجلـس التأديـب بالجامعـة بدعـوى مسـؤوليتهم عـن احتـلال قاعة محـاضرات. رافـق المتهمين مائتـا زميـل تقريبًا وجيش مـن المصوريـن حتـى مدخـل جامعة السـوربون التي اصطـف في محيطها 1500 شرطي مـن قوات شرطة الأمـن الوطنـي الفرنسـية. ومـع وجـود اثنـين مـن المحاميـن واسـتعداد أربعـة أسـاتذة جامعة مرشـحين للدفـاع عـن هـذه المجموعـة المختلطـة مـن اليسـاريين قـرر مجلس التأديـب غلـق التحقيـق (بعد ذلك بفـترة وجيـزة حفـظ عميـد نانتـير القضيـة برمتها).

لم تكـن قـوات الشرطـة عـلى القـدر نفسـه مـن المرونـة وحاولـت تفريـق المظاهـرة المحظـورة أمـام بوابـات الجامعـة المغلقـة بقرار رسـمي، وكانـت النتيجة زيادة عدد المتعاطفين بشـكل سريع، وتشـكلت مسـيرة احتجاجيـة قوامهـا عـدة آلاف مـن بينهم أسـاتذة في الجامعة، غـير أن الأمور تصاعـدت مع حلول المسـاء، فقـد اسـتخدمت الشرطـة غـاز الكلـور وخراطيـم الميـاه واختبـأ المتظاهـرون خلـف السـيارات المتوقفـة في الشـارع والتـي اشـتعلت النـيران في بعـض منهـا في النهاية.

كانـت هـذه المتاريـس المرسـاة بهـذه الطريقـة، بالنسـبة للماركسـي المخضرم شـتيفان شـبيندر، الذي جـاب كل الأنحـاء المشـتعلة "بالثـورات" في أوروبـا والولايات المتحـدة الأمريكية في تلك الشـهور متضامنًا مـع "الثـوار الشـباب"، بمثابة تذكرة بالفن الحديث.[10] عكس إدراك الشـاعر الإنجليزي مباركة واستحسـان جانـب كبـير مـن الصحافـة ذات المكانـة وقطـاع عريـض مـن الشـعب للمتظاهريـن. وقـد ازداد ذلـك بوضـوح في الأيـام المقبلة.

اتسـعت حركـة المعارضـة فيـما بعـد؛ ففـي باريـس شـارك تلاميـذ المـدارس الثانويـة

في الاعتصام ونظم طلاب الجامعة "مسيرة ضخمة" في مساء يوم 7 مايو متجهة إلى قوس النصر، وبلغ عددهم عشرات الآلاف (في مثل هذه الحوادث تعد في الغالب أعداد أفراد الشرطة مع أعداد المتظاهرين). وتحرك الشباب كذلك في المقاطعات، فقد انطلقت المظاهرات في بوردو ولو مان ومارسيليا، كما تقرر عمل اعتصام داخل الجامعات في ديجون وليون ورين وتولوز، في حين ظل طلاب السوربون ممنوعين من دخول الجامعة، فقد كان فتح أبوابها في مساء يوم 9 مايو إجراءً مؤقتًا.

لم يكن ممكنًا في أيام الربيع تلك التفريق بين الفعل ورد الفعل في باريس وغيرها. فتارة يكون الطلاب هم السبب في اشتعال الأحداث وتارة عناصر الدولة والشرطة، ومرة يكون السبب سلوك مخطط له ومرة يكون حدث وليد اللحظة. من الواضح أن المعارضة لم تعد عملًا نخبويًا مذهبيًا مقتصرًا على جماعات يسارية تتحرك ضد بعضها أكثر من تحركها لصالح بعضها البعض. أخذت المعارضة تنمو معتمدة على ذاتها بشكل متزايد، وبمعنى أدق معتمدة على التضامن مع أولئك الذين يعارضون قوى النظام ويتحملون عواقب ذلك. وبذلك فإن الأمر صار يمس قطاعات أكبر من الشباب الفرنسي وبسرعة كبيرة.

وعلى الرغم من ذلك فإنه من قبيل الخطأ أن نفهم أن الحراك الذي حدث في الأيام والأسابيع المنصرمة هو السبب في أن فرنسا قد شهدت في ليلة 10 ويوم 11 مايو 1968 واحدًا من أشرس الصراعات منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية وأكبر مظاهرات في تاريخها في الثماني وأربعين ساعة التالية. إن ما شهدته العاصمة الفرنسية في شهر مايو لم يكن يخلو في الحقيقة من قدر كبير من الصدفة.

بدأت إقامة المتاريس بمجرد حلول الظلام.[11] وعلى مدار اليوم كله أخذ آلاف الشباب يتحركون من الحي اللاتيني، وحدثت في شارع سانت ميشيل مواجهات صغيرة، لكن لم يكن أحد يعرف حينها على نحو دقيق كيف ستسير الأمور. أخذ آلان جيمر وجاك سوفاجو ودانييل كوهين بنديت يتشاورن حول الطريق الذي يجب أن يسلكوه، وكان يمكن فهم ذلك حرفيًا. في النهاية رضخ "فرسان الثورة الثلاثة" لرغبة الجماعة وهي المكوث حيث هم. سجل اثنان من المراقبين المشاركين من ألمانيا هذه الأجواء الفريدة من نوعها: "في هذه

الأمسية الدافئة من شهر مايو كان لدى الجميع إحساس بأن شيئًا ما سوف يحدث، لكن لم يكن أحد يعرف ماهيته. غير أن الجميع اتفقوا على ضرورة كونه أمرًا جديدًا، يتناسب مع طبيعة الحركة الجماهيرية وإصرارها وقوتها الجديدة."[12]

وبمتابعة ما دوّنه الألمانيان المتعاطفان مع الأحداث، فإن الشئ الجديد في يوم 10 مايو تمثل في قرار الطلاب الاعتصام في المربع المحيط بالسوربون المغلق من قبل قوات الشرطة، وكذلك تمثل في شعار جديد ما لبث أن تحول إلى قصيدة شعر ية خاصة بالثورة، اسمها " الشاطئ يقع تحت الحصى". بينما كان بعضهم يتناقشون حول العنف والعنف المضاد، كان الآخرون ينقلون الحقائق: "دوى فجأة في المساحة المقابلة للمسافة بين حدائق لوكسمبرج ومدخل المترو صوت ضربات سريعة ومتقطعة، ظل هذا الصوت في ذاكرة باريس كلها على مدار ثلاثين يومًا مقبلة، فقد نزع بعض الأفراد القضبان الحديدية المقوسة المحيطة بالأشجار وأخذوا يهوون بها على أحجار الرصيف لينتزعوها من الأرض."

تسارعت الأحداث بداية من هذه اللحظة، حيث أخذت الحجارة تتنقل من يد إلى يد، واكتمل الأمر باستخدام السيارات التي وُضعت بعرض الطريق وآرائك الحديقة وأكشاك الصحف، وبعد مرور ساعتين أُغْلِقت بعض الشوارع تمامًا، وُضعت بعض المتاريس على ارتفاع عدة أمتار بشكل في غاية الروعة، في حين اصطف بعضهم الآخر في شكل متدرج، وكان لكل ذلك دلالة رمزية لا يمكن إغفالها. إن الرموز والاحتكام إلى التاريخ له الآن أهمية كبيرة؛ حيث يُحْتَفل بوعي تاريخي مشوب بالعاطفة تحت اسم "جماعة 10 مايو".

ومما ساهم بشكل قاطع في إعلاء مشاعر البهجة أن اثنين من مذيعي الإذاعة سعوا إلى إيصال صوت الصحوة السياسية الناجمة بشكل مباشر عن فعل المتظاهرين في تلك الليلة لكل الأسماع، فقد حضرت سيارات محطتي أوروبا 1 وراديو لوكسمبرج بعربات البث الخاصة بها. ولذلك بُثت مطالب الطلاب مباشرة عندما كان آلان جيمر، الذي ربط دوره القيادي في الحركة بالأمين العام لنقابة أساتذة الجامعات (SNE-SUP)، يبلغها لكلود شالا مساعد رئيس جامعة السوربون تليفونيًا. وعلى الرغم من ذلك فقد أبدى الأستاذ الجامعي استعداده للتحدث مع الطلاب في التو واللحظة بشأن إعادة فتح الجامعة وانسحاب قوات الشرطة، غير أنه لم يستطع الموافقة على إصدار قرار بالعفو

عن المتظاهرين المدانين والمعتقلين؛ إذ كان يجب عليه الرجوع بداية إلى الوزير المختص.

فشلت محاولة شالا لاحتواء التصعيد بسبب المتشددين من كلا الجانبين؛ فقد أراد بعضهم إصدار العفو فورًا، وهو ما لم يكن ممكنًا من الناحية القانونية، في حين رفض آخرون ذلك تمامًا. وقد سعى عالم الاجتماع آلان تورين بعد منتصف الليل بقليل في محاولة أخيرة للوساطة؛ حيث استقبل رئيس الجامعة جون ماري روش وفدًا من المفاوضين مؤلّف من أساتذة وطلاب، غير أن الجلسة قوطعت باتصال وارد من وزير التربية والتعليم بيريفيت يبلغ رئيس الجامعة فيه أنه علم من الراديو أن دانييل كوهين بنديت موجود من بين أفراد الوفد المفاوض الجالس أمامه، وبمجرد تأكده من هذا الأمر قطع رئيس الجامعة المخدوع المحادثات فورًا.

كانت عقارب الساعة تشير إلى الثانية بعد منتصف الليل حين غادر الوفد ساحة جامعة السوربون. ظل البث الإذاعي مستمرًا، وفي كل مكان يوجد فيه راديو ترانزيستور تواترت الأنباء عن أن ساعة الحسم قد حانت. وهذا ما كان يراه كذلك موريس جريمو رئيس شرطة باريس، فقد كان يتحدث عن "جماعات حرب العصابات" وطالب وزير الداخلية كريستيان فوشيه بإصدار أمر صريح، ففي تمام الساعة الثانية واثني عشر دقيقة بدأت "عملية إزالة المتاريس".

حوت المشاهد التي جرت في الثلاث ساعات ونصف التالية لذلك، في دروب الحي اللاتيني، درجة كبيرة من العنف من كلا الجانبين؛ فقد زحف عشرة آلاف فرد من أفراد الشرطة الفرنسية يرتدون الزي الرسمي مجتمعين من كل أنحاء الدولة، حاملين قنابل غاز ودخان وهراوات في مواجهة عدد كبير من المتظاهرين. كان ثلثا المتظاهرين تقريبًا قد ذهبوا إلى منازلهم، في حين ظل الباقون صانعين سدًا من أجسادهم ومعهم أحجار الأرصفة. سالت الدماء وتطايرت زجاجات المولوتوف واحترقت ستون سيارة تقريبًا وتضرر ضعف هذا العدد. أُعلن رسميًا في اليوم التالي أن عدد المصابين من رجال الشرطة بلغ 251 مصابًا من إجمالي 367، كما أُلقي القبض على 460 متظاهر.

تدلل هذه الخسائر الكبيرة التي طالت كلا الجانبين على العنف الوحشي الذي اندلع بعد ساعات من الانتظار المشوب بالتوتر. لكن ربما كان ذلك نتيجة ليقين الطلاب أن

قضيتهـم تتمتـع بتعاطـف كبـير مـن الشـعب، وفي تأثـر واضـح سـجل مراسـل جريـدة "نوييـه تسـورشر تسـايتونج" السـويسرية معنـى هـذه المسـاندة فيـما أطلق عليـه "ليلة البلـدة"، حين كتب يقـول: "انحاز سـكان شـارع جـو لوسـاك إلى الطـلاب، فقد كانوا يجلبـون للطلاب الماء والبسـكويت والشـيكولاتة ومواد غذائيـة أخـرى، عندمـا كانـت قـوات الشرطـة تهاجمهـم. وكانـوا يلقـون بالمـاء مـن النوافـذ فيـما بعـد للتغلـب عـلى الغـاز المتصاعد ويعطـون الطلاب مناديـل مبللة لحمايـة وجوههم وأنوفهم من استنشـاق الغـاز، وكانـوا يـؤوون الهاربـين والمصابـين في منازلهـم، وهـو مـا كان يعـد حركـة تضامنية غـير معتادة في باريس."[13]

بحلـول صبـاح اليـوم التـالي بعـد معركـة المتاريـس أصبحـت الجمهوريـة الخامسـة في أزمـة كبـيرة، خصوصًـا مـع صمـت رئيـس الجمهوريـة بعد الأخبـار التـي نقلها إليـه كل مـن وزراء العدالـة والداخلية والدفـاع جوكـس وفوشـيه وميسـمر، في السادسـة صباحًـا في مقـره بقـصر الإليزيـه. قـضى شـارل ديجـول مـا تبقـى مـن يـوم السـبت في مشـاورات، شـاركه فيهـا لبعـض الوقـت رئيـس الشرطـة ورئيـس جامعـة السـوربون، وبحلـول المسـاء عـاد جـورج بومبيـدو أخـيرًا مـن رحلتـه إلى أفغانسـتان.

ظهـر في هـذه الليلـة رئيـس الـوزراء عـلى شاشـة التلفـاز، ووعـد الطـلاب بفتح أبـواب السـوربون في صبـاح الاثنـين، وبـأن محكمـة النقـض سـتفصل في التماسـات المتظاهريـن الأربعـة الذيـن ألقـي القبـض عليهـم في الأحـداث السـابقة وصـدر بحقهـم أحـكام بالسـجن مـع الشـغل والنفـاذ، كما أكـد أن كل من ألقـي القبـض عليهـم في الأربـع وعشريـن سـاعة الأخـيرة سـيُطلق صراحهـم يـوم الأحد.

ومـع كل هـذه الالتزامـات مـن جهـة الحكومة فـإن الأوضاع لم تهدأ، بـل على العكس مـن ذلك اعتبُر خطـاب بومبيـدو إقـرارًا لشرعيـة التظاهـرات بشـكل عـام، واعترافًـا بأخلاقيات ليلـة المتاريـس وأهميتها السياسـية بشـكل خـاص. وبالتـالي وجـدت المعارضـة المعـترف بهـا ومؤسسـاتها نفسـها ملزمـة بالتضامن مـع الطـلاب، وهكـذا دعـت كل روابـط النقابـات الكـبرى إلى إضراب عـام يـوم الاثنين المقبـل مدته أربع وعشرون سـاعة.

وكـما رأت جريـدة "نوييـه تسـورشر تسـايتونج" فـإن حكومـة فرنسـا بـدت "متخبطـة" في نهايـة ذلـك الأسـبوع، واختتمـت الجريـدة تقريرهـا بتحليـل عنيـف ودقيـق: "خـلال أسـبوع

واحد تسببت الحركة التي اندلعت شرارتها من حركة كوهين بنديت ومجموعة صغيرة من المؤيدين، وخاصة بعد احتلال الشرطة للسوربون يوم 3 مايو، في حدوث انهيار جليدي حقيقي، وهو ما استقطب النقابات ومعظم فئات الشعب أو نجح في كسب تعاطفهم. كما استشهدت جريدة معروفة بميلها للديجولية، بموقف لودفيج السادس عشر عندما تساءل بعدما وردت إليه أنباء يوم الباستيل عما إذا كان ذلك يعد تمردًا، فأجابوه: لا يا سيدي، هذه ثورة. صحيح أن الوضع في باريس لم يصل اليوم لهذه المرحلة، لكن المسافة الفاصلة بين الحراك الطلابي اليسير والتحول إلى موقف ثوري تضاءلت في الأيام الثمانية الأخيرة بسرعة مرعبة."[14]

ساهمت الأحداث التي وقعت يوم 13 مايو 1968 في الإسراع من وتيرة هذا التصعيد، وربما كان السبب يكمن في أن هذا التاريخ يُرجع الذاكرة إلى أحداث تاريخية، (حيث كانت هذه هي الذكرى العاشرة لانقلاب جيش الجزائر الفرنسي الذي ساهم في أفول نجم الجمهورية الرابعة وصعود شارل ديجول). وعلاوة على ذلك فقد أصبح وضع الحكومة مهدد تهديدًا أكبر بسبب هذا الحيز السياسي الذي أخذ فجأة في الاتساع، وواجه الحكومة في هذا اليوم المشرق من أيام الربيع، فلأول مرة يتحد اليساريون الجدد والقدامى في فعل واحد في الوقت نفسه.

بينما تحركت مسيرة الطلاب، وكان قوامها الأساسي مجموعات من اليسار المتطرف والأناركيين، تحت قيادة جيمر وسوفاجو وكون بنديت، إلى القصر الجمهوري، تحرك الشيوعيون والاشتراكيون، أصحاب الكلمة العليا في النقابات التي تتبنى نهجهم الفكري على الجانب الآخر، ومعهم قادة سياسيون مثل بيير مانديس فرانس وفرانسوا ميتران وجي موليه وفالديك روشاه. اصطفت مئات الآلاف[15] وقوفًا فاختلطت الأعلام السوداء والحمراء. كانت مظاهر هذه الوحدة منقطعة النظير ولم تتكرر بعدها ثانية، وقد تجلت في اللافتة البالغ طولها عشرة أمتار ومكتوب عليها "الطلاب والمعلمون والعمال يد واحدة". حينها أعلن بعض أساتذة الجامعة تضامنهم وكثير من النقابيين تعاطفهم مع الطلاب، الذين أثبتوا في الأيام الماضية شجاعتهم في مواجهة شرطة الأمن الوطني الفرنسية المكروهة من الجميع، أما العمال البسطاء فقد فضلوا الاستمتاع بيوم الاثنين كيوم عطلة بسبب الإضراب.

لم تكـن أهـداف المتظاهريـن ومصالحهـم متطابقـة، حتـى قناعتهـم العامـة بـأن عـشر سـنوات مـن الديجوليـة هـي وقـت أكـثر مـن كافٍ، لم تعـد تكفـي مؤخـرًا. كـما كان هـذا الطريـق الـذي قطعـت الجبهتـان جـزءًا منـه مجتمعتـين مـن القـصر الجمهـوري إلى قـصر دينفـر روشـيه ريـو، مـن الصعوبـة بمـكان.[16] وبعـد وصولهـم إلى هنـاك، ذهب البعـض إلى بيوتهم في شـجاعة، بينما اتجه الآخـرون، وقد بلغ عددهـم ذلـك الحـين عـدة آلاف، إلى السـوربون التـي أعيد فتـح أبوابها بفضـل بومبيـدو، واعتصموا فيها ليـلًا. وبهـذا عـادت الثـورة إلى المـكان الـذي بـدأت منـه قبل عـشرة أيـام، وفي هذا المـكان أخـذت الثورة تحـدد هدفهـا، وهـو جمهوريـة برلمانيـة أكاديمية.[17]

أوضـح يـوم 13 مايـو أن الجامعـة ليسـت الكـون، وأن باريس ليسـت الشـمس التي يـدور حولها كل شـئ. وانتـشرت التظاهـرات الحاشـدة في كل المـدن الكـبرى، وكذلـك الاعتصامـات في كل أنحـاء الدولـة. ابتعـدت فرنسـا عـن وضـع السـكون والهـدوء في الحيـاة اليوميـة كثـيرًا في هـذا اليـوم، لكن كانـت هناك إشـارة عـلى انـدلاع موجـة احتجاجات جماهيرية ضد السياسـة المحافظة والتقاليد، ففـي الأربع وعشرين سـاعة المقبلـة بـدأت الاعتصامـات العشـوائية الأولى وفي غضون أسـبوع تسـببت موجة مـن الاعتصامات داخـل المصانـع في إصابـة قطاعـات اقتصاديـة كبـيرة بالشـلل. وبعـد مـرور عدة أيام شـارك سـبعة ملايين فرنـسي في الاعتصـام، وهـو مـا هـدد المـدن بالفوضى، فقـد تعطل عمـل الهواتـف وخدمات البريـد ونقل القمامـة، وادخـر الفرنسـيون الوقـود، وفي كازينـو صالـون كريـزي هـورس توقفـت راقصـات التعري عن خلع ملابسـهن.

ومـع كل مـا تقـدم وأمكـن اعتبـاره تضامنًـا مثاليًـا مـع الطـلاب، ومـا بـدا كأنـه نقـل هـزلي لأنمـاط أنشـطتهم إلى مجـالات حياتيـة أخـرى وإلى الحيـاة اليوميـة، وتعبـير عـن المصالـح الشـخصية السـليمة تجـاه موقـف مـا تبـدو فيـه كل الاحتـمالات ممكنـة، كل هـذه الأمـور لم يكـن ممكنًـا الوصـول إلى حكم عليهـا سـوى بعـد مـرور عقـود طويلـة. لكنـه ليس مـن الخطأ قـول إنـه كان من النـادر في شـهر مايو في مدينـة باريـس رصـد حالـة انبهـار خالصة بكل الأهـداف، التـي ازدادت ضبابية مع الوقـت، والتي نشرها "المتحمسـون" خـارج الحركـة، بـل عـلى العكـس مـن ذلـك حدثـت محـاولات أكـثر لاسـتغلالها لأغـراض أخرى.

في هـذه اللحظـة الحرجـة فقـط أولى دانييل كوهين بنديـت ظهره لمركز الاضطرابات في فرنسـا متجهًا إلى برلـين الغربيـة، حيـث تجـري الاحتجاجـات عديمة الجـدوى ضد قوانـين الطوارئ وحيـث ينظر الناس هنـاك إلى فرنسـا بابتهـاج، استُقبِلَ "داني" واحتُفِـلَ بـه باعتبـاره "دانتـون الجديـد". وفي هـذه المناسـبة أوضـح "الماركـسي الأنـاركي"[18] المعـارض للحزب الشـيوعي الفرنسي (وهو يعـد معارضًا بالتبعية للاشـتراكية الجـاري تطبيقهـا في ذلـك الوقـت)، لأصدقائـه الألمـان الشـغوفين بالجانـب النظـري، أنـه عـلى عكـس ما يـراه هيربـرت ماركيـوز، يمكن في النظام الرأسـمالي المتأخر حشـد الفئات المهمشـة وكذلك العـمال للقيام بحركـة ثوريـة، وهـذا ما يسـعى رفاقه الفرنسـيون إلى تنفيذه في الوقـت الراهن ليشـمل كل أنحاء البلاد؛ فهـم يجتهـدون لتوعيـة أبطـال المؤسسـات "المحـررة" بـأن الأمـر بالنسـبة لهـم لا بـد أن يتعـدى مجـرد فكـرة المطالبـة بأجـور أعـلى وفترات عمـل أقل، لكن معظـم بوابات المصانـع ظلت بلا ريـب مغلقة أمام اليسـاريين المتحمسـين بنـاء على توجيهـات الحزب الشـيوعي ومسـؤولي النقابات.

ازداد الوضـع غموضًـا في العاصمـة في هـذه الأثنـاء، فقـد كان وزيـر الداخليـة سـفيهًا بالقـدر الـكافي ليسـتصدر قـرارًا بمنـع كوهـين بنديـت مـن دخـول البـلاد، كأنـه ليـس لديـه تـلًا آخـر مـن المشـاكل، وقد تسـبب ذلـك بالطبـع في إثـارة موجـة جديـدة مـن الاحتجاجـات، لكن هـذه المـرة ظهرت نـبرة ذات بعد تاريخـي مـؤلم، فقـد تصاعـد هتـاف "كلنـا يهـود ألمـان" وقـد ردده آلاف الطـلاب في مسـاء يـوم 22 مايـو في الحـي اللاتينـي بعدمـا اكتسـب هـذا الحـي سـمة الخصوصيـة بالنسـبة لهـؤلاء الطـلاب. كان هنـاك أيضًـا شـعار آخـر يوضـح المسـافة الفاصلـة بـين المحتجين والمؤسسـة السياسـية، التـي طالما انتسـب إليها الشـيوعيون والنقابيـون المؤمنـون بالدولـة، وهـو "نحـن غـير مرغـوب في وجودنـا".

لم تكد الثماني وأربعون ساعة تمر على المحاضرة التوعوية التي ألقاها كوهين بنديت في جامعة زارلاند ورافقـه فيهـا كارل ديتريـش فولـف رئيـس اتحـاد الطلاب الاشـتراكي الألماني، حتـى حاول بنديـت مصحوبًا بحوالي ألف طالب عبور حدود جولدن بريم ذات الحراسـة المشـددة للدخول إلى فرنسـا. علق مسـتمعو مدينـة زاربروكـن على واقعـة حظر دخول الأبطال، الذين أصبحوا ذوي صيت دولي مع حملهم للجنسـية الألمانيـة، في صـوت واحـد قائلـين: "الديجوليـة تقود إلى الفاشـية". وعندمـا ظهـر "داني لا روج" بعد هذه

الواقعة في باريس وقد صبغ شعره باللون الأسود وحكى بشكل عام عن الحاجز الأخضر، لم يكن القياس التاريخي بعيدًا عن الأذهان، حيث قال: إنه فعل مثل والده الذي هرب عام 1933 من خطر النازية إلى فرنسا، مع فارق أن الألمان ليسو هم من يطاردونه.[19]

وفي الأيام القليلة التي حاول فيها كوهين بنديت دفع عجلة الثورة في ألمانيا، تصاعدت الأمور في فرنسا، على حد قول مجلة "دير شبيجل": "دوت الأسبوع الماضي، بين أطلانطا والبحر المتوسط، بين جبال الألب وجبال البرانس، أجراس تؤذن بنهاية عهد الديجولية"، هذا ما بررت به المجلة المتعاطفة في يوم 27 مايو ما أوردته على غلافها من رسم للحياة المتوقفة والسيارات المشتعلة مع عنوان "الثورة الفرنسية".[20] وبغض النظر عن الأزمة الكبيرة، سافر الجنرال يوم 13 مايو في واحدة من رحلاته خارج البلاد والتي يحاول فيها إظهار مجد الأمة العظمى بشكل مؤثر. وفي يوم 18 مايو قطع ديجول زيارته إلى رومانيا ومنذ ذلك الحين وهو يحاول التخطيط لشيء ما.

وفي يوم 24 مايو أي بعد مرور يومين على تغلب حكومة بومبيدو على طلب المعارضة بسحب الثقة منها، أدلى رئيس الدولة أخيرًا بكلمة بُثت في الإذاعة والتلفاز، وقد ظل ديجول على موقفه في هذا الشأن الذي صاغه عند عودته من الخارج في عبارة هجومية تنطوي على ازدراء وغير قابلة للترجمة: "La réforme oui, la chienlit non" وهو ما يعني "نعم للإصلاحات، لكن لا للفوضى."[21] لكنه أعلن هذه المرة استعدادًا لإجراء استفتاء من شأنه أن يدعم إصلاحات الجامعات والتنمية الاقتصادية للدولة والمشاركة الاجتماعية. بيد أن كلماته الغامضة الصادمة لم تجد صدى خارج قصر الباستيل حيث يحتشد 25000 متظاهر من بينهم كثير من نقابيي الكنفدرالية العامة الشيوعية للشغل والكنفدرالية الديموقراطية الكاثوليكية اليسارية مرددين كلمة "لا" في غضب و"وداعًا ديجول". حتى إنه في خلال ذلك حاولت قلة مسلحة منهم إشعال النيران في البورصة الباريسية. بعد ما أُحبط هذا الهجوم على قلعة الرأسمالية من قبل قوات الاقتحام من شرطة الأمن الوطني الفرنسي، تراجع مقاتلو الشوارع الشباب إلى الحي اللاتيني، وهناك بدأت معركة متاريس شديدة الوطأة، بل كانت أكثر دموية من المعركة التي سبقتها قبل أربعة عشر يومًا، وفيها لقى الشخص الوحيد مصرعه في شهر مايو في باريس؛ حيث أصيب متظاهر بقنبلة غاز بقوة فلقي مصرعه بعدها بقليل.[22]

لم تكـن هـذه الاضطرابـات المتجـددة هـي السـبب في حدوث طفـرة في الـرأي العام، بل غيـاب رؤية واضحـة تضـع نهايـة لهـذه الفوضى التي اسـتمرت أسـابيع، رؤية تقلل مـن التعاطف مع الطـلاب، الذين كسـبوا ثلثـي الباريسـيين تقريبًـا في صفهـم في منتصف شـهر مايو. وفي هـذه الأثناء وقف نصف الشـعب في مواجهتهـم وعـبر عـن ذلـك بطريقـة أكثر عدوانيـة.[23] لقد دنت سـاعة تدخل قـوات التنظيـم، وفي أي لون وأي شـكل يرغبـون في الظهور.[24]

وتحـت الانطبـاع الـذي تركـه الخطـاب الضعيف الذي ألقـاه الرئيـس، واختـلاف الآراء المتنامي داخل معسـكر الحكومـة، دعـا رئيس الـوزراء ممثلي النقابات وروابط المؤسسـات إلى محادثات في يوم السـبت 25 مايـو، فلـم يعـد الأمـر يتعلق بالطلبـة ولا بما لديهـم من طرح.

تحـدد مـكان المفاوضـات في مقـر وزارة الشـؤون الاجتماعية في ريـو دي جرينل، وبجانـب رب المنزل جـان مارسـيل جنينـي وزيـر الشـؤون الاجتماعيـة، كـما حـضر وكيل الوزارة الشـاب النشـط جاك شـيراك ورئيـس الـوزراء بومبيـدو نفسـه. ظـل الاسـتراتيجيون يبحثـون حتـى صبـاح يـوم الاثنـين عن حل وسـط عرقلتـه في النهايـة خلافـات النقابـات فيـما بينهـا. جرى الاتفـاق في النهاية عـلى رفع الحـد الأدنى القانوني للأجـر بنسـبة 35% ورفـع الأجـور بشـكل عـام بنسـبة 10%، مـع دفـع نسـبة 50% مقدم مـن الأجر عن السـاعات التـي عُوضـت لاحقًـا بـدلًا مـن سـاعات الإضراب، وكذلـك اسْـتُقِرَّ على عـدد 40 سـاعة عمل في الأسـبوع. كان معنـى ذلـك بـلا شـك، وهـو مـا لبث أن اتضح فيـما بعـد، أن الاتفاق قد عقـد دون حضور القاعـدة الثوريـة، فقـد رفـض الراديكاليـون الشـباب لدى شركـة رينو في بيانكـور، وهي واحـدة من قلاع الكنفدراليـة العامـة للعمـل الكبرى، وكذلـك عـمال شركـة سـيتروين وسـودافيان، التـي شـهدت باكـورة الاعتصامـات الجماهيريـة، هـذه المقترحات رفضًا شـديدًا.

وهكـذا أخـذ يتضح باسـتمرار أن المطالب، حتى داخل صفوف العـمال، لم تعد ترتكز على الإصلاحات الاقتصاديـة فحسـب، فقـد تصاعـدت للمطالبـة "بحكومـة شـعبية"، وبالطبـع المطالبـة بتنحـي ديجـول. وظهـرت عـلى السـطح فجـأة المقارنـة بين الوضـع الراهن وما جرى عـام 1936، حيث رأى عـدد غير قليل أن فرنسـا تتجـه نحـو تكويـن جبهـة شـعبية، وكان بعضهـم مفعـمًا بالأمـل في حـين اعترى بعضهـم الآخر الخـوف، كـما كان الخوف مـن الانقلاب العسـكري قائمًا.

وصلت الأزمة إلى ذروتها مع فشل بومبيدو، وبدا في اليومين أو الثلاثة أيام التالية أن "كل الاحتمالات" أصبحت ممكنة. فعندما انتشرت مساء يوم 29 مايو شائعات عن استقلال ديجول لطائرة هيليكوبتر وهروبه لهدف غير معلوم، وبالتالي لم يمكن تعقبه، وربما أصيب أو لقي حتفه، ولم يكن احتمال الرغبة في التنفيس عن النفس بعيدًا عن الأذهان.

بيد أنه لم يكن واضحًا في الواقع تمامًا الداعي لتوقف الرحلة التي قام بها الرئيس في ذلك اليوم في سرية شديدة في مدينة بادن - بادن لفترة قصيرة. كان احتمال أنه ربما توقف للقاء صديقه المقاتل القديم جاك ماسو القائد العام للجيش الفرنسي الخامس ليأتمنه على شيء ما، ليس كبيرًا. لكن التخمين القائل بأن الرجل الاستراتيجي اتجه يمين الراين تحديدًا ليبدأ في جمع قواته، بدا غير واقعي بالمرة. وبهذا يظل الاحتمال الأقرب إلى التصديق أن أزمة الدولة هذه كانت تعد بمثابة أزمة عصبية ربما ارتبطت برغبة رجل في الثامنة والسبعين من عمره أن يترك عاصمة التمرد خلفه لينعم بالهدوء في حياة غائبة عن الأبصار في مكان الاستجمام الذي اختاره، حتى لو لم يستمر ذلك إلا لساعات معدودة.[25]

عاد ديجول في المساء إلى مقره في كولومبيه لي دلوجليز Colombey-les-Deux-Églises (نسبة إلى كلمة كنيسة)، والذي سرعان ما أطلق عليه الساخرون كولومبيه لي دواكسيل Colombey-les-deux-Exils (نسبة إلى كلمة منفى)، وتوجه الجنرال في اليوم التالي إلى الجمهور بخطاب لم يستغرق أكثر من خمس دقائق، نقلته كل محطات الإذاعة في الدولة، وبصوت ثابت لم يعلن تنحيه ولا إقالة رئيس وزرائه بل أعلن فقط حل المجلس الوطني، ونيته في إجراء انتخابات جديدة، وفي حالة عدم توقف الاعتصامات فسوف يلجأ طبقًا للدستور إلى قانون الطوارئ. أما الاستفتاء الذي كان قد أعلن عنه قبل أسبوع فلم يأت على ذكره مطلقًا، ثم أنهى خطابه كالعادة بقوله: "تحيا الجمهورية. تحيا فرنسا!"

صار الوضع الآن كأن نصف سكان باريس كان ينتظر إعلان المحارب القديم نيته في الحرب. لم تكد كلمة الرئيس تنتهي حتى انطلقت مئات الآلاف في اتجاه شارع الشانزليزيه. أما الأغلبية الصامتة فقد خرجت أخيرًا عن صمتها، وذلك مع محاولات حزب

ديجـول إيقـاظ مؤيديـه منـذ أيـام. ولم يكـن مـا صرحـت بـه الأغلبيـة الصامتـة لـه أي نـبرة تعاطـف مع أولئـك الذيـن اعتُـبِروا المتسـببين في كل شرور الأسـابيع الأربعـة الماضية، حيـث رفعوا شـعارات من قبيل: "فليذهـب ميتـيران إلى السـجن" (فقـد فكر زعيم الاشـتراكيين يـوم 28 مايو ببرود شـديد في تنحي ديجول أو حكومتـه أو كلاهـما)، و"فليرحـل كوهـين بنديت إلى داخاو"، و"فرنسـا للفرنسـيين". اشـتعلت الأوضاع بشـكل كبـير في هـذا المسـاء وتصاعـدت نبرة الإقصـاء، فقد أخـذت فرنسـا البرجوازية تسـتحضر قوتها.

وبهـذا انتهـى شـهر مايـو في مدينة باريـس في اليوم قبل الأخير من الشـهر. وقد جعـل إصرار ديجول، في اللحظـة التـي بـدأت فيهـا أسـطورته في التراجـع، كل خطط اليسـاريين المتفرقين تذهـب أدراج الرياح. وهـذا مـا دللـت عليـه قـدرة الجـنرال عـلى اسـترجاع الثقـة الجماهيريـة مـرة أخـرى عـن طريـق التذكير بـدوره باعتبـاره منقـذًا لفرنسـا في زمـن المقاومـة، وهـو مـا يعنـي أن الآمـال قصـيرة الأجـل المعلقـة على التجربـة الاشـتراكية تحـت قيـادة بيـير مانديـس فرانس، والتـي لم تلق قبـولًا بطبيعة الحال لـدى مؤيدي النظـام الديموقراطـي السـوفييتي، مثـل الأرثوذوكـس داخل الحـزب الفرنسي الاشـتراكي PCF.

لقـد نجـح ديجـول في إيقـاف الحركـة. وكانـت هـذه حقيقـة واقعـة يراهـا اسـتراتيجيو المعارضـة الفاشـلون وحكـماء الـرأي العـام بعكـس الطـلاب الذيـن رفضـوا الاعـتراف بذلـك.

مـا تبقـى مـن أحـداث سـيجري سرده سريعًـا. بعـد مـرور أعيـاد الفصـح قلّـت الاعتصامات والإضرابـات داخـل المصانـع بشـكل ملمـوس، وفي الأماكـن التـي اسـتمرت داخلهـا الاعتصامـات مثـل شركـة رينـو في فلنـز أخلـت قـوات الشرطـة الفرنسـية السـاحات مـن المعتصمـين. وبعـد مرور أسـبوعين أوقفـت قـوات تنفيـذ القانـون المسرح الثـوري في مـسرح جـان لـوي بـارو أودوي، وقـد "تحـرر" في منتصـف مايـو، وبلغـت أنبـاء كواليـس التعذيـب عنـان السـماء. وبعـد مـرور يومـين أي يـوم 16 يونيـو غـادر آخـر 150 معتصـم السـوربون، بعدمـا أمنـت لهـم الشرطـة ممـرًا للخـروج، وهـذا مـا يـسر لهـم في واقـع الأمـر عـدم الاضطـرار إلى البقـاء تحـت ظـروف صحيـة كارثيـة. صحيـح أن هنـاك معـارك شـوارع انطلقـت مـن جديـد أمـام سـاحة الجامعـة، لكنهـا كانـت معـارك خطـوط خلفيـة قامـت بهـا أقليـة تدربـت في هـذه الأثنـاء عـلى اسـتخدام العنـف. كما عـادت الحركـة الأناركيـة المتنوعـة وتفككت إلى فئـات متعاديـة نظريًـا، والتـي كانـت قـد تكونـت منهـا مجموعـة اسـتراتيجيي 22 مـارس لعـدة

أسابيع. ولم يكن رحيل دانييل كوهين بنديت إلى فرانكفورت مجرد مصادفة.[26]

أُجريـت في يونيـو 1968 الانتخابـات البرلمانيـة التـي دعـا إليها ديجول، والتي اسـتُثني منهـا عدد كبير مـن التلاميـذ والطـلاب المشـاركين في الحركـة الثوريـة بسـبب اشـتراط بلـوغ الناخـب سـن 21 سـنة. وفي الجولـة الانتخابيـة الثانيـة حصـل الديجوليون (حـزب الدفاع عن الجمهورية UDR) ومرشـحو جيسـكار المسـتقلون عـلى أغلبيـة سـاحقة بواقـع 354 مقعـد من إجـمالي 487 مقعـد في المجلس الوطنـي، في حين انقسـم اليسـار إلى قسـمين، حيـث مثـل حـزب ميـتران الاشـتراكي 57 عضـو فحسـب وحصـل الشـيوعيون عـلى 34 مقعـد.[27] وبهـذا أصبـح في إمـكان رئيـس الـوزراء المنافس منـذ فترة طويلـة تغيير رئيـس الوزراء بعـد هـذا الانتصـار دون التعـرض لخطـر فقدان مـا لديه من تأييد داخل معسـكره، وهكـذا حل موريس كـوو دو موريـل محـل بومبيدو.

لكـن فـترة حكـم ديجـول كانـت سـتنقضي على كل حال بعد تسـعة أشـهر، وبهـذا تُغلب عـلى الأزمة السياسـية للجمهوريـة الخامسـة، ولم يبق الآن سـوى مسـاعي التحديث الاقتصاديـة والمجتمعية المزمعة، والتـي فضـل الديجوليـون المخلصـون أن تكـون في أيـادٍ شـابة. وفي هـذا الإطـار صوتـت الأغلبيـة بنسـبة 53% ب "لا" عندمـا دعـا الرئيـس إلى الاسـتفتاء وربـط بـين الإصـلاح الإقليمـي وقضيـة الثقـة، وفي يونيـو 1969 اختـار الفرنسـيون جـورج بومبيـدو ليكون خلفًـا للجنرال.

بعـد مـرور عـام غـدت أحداث مايـو في باريس مجـرد ذكرى بعيـدة، فكما بـدأت الثورة المتأخـرة فجأة تـلاشى أثرهـا فجـأة. وعـلى الرغـم مـن أن احتجاجات الطـلاب قوبلت في فرنسـا في البداية بتفهـم يفوق أي مـكان آخـر، وعـلى الرغـم مـن نجـاح مـد جسـور العلاقـات مـع عـمال المصانـع الشـباب في بعـض الأماكن وبعـض المراحـل، فإنـه لم يسـفر الأمـر في النهايـة إطلاقًـا عـن تدهـور الأوضاع. لقد فشـلت الحركـة مع كل تصوراتهـا السياسـية. لكـن هـل ولـت الحركـة دون أي آثـار مجتمعيـة؟ مـاذا تبقـى في الواقـع مـن 1968؟ ومـاذا كان نـوع هـذا "العـام المميـز" الـذي ظل محفـورًا حتى اليـوم في الذاكرة الجمعية بشـكل عام وليس الفرنسـيين فقط؟

تتطلـب إجابـات هـذه الأسـئلة تصويـرًا للأحـداث وتحليـلًا وتأمـلًا ومقارنـة، فموجـة "68" انتـشرت (تقريبًـا) في كل مـكان.[28]

هوامش

1 - باريس، مايو 1968

نقلًا عن:

Rohan, Paris, S. 66, 86, 74 ("Phantasie an die Macht." "Es ist verboten zu verbieten." "Der Traum ist die Wirklichkeit")

2 - هكـذا كانـت الصياغـة في مجلـة "ديـر شـبيجل" (4.3. 1968، صفحـة 117) ونُقِـل الحـوار بصياغـات مختلفـة لـدى كل من

Claasen/Peters, Rebellion, S. 39; Rauch/Schirmbeck, Barrikaden, S. 26 f.; Hamon/Rotman, Génération, S. 400 f.; Touraine, Mouvement, S. 117 f.

أمـا Gilcher-Holtey, Phantasie, S. 127 فقـد صـور هـذا الحـوار موضـع الخـلاف مـن وجهـة نظـر شـخص ثالـث، ولم يـرد ذكـره لـدى

Kraushaar, 1968, S. 14, und ders., Frankfurter Schule, Bd. 1, S. 290,

3 - انظـر Gilcher-Holtey, Phantasie مـن صفحـة 115 حتـى 138 للاطلاع عـلى تفاصيل هذه النقطة وما يليها.

4 - للمزيد من الصور الشيقة والوثائق انظر Duteuil, Nanterre من صفحة 145 حتى 190.

5 - انظر Kraushaar, Frankfurter Schule, Bd. 1, S. 300 ff.

6 - للمزيـد مـن المعلومـات حـول دور كوهـين بنديـت "قائـدًا" انظـر Touraine, Mouvement مـن صفحـة 114 حتـى 117.

7 - عندمـا أتى كيسـنجر في خطابـه عـلى ذكر "صداقـة وشراكة غرب أوروبا مع الولايـات المتحدة" وطالب بالسـعي إلى التهدئـة، سـجل البروتوكـول حـدوث " هتافات من صفوف الـزوار واضطراب وقـرع الرئيس للجـرس" لكـن لم يُذكـر نـص الهتافـات؛ مفاوضـات البرلمـان الألماني، الـدورة التشريعيـة الخامسـة، تقارير مختزلـة، 2.4.1968، صفحة 8610.

8 - بسبب مقال نُشر في برنامج كومبات عن عضوية كيسنجر في الحزب النازي، أُقِيل كلارسفيلد، انظر

.Kraushaar, 1968, S. 94, 282 ff

9 - انظر Rauch/Schirmbeck, Barrikaden, S. 20 ff.

10 - انظر Spender, Rebellen, S. 50 f.

11 - يمكن الاطلاع على مزيد من التفاصيل

.Gilcher-Holtey, Phantasie, S. 232–258

12 - Rauch/Schirmbeck, Barrikaden, S. 73; dort S. 74 f. وكذلك الاستشهادات التالية.

13 - Neue Zürcher Zeitung, 13.5.1968, S. 1.

14 - نفس المرجع السابق، صفحة 2، يمكن رؤية العلامات البارزة في الأصل.

15 - تتبايـن البيانـات في هـذه الحالـة بشـكل كبـير: بينـما قـدرت الشرطـة عـدد المتظاهريـن بـين ألفـين وثلاثـة آلاف (انظـر جريـدة زوددويتشـه تسـايتونج، عـدد 14-5-1968، صفحـة

1، أو جريـدة نويـه تسـوريشر تسـايتونج، عـدد 15-5-1968، صفحـة 2)، كان المنظمـون يقـدرون عـدد المشـاركين بمليـون متظاهـر، وقـد نقلت وسـائل الإعلام في الغالب الأعـداد الأعلى مثل مجلة دير شـبيجل عـدد 20-5-1968، صفحـة 102 وقـد ذكـرت أن الأعـداد وصلـت إلى 800 ألف.

16 - انظر Gilcher-Holtey, Phantasie, S. 264–267.

17 - انظر Claasen/Peters, Rebellion,S. 65–73.

18 - هـذا ماعـرف بـه كوهـين بنديت نفسـه في حوار كاشـف مع مجلة دير شـبيجل، عـدد 27-5-1968، صفحة 111.

19 - انظر Kraushaar, Frankfurter Schule, Bd. 1, S. 331 f. bzw. 338.

أمـا عـن الملابسـات الدقيقـة للعـودة فقـد سـكت عنهـا كوهين بنديـت بعد ذلـك، حيث قال على سـبيل المثـال "لا داعـي للاسـتفاضة في ذلـك، لقـد قضيت الجزء الأكبر مـن رحلتي في السـيارة." كما ذكر Cohn-Bendit, Basar, S. 49. Fraser, 1968, S. 14 إن بنديـت عـاد إلى فرنسـا في حقيبـة سـيارة جـاك لاكان الجاجوار.

20 - مجلة دير شبيجل، عدد 27-5-1968، صفحة 104.

21 - تراوحـت تأويـلات كلمـة "chienlit" بـين العبث والكرنفال وصولا إلى المراسـم السـخيفة و"الهراء"، انظر:

vgl. Claasen/Peters, Rebellion, S. 80 f.; Der Spiegel, 27.5.1968, S. 110.

22 - انظر Marwick, Sixties, S. 617; Kraushaar, 1968, S. 134–139.

وللمزيـد عـن أحـداث العنـف في هـذه الليلـة وهجـمات الشرطـة الفرنسـية انظـر مجلـة ديـر شـبيجل عـدد 17-6-1968، صفحـان مـن 81 – 86. وكـما صرح Reader, May, S. 18, Fn. 36 أسـفرت الاضطرابـات في فرنسـا عـن 19 قتيـل منهـم سـتة في شـهر مايـو 1968. كـما

بلغ عدد المصابين لدى كل الأطراف 1800 مصاب تقريبًا، أكثر من نصفهم في باريس.

23 - انظر Claasen/Peters, Rebellion, S. 104.

24 - انظر

Reader, May, S. 14–19; Brown, Protest, S. 20 ff. Gilcher-Holtey, Phantasie, S. 328–338.

25 - لمزيد من المعلومات عن التكهنات المتعددة حول إقامة ديجول في مدينة بادن - بادن وما كُتب عن ذلك في المذكرات، انظر

Gilcher-Holtey, Phantasie, S. 394–404.

26 - للحصول على تصوير للآثار المترتبة على أحداث هذه الأيام يمكن الرجوع إلى تصريحات كوهين بنديت صفحة 47 – 56، وعن هروبه إلى ألمانيا الغربية، نفس المرجع صفحة 51.

27 - بيانات الفترة التشريعية الرابعة (يوليو 1968) تبعًا لما ورد في: Pierre Avril: Les Français et leur Parlement. Paris 1972, S. 78.

28 - أحصى جورج كاتسيافيكاس، واحد من نشطاء اليسار الأمريكي الجديد، الحركات الطلابية في عام 1968 في 56 دولة في كل أنحاء العالم منهم 22 دولة أوروبية، انظر: Katsiaficas, Imagination, S. 44 f.

الفصل الأول

في البدء كانت أمريكا

"هناك جيل كامل يقدم طرحًا جديدًا."

سكوت ماكنزي، "سان فرانسيسكو"

(1967)[1]

من يبحث عن جذور حركة "68" عليه حتمًا أن يعود بذاكرته إلى وقت ذروة الحرب الباردة، حيث الصراع الشرقي الغربي الذي استمر طوال عقدين من زمن ما بعد الحرب، وتكوين المعسكرات، ومتلازمة بناء المواجهة الأيديولوجية والعسكرية بعد 1945، فكل هذه الأحداث كانت بمثابة مقدمات تاريخية لما أُطلق عليه "عقد التمرد"، ولم يكن الوضع في الولايات المتحدة الأمريكية يختلف كثيرًا عن غرب أوروبا وفي كل مكان آخر حدثت فيه احتجاجات سياسية أو كانت محتملة الحدوث. وهكذا شكَّلَ سباق التسلح النووي الذي بدأ في الخمسينيات، خاصة في بريطانيا وكذلك في ألمانيا، نقطةً بارزةً مبكرةً للنقد من قبل اليساريين. أما في فرنسا فقد لعبت الحركة المناهضة لحرب الجزائر دورًا مماثلًا.

وعلى الرغم من ذلك فإنه لم يكن من الصعب التعرف على أهم رواد وقدوات وبدايات الحركة الثورية التي غدت عالمية داخل الولايات المتحدة الأمريكية. فقد نشأ هناك، في معقل الرأسمالية الحديثة، نمط متطرف لنقد النظام، لا يستند في توجهه إلى التحيز لصالح الشيوعية الكائنة بالفعل، لكنه سلك في بداياته الأولى مسارًا ذا تأثير بالغ ينطلق من الدفاع عن حقوق المواطنين، والمشاركة السياسية الشاملة، وتحقيق حلم المدينة الفاضلة بشكل ملموس في المجتمع الجديد.

جرين سبورو

انطلاق حركة المطالبة بحقوق المواطنة:

على عكس الدول الأوروبية الكائنة على جانبي الستار الحديدي، والتي تأثرت بخبرات إعادة البناء الاقتصادي والسياسي ومتطلباتها، وجدت الولايات المتحدة نفسها في نهاية الخمسينيات تحت ضغط داخلي في اتجاه التغيير. كان السبب الجوهري وراء ذلك يكمن في مشكلة التمييز ضد السود، ولم تكن هذه المشكلة قد حُلّت بعد في أي مكان داخل البلاد، وكذلك التفرقة العنصرية المتفشية بشكل كبير في الولايات الجنوبية. كلما ازدهر اقتصاد ما بعد الحرب ازدهارًا منقطع النظير، وهو ما أطلق عليه جون كينيث جالبريث "مجتمع الرفاهية" للطبقة الوسطى من البيض (هذه التسمية بالطبع محل نقد)، تلك التسمية العشوائية التي توحي ظاهريًا بتسوية كل الخلافات فيما يخص رفاهية الشعب واستهلاكه، أخذت نتائج قرن كامل من قمع الأقلية السوداء تتضح أكثر، خاصة في الأحياء الفقيرة في المدن الشمالية والغربية، ربما بشكل يفوق المدن الجنوبية التي كانت معروفة من قبل بالزراعة والعنصرية. لم يقتصر الأمر على أن أغنى دولة على وجه الأرض لديها مشكلة كبيرة لا تقوى على حلها، بل إن أكثر دول العالم حرية تعيش داخل كذبة مجتمعية غير معلنة.

لم يكن من الصعب في هذه الأثناء، مع قليل من الخيال، كشف هذه الكذبة. وإذا اعتبرنا أن مشهد حمام السباحة في نانتير كان بمثابة رمز لشرارة انطلاق حركة "68" في فرنسا، فإن هذا يسري بدوره على ما قام به أربعة طلاب من جامعة نورث كارولينا الزراعية والتقنية قبل ذلك بثمانية أعوام، تحديدًا في الأول من فبراير عام 1960، في متجر وول وورث بمدينة جرين سبورو، والذي تكفل بإثارة الأوضاع حينها. لم يكن باعث الاحتجاجات هو طلب قداحة قوبل بالرفض، بل فنجان قهوة.

لقد تحول الموقف في مساء يوم الاثنين في منطقة الجنوب المعزولة إلى قضية سياسية، عندما رفض الشباب السود المنبوذون مغادرة طاولة غداء محجوزة لرجل أبيض، بل ظلوا جالسين حتى موعد غلق المطعم وعاودوا الذهاب إلى نفس المكان في الأيام التالية في أعداد

أكبر. انضم بعض الشباب البيض للاعتصام الهادئ بعد مرور 48 ساعة، ومع حلول نهاية الأسبوع نشرت الجريدة المحلية الخبر، وفي النهاية تدخل المحافظ بنفسه، وتطور الأمر حتى وصل إلى مرحلة لم يكن ممكنًا بعدها إيقاف مجرى الأحداث، وسُميت هذه الحركة فيما بعد حركة الاعتصام Sit-in-Movement. بدأ الأسبوع الجديد بتحركات مشابهة في مدن مجاورة مثل درم وسالم وشارلوت، لتنطلق بسرعة كبيرة متجاوزة كارولينا الشمالية. ومع نهاية عام 1960 حذا ما يفوق سبعين ألف مواطن في كارولينا الجنوبية وفيرجينيا وكثير من الولايات الأخرى حذو الطلاب الأربعة في جرين سبورو.[2]

نجح الأمر في الحقيقة في بعض الحالات في الحد من تصرفات أصحاب المطاعم والمتاجر، بل ومناطق كاملة تنتشر فيها الممارسات العنصرية، وساهم ذلك في منع الشعارات المحتقرة للإنسانية ومنها ("نحن لا نخدم المكسيكيين والزنوج والكلاب"). لكن المتظاهرين كان يعنيهم ما هو أكثر من مجرد دخول بعض النوادي الرياضية أو استخدام دورات المياه العامة. لقد كانوا يحاولون إيقاظ أمريكا البيضاء، ونشر تصور عن حجم القمع العنصري المستشري، الذي أُقِرَّ قانونًا علاوة على ذلك في قوانين جيم كرو[3] الجنوبية باعتبارها نظامًا مجحفًا اقتصاديًا وسياسيًا وشخصيًا للسود.

تولت الجبهات المناهضة، منذ نصف قرن، مسؤولية روابط وجماعات أسستها مجموعة من دعاة الإصلاح البيض والأكاديميين السود مثل الرابطة الوطنية لدعم الملونين (NAACP) والرابطة المدنية (UL)، والمنظمة السلمية للمساواة العرقية (CORE) في أثناء الحرب العالمية الثانية، وقد تكونت في الشمال، ونظموا عام 1943 أول اعتصام لهم في مطعم في شيكاغو على غرار الاعتصام الأول.[4] وفي عام 1960 تولت ناصية الأمور مجموعة من الشباب من النخبة المتعلمة المحدودة من السود، وقد جمعتهم فكرة الاعتصام تحت مظلة جماعة الطلاب التنظيمية السلمية (SNCC).[5] أحدثت هذه الحركة في مجرى الأحداث تأثيرًا لا يقل عن تأثير المنظمة الجنوبية المسيحية للقيادة تحت رئاسة مارتن لوثر كينج الابن (SCLC)، والتي لعبت منذ عام 1957 دورها باعتيارها منظمة راعية للجماعات الكنسية ذات التوجه السياسي وملهِمة للاتحاد الطلابي الجديد.

ازداد معدل حدوث الاحتجاجات منذ حادثة جرين سبورو وتزايد انتشارها الإقليمي،

وذلك مع استمرار سريان مبدأ الفعل السلمي المباشر، كما طورته منظمات المساعدة الذاتية بناءً على خبرات الأربعينيات والخمسينيات. ربحت الحركة التي شهدت تطورًا على يد كينج، عالم اللاهوت والقس الحاصل على درجة الدكتوراه، ممثلًا لها يستدعي إلى الأذهان صورة غاندي، ولم يكتف بتفسير وتبرير متطلبات الحركة السياسية من الناحية اللاهوتية فحسب، لكنه جسدها بدقة متناهية بما لديه من كاريزما كبيرة وثقل متزايد في وسائل الإعلام.

ترسخ في نفس الوقت لدى الأقلية السوداء وخاصة لدى النشطاء الشباب الذين يتصدرون المشهد، الوعي بأن الأحكام القضائية المختلَف عليها في العقد السابق، والتي رُصدت من واقع الحياة في الولايات الجنوبية لم تتغير سوى في حالات قليلة. وهكذا اصطدم قرار المحكمة العليا للولايات المتحدة الأمريكية، والتي قضت بعدم قانونية حكم الفصل العنصري في المدارس عام 1954 (في قضية براون ضد وزارة التربية والتعليم)، بمقاومة شديدة قامت بها الأغلبية البيضاء وأمدت منظمات كو كلوكس كلان العنصرية، التي كانت قد أصبحت هامشية، بمصدر جديد لممارسة نشاطهم. في ظل هذه الظروف كان يمكن اعتبار ما حدث بعد ذلك نجاحًا، حين وجد الرئيس آيزنهاور نفسه في سبتمبر 1957 مضطرًا إلى تحريك الوحدة 101 إيربون إلى مدينة ليتل روك، عاصمة أركنساس، ضد المحافظ وحشد من البيض، لاسترداد حق حفنة من التلاميذ السود.[6] إلا أنه بعد مرور عامين على هذه الأحداث كان 99% من الشباب السود في الولايات الجنوبية يذهبون إلى المدارس المعزولة.[7] ومع هذا الإصرار تصاعد نفاد صبر المجموعات التي أطلقت على نفسها اسم حركة حقوق المواطنة، وفي الوقت نفسه تزايدت الآمال في تغيير السلطة داخل البيت الأبيض، الأمر الذي صار وشيكًا بحلول يناير 1961.

جاء تولي جون كينيدي، الأربعيني المتألق، إلى لسلطة بدلًا من الجنرال دويت آيزنهاور المجهد، الذي شارك في الحرب العالمية، وحصل على فترتين رئاسيتين، وبشكل عام كان ذلك أكثر من مجرد انتقال ناجح للسلطة من الجمهوريين إلى الديمقراطيين (وهو ما لم يدم طويلًا)؛ فمنذ اللحظة الأولى اعتُبر كينيدي بمثابة تجسيد للسياسة الحديثة لجيل جديد.

إلا أنه مع استمرار مشكلة التفرقة العنصرية، لم تكن هذه التوقعات سوى جني للثمار قبل أوانها؛ فقد اعترف سيناتور ماساتشوستس في المعركة الانتخابية بحقوق المواطنة وأجرى في المرحلة الأخيرة منها علانية مكالمة هاتفية مع زوجة مارتن لوثر كينج الذي كان معتقلًا حينها لتوه، وكانت تحمل ابنه في أحشائها. لكن بمجرد إعلان الحكومة الجديدة لبرنامجها الضعيف للسياسة الداخلية، أصيب أنصار كينيدي السود بالإحباط، ومنهم كثيرون ممن حصلوا، بسبب جهود طلاب لجنة التنسيق الطلابية (Snik)، لأول مرة على حقهم في إدراج أسمائهم في قوائم الناخبين لممارسة حقهم في الإدلاء بأصواتهم. فقد تنازل الرئيس، تحت ضغط من أصدقاء حزبه الجنوبيين، عن فكرة مشروع القانون الشامل، حتى من قبل استشارة الخبراء الذين كانوا يدفعون في هذا الاتجاه.[8] حتى الوعود التي ألزم بها نفسه في المناظرة التليفزيونة مع ريتشارد نيكسون بضرورة إلغاء الفصل العنصري في الإسكان الاجتماعي الممول من الدولة بمجرد توليه الرئاسة، لم يف به. فأرسل إليه في البيت الأبيض على إثر ذلك بعض المؤمنين بحقوق المواطنة آلافًا من الأقلام الجافة، لأنه من بين بعض الأمور الأخرى في أجندة برنامجه، وكان في مقدور الرئيس إنجاز ذلك الوعد دون استشارة الكونجرس. فلم يكن الأمر يحتاج إلى أكثر من توقيع الرئيس، بيد أن الأمر استغرق من جون كينيدي قرابة العامين.

وبصرف النظر عن إيماءاته الودودة وأسلوبه الساحر المنفتح مع القادة السود في أمريكا، اتسم سلوك كينيدي في بداية فترة رئاسته، لا سيما فيما يتعلق بحقوق المواطنة، "بتناقض مخيف"[9]، على حد قول مستشاره وراوي سيرته الذاتية أرثور م. شليسنجر الابن.

في هذه الأثناء نفد صبر نشطاء حركة حقوق المواطنة. فلقد مر أكثر من نصف عقد من الزمان منذ رفضت روزا باركس عام 1955 في مونتجمري/ألاباما أن تتنازل عن مقعدها في إحدى الحافلات لرجل أبيض، واعتُقلت على إثر ذلك، وهو ما أثار موجة كبيرة من المقاطعة في ذلك الوقت[10]، وعلى الرغم من حكم محكمة الولاية العليا بعدم مشروعية الفصل العنصري في الحافلات العامة في أعقاب هذه الحادثة، فإن الحافلات التي تطبق نظام الدمج العرقي في الولايات الجنوبية كانت تعد استفزازًا.

تأسست بناءًا على ذلك منظمة المساواة العرقية تحت قيادة المدير الجديد جيمس فارمر ، بعدها استقل يوم 4 مايو 1961 سبعة من السود وستة من البيض حافلة تتنقل بين الولايات من واشنطن متجهة إلى الجنوب، وكان هدفهم الوحيد الذي خططوا له بالاتفاق مع نشطاء جماعة أطلق عليها حينها فريدم رايدز[11] Freedom Rides ، هو افتعال أزمة ينتشر صيتها عالميًا في عناوين الصحف الرئيسة وبالتالي تجبر كينيدي على اتخاذ فعل حاسم.

على الرغم من أن الجزء الأخير من هذه الخطة ظل غير محسوم حتى وقتنا الراهن، فإن صور الحافلة المشتعلة والتقارير التي أكدت إصابة بعض النشطاء وحبسهم، من بينهم زوجين مسنين يعملان بالتدريس، كان لها تأثير لا يمكن إغفاله؛ فقد لاقت منظمة المساواة العرقية (CORE) استحسانًا وقبولًا بوصفها كيانًا يواجه سوء الأوضاع بكل قوة بل وبشكل عنيف في بعض الأحيان. وعلى الرغم مما تبع هذا الفعل من قضايا استمرت أعوامًا طويلة (ليس بسبب هجمات العامة من البيض، ولكن بسبب الغرامات الباهظة المفروضة على حركة فريدم رايدز)، فقد انتهى الفصل العنصري داخل محطات القطار وحافلات النقل الجماعي الكبيرة عمليًا بنهاية العام.

انتشر بكل تأكيد انطباع بأن الفرد في إمكانه فعل شئ ما، وأن المشاركة الأخلاقية لابد أن تتحول إلى شئ ملموس، وهو الأمر الذي جذب الشباب بشكل خاص، فلم يكن من قبيل المصادفة أن تصبح أغنية "We Shall Overcome" المتأثرة بالمسيحية هي اللحن الرئيس لجماعة آخذة في النمو من النشطاء المتحمسين، الذين تعاونوا مع بعضهم بطرق مختلفة ومتطلبة أحيانًا للشجاعة في الجنوب، خاصة داخل التحركات الطلابية لحركة الطلاب التنظيمية السلمية (SNCC).

وهكذا أصبح من الضروري، كما هو الحال مع كل الحركات الاحتجاجية في الستينيات، حتى مع حركة حقوق المواطنة الأمريكية، التفريق بين الأهداف المعلنة للمجموعات التأسيسية للمنظمات، والدوافع غير المعروفة لأتباعهم. وفي هذه الحالة من الشك حدثت حركة نابعة من خطوات تصعيدية مخطط لها "من أعلى"، ومن أوضح الأمثلة على ذلك: الأحداث التي جرت في ربيع عام 1963، حيث حاول إخوة كينيدي من خلالها استدراج

جماعة مارتن لوثر كينج "القيادة الجنوبية المسيحية (SCLC)"، الواقعة تحت ضغط.[12]

حدثت سلسلة من التظاهرات السلمية في ألباني/جورجيا في صيف 1962، زجت بكينج وكثيرين من أتباعه إلى السجن، ولم تكن ذات تأثير كبير على مجرى الأحداث، لكنها جعلت قس الكنيسة المعمدانية يعتمد استراتيجية جديدة. كان هناك دافع جديد يتمثل في نية حكومة واشنطن توجيه انتباه كل النشطاء في اتجاه "مشروع تعليمي ضخم للناخبين" من شأنه ربط كثيرين من أصحاب النوايا الحسنة، لكن يُحظر توسعه في الجنوب، حيث سيتطلب الجهد الأكبر كما يرى النشطاء، ومعهم الحق في ذلك. وأوضح كينج على إثر ذلك أن نظام العزل لا بد التخلص منه و"كسر عموده الفقري" تمامًا عن طريق مواجهات مباشرة. جاء مشروع C (أي مشروع المواجهة نسبة إلى كلمة Confrontation) بعد سلسلة متتابعة من الأحداث: بعد يوم B (أي يوم المقاطعة نسبة إلى كلمة Boykott) الموافق 3 إأبريل 1963 حدثت مجموعة من الاعتصامات والتظاهرات المحدودة، ومن ثم بعض المسيرات الاحتجاجية إلى مبنى المحافظة في برمنجهام.

عندما تجاهل كينج قرار المحكمة، الذي قضى بحظر أي نشاطات في المنطقة التي عرفت فيما بعد باسم "بومبنجهام" لما انتشر فيها من عنصرية متطرفة، أُلقي القبض عليه في منتصف إبريل، كما كان متوقعًا، وكتب حينها خطابه الذي نال شهرة فيما بعد وأسماه "خطاب من سجن مدينة برمنجهام". لم يكتف في خطابه هذا بالدفاع البليغ عن الشرعية الأخلاقية للعصيان المدني السلمي، لكنه اتهم البيض الليبراليين بالتقاعس، فقد كتب: "أغلب ظني أني قد وصلت إلى الاستنتاج المؤسف بأن حجر العثرة أمام الزنوج لم يكن مجلس المواطنين البيض ولا حركات كو كلوكس، ولكنه التوجه المعتدل للبيض الذين يحرص أشد الحرص على "التنسيق" أكثر من حرصه على تحقيق العدالة."[13]

دفع الهجوم على الأغلبية البيضاء، الصامتة منذ زمن بعيد، السود المترددين إلى التضامن الذي كان حتى ذلك الوقت على مستوى الأفراد فحسب أو غير موجود بالمرة، وقد تجلى ذلك مع تحرك بعض من قادتهم المحليين ضد كينج؛ ساعين إلى التفاهم مع الدوائر التجارية التي يديرها البيض، وكانت نتيجة ذلك أن امتلأت السجون عن آخرها بالمتظاهرين، وعندما ساهم ذلك في تصعيد حدة الأحداث تدخل رئيس الشرطة أوجين

"بول" كونور في يوم 3 مايو مع قواته المسلحة بالهراوات ضد "حملة الأطفال الصليبية" التي انطلقت في هذه الأثناء. وعمَّ الفزع كل أنحاء البلاد بفعل الصور التي عرضها التلفاز في منازل الطبقة المتوسطة من الأمريكيين البيض مع موعد وجبة العشاء؛ حيث صُورت الكلاب الشيفر وهي تهاجم أطفالًا سودًا، وخراطيم المياه موجهه ضد فتاة صغيرة. وفي عموده الذي يتمتع بنسبة عالية من القراء أوضح فالتر ليبمان، عميد الصحافة الأمريكية، الأمور على نحو دقيق: "إن الدمج العرقي لا بد ألا يظل مجرد حركة للزنوج يباركها سياسيون بيض من الولايات الشمالية، بل من الضروري أن يتحول إلى حركة وطنية لإنفاذ القوانين، تقودها وتوجهها الحكومة الوطنية."[14]

وتحت ضغط المظاهرات الحاشدة التي انتشرت في كل مكان في الجنوب، واعتقال ما يقرب من 15000 فرد[15]، ومتابعة العالم كله لهذه الاضطرابات، أدرك جون كينيدي أخيرًا أن مجرد اتخاذ خطوات حذرة لم يعد مجديًا؛ إذ صار لا مفر من سن قوانين تُحدث خطوة كبيرة وملموسة للأمام. صدر أول محفز لإشارة ملائمة وسريعة عن محافظ آلاباما جورج والاس تحديدًا، عندما أراد رفض قيد اثنين من الشباب السود في الجامعة الحكومية التي كانت تقتصر على البيض فقط. هدد كينيدي والاس وقتها بتدخل الحرس الوطني، وبرر حزمه غير المعتاد في حديث تليفزيوني أكد فيه على معاناة أمريكا من "أزمة أخلاقية".[16]

استمر النقد المتطرف للأوضاع السائدة في البلاد موجَّهًا إلى شخص الرئيس. ولم يعد ممكنًا اتهام من يسعى إلى التغيير بأنه "مخرب" أو "شيوعي" بهذه البساطة، وهو ما كان يحاول إدجار هوفر رئيس مكتب التحقيقات الفيدرالي "الإف بي آي" فعله دائمًا، خاصة في بدايات التحركات الكبيرة الساعية إلى نقل حركة حقوق المواطنة إلى العاصمة.

منذ أن اتخذت خطط التحرك في "مسيرة إلى واشنطن" في بدايات صيف 1963 شكلًا ملموسًا، بذل الإف بي آي كل ما في وسعه في سبيل إظهار حركة حقوق المواطنة على أنها عناصر شيوعية مندسة. على الرغم من أن مارتن لوثر كينج، وهو المعني في المقام الأول بهذه الاتهامات[17]، قد نجح في تحجيم الخسائر نوعًا ما بإبعاده لاثنين من أقرب العاملين معه لكونهم ذوي ميول سياسية فإن ظلال هذه الاتهامات ظلت ملموسة في المجتمع الأمريكي المحافظ، وعلى العكس تنبأ يساريون متشككون بإمكانية التأثير على كينج من

قبل المؤسسة السياسية في واشنطن. وإذا كان الأمر في حاجة إلى وجود بواعث لإحداث مزيد من الشقوق في صف الحركة، فقد نجح هوفر في إحداث ذلك.

وعلى الرغم من كل الاضطرابات فقد أصبح هذا الحدث في هذه المرة هو النجاح الحقيقي الذي تأمله كل من الرابطة الوطنية لدعم الملونين (NAACP) والرابطة المدنية (UL)، والمنظمة السلمية للمساواة العرقية (CORE)، وجماعة الطلاب التنظيمية السلمية (SNCC). (في الواقع لم تكن مسيرة إلى العاصمة بل مجرد مسيرة محدودة داخل المدينة على امتداد السوق التجاري في اتجاه نصب لينكولن التذكاري)، وفي هذه المسيرة أعرب ربع مليون من الأمريكيين السود والبيض عن رغبتهم في تحقيق تعايش سلمي ينعمون فيه بالمساواة. واعتبرت جريدة "نيويورك تايمز" يوم 28 أغسطس 1963 بمثابة تحول في تاريخ الحركة: "أحرجت الطبقة المتوسطة من البيض الحركة عندما اشترك أطفالهم بها."[18]

كانت خطبة مارتن لوثر كينج التي اشتهرت فيما بعد بعنوان ("عندي حلم I have a dream") العلامة الأكثر تميزًا في هذه "الحركة ثنائية العرق"، والتي طالبت بإنهاء التفرقة العنصرية في الجنوب وإيجاد استراتيجية دمج مجتمعية واضحة. لكن الوقت لم يمهل كينيدي ليفعل شيئًا ما؛ حيث تعامل خلفه ليندون جونسون مع القضية بصورة أكثر حزمًا، بعد حادث اغتياله في يوم 22 نوفمبر 1963. وهكذا صدر قانون حقوق المواطنة لعام 1964، ويعد أكثر قوانين حقوق المواطنة شمولاً في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، وتبعه عام 1965 قانون حق التصويت.

كان من المتوقع مع هذه "القفزة الكبيرة" لصالح فئة السود الذين كانوا يعانون لفترة طويلة من الظلم، أن تكون حلًا لكل المشكلات، لكن هذا لم يحدث حقيقة، بل على العكس من ذلك طفت على السطح مشكلات أخرى؛ حيث إن الاعتقاد المتفائل بإمكانية وجود مستقبل أفضل للجميع، لم يعد راسخًا؛ فقد اصطدمت الثقة في إمكان رسم صورة جديدة للمجتمع الأمريكي الذي عبر عنه جونسون في برنامجه في الوقت الملائم وأسماه "المجتمع العظيم"، بعقبة مزدوجة، فلم تعد المشكلة تكمن فقط في عدم تسامح البيض الرجعيين، لكن أيضًا في خصومة أقلية قد تكون صغيرة لكن متنامية من السود ذوي

المرجعية المتطرفة. بدا أن هذه المجموعة الأخيرة ستمثل المستقبل بإسهام أكبر من مجرد ارتباط آرائهم بشكل كامل بذاك النقد الجوهري للنظام الرأسمالي، الذي ساهم في إعادة صياغته منذ بداية العقد في تشكيل اتجاه يساري يعمل على تجديد نفسه.

بيركلي

الحق في حرية التعبير

بعد أفول نجم الحزب الشيوعي في النصف الثاني من الخمسينيات، الذي وصل إلى هذه المرحلة بسبب الدوجمائية وتحت ضغط مكافحة الشيوعية من جهة مكارثي وتوجه خروتشوف إلى إزالة آثار الستالينية،[19] كان الشباب من الفئة الاشتراكية القديمة (أي البيضاء) هم في الغالب من سلكوا طريقًا سياسيًا جديدًا منذ بدايات الستينيات في بعض الجامعات في شمال شرق الولايات المتحدة الأمريكية وغربها.[20] وقد تأثر هؤلاء اليساريون المستقلون الشباب، تبعًا لوجهة نظر بعيدة عن شيوعية الاتحاد السوفييتي والرأسمالية، بحركة حقوق المواطنة في الجنوب وانبهروا بنشاطهم الذي عايشوا جزءًا منه.[21] وعلى عكس النشطاء الأوائل ركز هؤلاء الشباب في حركتهم بشكل أكبر على الانعكاس الفكري أكثر من تركيزهم على المنظمات الجامدة. وعرفت حركة اليسار الجديد حديثة النشأة بهذا الأسلوب غير المألوف. واستشهدت صحف جديدة ذات همة عالية في طرح النظريات بكثير من إسهامات هؤلاء الشباب الفكرية، بل وأصدرت عددًا خاصًا لهم لاقي في لحظة نشره في صيف 1962 رواجًا كبيرًا باعتباره وثيقة العصر، وهو تصريح بورت هورن الصادر عن حركة طلاب من أجل مجتمع ديمقراطي (SDS).[22] وقد أكد الكُتّاب في أول جملة من هذا البيان الذي صدرت منه 60000 نسخة على حقهم في التحدث باسم الجيل كله: "نحن جزء من هذا الجيل، نشأنا في مستوى متواضع من طيب العيش، ندرس حاليًا بالجامعات، ونتطلع الآن في ضيق إلى العالم الذي ورثناه."[23] تبع هذه الكلمات تحليل لا غنى عنه للحاضر، يصطبغ بقدر عالٍ من الأخلاق.

لقد تغيرت أمريكا – في نظر الطلاب- إلى الأسوأ منذ أيامها السعيدة إبان الحرب وفترة طفولتها فيما بعد الحرب "كأغنى وأقوى دولة في العالم". وقد تمثلت الأسباب الرئيسة وراء الاضطرابات التي عاشتها في الإهانة المستمرة للسود في جنوب البلاد وفي التهديد النووي للإنسانية في صورة الحرب الباردة.

إن الانتهاك الأصيل لكل القيم الإنسانية المتمثل في هذين العاملين السابق ذكرهما،

والذي يرتبط بسيناريو كامل للتناقض بين مثالية الدستور والواقع الأمريكي، كان يتطلب تدخلًا. وهذا هو عين ما استهدفه المصطلح الرئيس في البيان، الذي توافق عليه مجموعة من اليساريين بعد مناقشات استمرت لأيام (من بينهم مايكل فيستر وممثل للـ SDS الألماني) في مبنى النقابة على بحيرة هورون/ ميتشجن، وهو "الديمقراطية التشاركية".

يتضح لكل من يحاول تفسير النص، قلة التصورات المتضمنة في هذا المفهوم عن الديمقراطية المتجددة وعن مؤسسات اجتماعية أفضل وفرص حياة متساوية للجميع مع الممارسة السياسية في دول تطبق الاشتراكية الحقة، ومدى ارتباطه الوثيق بالنظرية السياسية لعالم الاجتماع الأمريكي المتوفى حديثًا سي. رايت ميلز. غير أن هذا البيان لا يعكس المثالية الواعية لمؤلفه الشاب توم هايدن فحسب، بل ويرسخ بعض الشئ كذلك رؤية العالم المثالية المتناغمة التي بُنيت عليها بعد مرور نصف عقد من الزمان فكرة معارضة قوة الزهور (Flower Power): "نحن نود أن نستبدل القوة المتأصلة في التملك والتمييز والظروف، بالقوة والتفرد المتأصلين في الحب والانعكاسية والدافع والإبداع. نحن نسعى باعتبارنا نظامًا اجتماعيًا إلى تأسيس ديمقراطية المشاركة الفردية التي يحكمها هدفان رئيسان: أن يشارك الفرد في القرارات الاجتماعية لتقرير جودة حياته وتوجيهها، وأن ينتظم المجتمع؛ لتشجيع الاستقلالية في نفوس الناس وإمدادهم بالوسائل المساعدة لهم في مشاركتهم العامة."[24]

كان من الضروري أن يمر الطريق إلى مجتمع المستقبل عبر الجامعات، ولذلك صاغ ميلز الكلمة المفتاحية لهذا التوجه في كتابه بعنوان "خطاب إلى التيار اليساري الجديد"، الذي عارض فيه عام 1960 الماركسيين الإنجليز ومن بينهم إي. بي. ثومبسون، واستبدل طبقة العمال الخرافية بطبقة أخرى بارزة عالميًا وهي "الطبقة المثقفة الشابة" أو الانتلجنسيا باعتبارها محركًا أساسيًا للتمرد الراديكالي.[25]

لا عجب إذن من انبهار حركة طلاب من أجل مجتمع ديمقراطي بهذه التكهنات، غير أن الأمور ظلت على حالها من السكون لمدة ليست بالقليلة. وعلى الرغم من أن بعض المجموعات محدودة العدد قد تناولت النصوص الراديكالية الجديدة بالدرس، وقرأ بعضهم كامو وكافكا وكيرواك، فإن الأغلبية ظلت غير مهتمة وكانت توجه الدفة مباشرة

في اتجاه حالة من "الخمول" السياسي، وهي ما شخصها النشطاء بأنها الباعث الرئيس لمرض المجتمع الأمريكي.

من ينظر في الوقت نفسه، في صيف 1962، إلى الجنوب المستشيط غضبًا، حيث يقضي بعض الطلاب للمرة الثانية فترة إجازتهم السنوية مع حملات حركة حقوق المواطنة، فلابد أن تبدو له تشخيصات بوت هورون قديمة بعض الشئ، لكن في كل الأحوال لم تعد الأمور هادئة هدوء القبور كما كانت من قبل، واستمر هذا الحراك في الصيف التالي، بعد "مسيرة إلى واشنطن"، حينما اكتشف طلاب من أجل مجتمع ديمقراطي، الذين ساروا على خطى القدوة المتمثلة في حركة الطلاب التنظيمية السلمية (SNCC) النَشِطَة في الجنوب، وجود جيتو الأقلية السوداء والبيض الفقراء في الشمال. وكانت عبارة "حركة متعددة الأجناس من أجل الفقر" هي شعار المشاريع الجديدة المدعومة ببعض المال من خزينة نقابة عمال السيارات.[26]

وهكذا ظلت الرحلات إلى عالم الطبقات الدنيا محدودة في النهاية، وبدت صعوبة الحوار السياسي معهم، غير أن المحاولات وحدها أثبتت وجود عزم وإرادة للتغيير العملي، كان من شأنها إعادة التأثير داخل الجامعات. لقد لوحظ ذلك في وقت مبكر للغاية وبشكل أكبر تأثيرًا في بيركلي، وهناك في حرم جامعة كاليفورنيا الشهيرة، معقل الهياكل المتحجرة، نشأت في سبتمبر 1964 خلال أيام قليلة ثورة حقيقية.

كان السبب في اندلاع هذه الأحداث يعود إلى الخبرات الصادمة التي تعود لما أطلق عليه صيف الحرية في المسيسيبي Mississippi Freedom Summer، وقد شارك فيه ما يقرب من ألف من الشباب، معظمهم من البيض. لكن الحملة، التي كانت تستهدف في الأساس تسجيل الناخبين السود إبان تسمية مرشحي انتخابات الرئاسة من جانب الديمقراطيين، أدت إلى اندلاع مفاجئ لا يمكن تصديقه لموجة من العنف العرقي. أُطلقت النيران على أكثر من ثلاثين ناشطًا، فقُتل ما لا يقل عن ستة أفراد، وانفجرت حوالي ثلاثين قنبلة. ومع كل هذه الأحداث لم ترسل حكومة واشنطن أية قوات للتدخل.[27]

من عاصر هذه الأحداث متطوعًا، عاد في بداية العام الجامعي لجامعته ونفسه مليئة بالحنق، معترضًا على الانتظام في دراسته الأكاديمية بشكل طبيعي وكأن شيئًا لم يحدث،

وراغبًا في التحدث وشرح الأمر لزملائه الذين ليس لديهم فكرة عما حدث. وهذا ما فعله ماريو سافيو، الطالب في جامعة بيركلي الذي غدا فيما بعد الشخصية الأشهر لحركة أُطلق عليها سريعًا – في وقت كان يعتمد في الغالب على تأثير الإعلام – اسمًا مؤثرًا وظهر له أيضًا الاختصار الملائم، وهو حركة الحديث الحر (FSM)[28].

على الرغم من كل هذا الغليان بسبب الأوضاع السائدة في الجنوب، كان من الممكن أن يظل الوضع في بيركلي متوقفًا عند مرحلة تكوين مجموعات سياسية صغيرة نسبيًا، كما كان الحال منذ سنوات؛ فقد أقاموا أمام البوابة الرئيسة بعض المناضد؛ لعرض الكتب، ومروا حاملين حصالات لجمع النقود، وهو الأمر الذي اعتبرته إدارة الجامعة، على نحو مفاجئ في خريف 1964، وصمة عار، وحاولت الإدارة التخلص منها مدعية أن هذه المناضد تعيق حركة المشاة. وعلى إثر ذلك سحب الطلاب مناضدهم مباشرة داخل الحرم الجامعي، ونظموا جبهة متحدة "غير مذهبية" وقدموا تحليلًا جذريًا للصراع الناشئ عن غياب حقهم الدستوري الأصيل في التعبير عن رأيهم بحرية.

ساهمت هذه الحُجة، ربما بشكل أكبر من الدعوة إلى تأسيس منظمة جديدة، في كسب تعاطف كل المعلمين والمتعلمين الليبراليين في جامعة بيركلي تقريبًا.[29] وانطلقت حركة جديدة لذلك السبب عندما حاولت شرطة الجامعة في ظهيرة يوم 1 أكتوبر القبض على شاب تظاهر في حرم الجامعة مخترقًا الحظر، بعدما استمرت التظاهرات دون تصريح لمدة أيام.

كان جاك فاينبرج، وهو ناشط من المنظمة السلمية للمساواة العرقية (CORE) لكنه ليس طالبًا في بيركلي، جالسًا بالفعل في سيارة الدورية، عندما صاح به أحدهم: "اجلس". أحيط المشهد خلال وقت قصير بمجموعة كبيرة من الناس، ويقال إن هذا الوضع استمر لمدة 32 ساعة. استخدم ماريو سافيو في ذلك الوقت سطح سيارة الشرطة أكثر من مرة لتوجيه خطابات قوية لزملائه. وكما ذكر المؤرخون فإنه تمكن من فعل ذلك حافي القدمين، وبتصريح من الشرطة، وقد يرجع السبب في ذلك إلى أن حماة النظام لم يفهموا بمن كان يشبههم الخطيب عندما ذكر أنهم يقومون بواجبهم مثل أدولف أيشمان.[30]

وعلى الرغم من هذه الأجواء المشحونة تمامًا فأن الاعتصام انتهى نهاية سلمية في يوم 2 أكتوبر. وبإرادة منهم لمواجهة كو كلوكس كلان في مسيسبي، خاض قادة المفاوضات معركة قوية مع رئيس جامعتهم، وتوصلوا إلى أمور كثيرة ليس آخرها إلغاء قرار التوقيف في حق

سافيو وسبعة من النشطاء، لكنهم شكلوا في المقام الأول لجنة ينتمي إليها الطلاب يكون من شأنها وضع نظام جديد للمشاركة السياسية في الحرم الجامعي.

أضحى الدعم التنظيمي ضروريًا مع هذا النجاح. وهكذا أصبحت حركة الحديث الحر في الشهور التالية في بيركلي عنصرًا فاعلًا، بعدما كانت لا تعدو رابطة غير متماسكة مكونة من مجموعات صغيرة غير متجانسة. ساعدت الصور المعبرة وتقارير الصحف (المتحيزة في الغالب) في نشر أخبار التظاهرات والاحتجاجات المستمرة، التي كانت تستهدف الإصلاح الجذري للتعليم الجامعي، في أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية. يعود الفضل في حشد الجماهير في بداية ديسمبر مجددًا، بعض الشئ، إلى أعضاء حركة الحديث الحر، لكن العامل الأكثر أهمية يتمثل في الكر والفر التكتيكيان لإدارة الجامعة المنقسمة ومحاولتها الساذجة معاقبة قادة ثورة الخريف.

رد الطلاب على ذلك باعتصام في قاعة سبرول الواقعة في المبنى الفخم للجامعة، وتجمعت أمامه في ظهيرة يوم 2 ديسمبر 1964، مجموعة كبيرة من أعضاء الحركة، كما حدث كثيرًا من قبل. ألقى ماريو سافيو حينها خطابًا ناريًا أشار فيه صراحة إلى هنري ديفيد ثوريو، الأيقونة التاريخية للمقاومة السلمية، وتحدث فيه عن وجوب رفض "الآلة". وغنى جون بيز "The Times They Are A-Changin"، واختتم بأغنية الحقوقيين "We Shall Overcome". تدفق فيما بعد أكثر من ألف طالب إلى المكان ولديهم نية معلنة بعدم مغادرته سريعًا. أخذ المعتصمون يتناقشون ويلعبون الشطرنج ويشاهدون أفلام شابلين، ويعدون وجبات الطعام ويتأهبون لليل. لم يمر وقت طويل حتى لاحت في الأفق أمارات وقوع شئ ما؛ إذ إن الحدث لم يستمر حتى نهايته سلميًا، فقد اقْتُحِمَتْ بعض المكاتب، وفي تمام الساعة الثالثة فجرًا أصدر رئيس الجامعة أمرًا بالإخلاء.

وكما هو معروف من قبل في اعتصامات حركة حقوق المواطنة، استغرق الأمر ثلاث عشرة ساعة حتى مساء يوم 3 ديسمبر ، قام فيها ما يقرب من أربعمائة ضابط شرطة بإجلاء ثمانمائة طالب تقريبًا. وكانت هذه أكبر حملة اعتقالات جماهيرية في تاريخ ولاية كاليفورنيا، لكنها لم تقتصر بأية حال على نشطاء حركة الحديث الحر، بل امتدت إلى قطاع عريض من الطلاب، وكان التمثيل الأكبر من نصيب الطلاب ذوي الأصول اليهودية، الذين يمثلون خُمس عدد الطلاب في بيركلي، وقد بلغت نسبتهم بين المعتقلين الثلث. ومما أثار دهشة كل علماء

النفس الذين بحثوا هذه الظاهرة فيما بعد، أن هؤلاء الطلاب كانوا مستقلين وانفعاليين وغير حزبيين بنسبة تفوق المتوسط.[31]

وعلى الجانب الآخر فقد قوبلت حملة الاعتقالات والتحري عن هذا العدد الكبير من الزملاء بالنقد من أغلب المتخصصين، لكن الإجابة كانت تتمثل في قيامهم باعتصام شارك فيه ما يقرب من نصف عدد الطلاب. صار من الواضح الآن أن قيادة الجامعة تبالغ، وتراجعت عن عقد اجتماع موسع، ولم تكتف بالتنازل عن الإجراءات التأديبية ضد المعتقلين. في النهاية كان لا بد من حضور رئيس الجامعة لمفاوضات جديدة مع ممثلي حركة الحديث الحر؛ حيث أقروا حينها قواعد منصفة للأنشطة السياسية داخل الجامعة.

كان الانتصار الذي حققته الحركة مثابة فقدان لتركيزها، فقد تلا ذلك مجرد نقاشات فارغة حول إذا ما كان الحق في الحديث بحرية يشمل بدوره ترخيصًا بالكلام البذيء. كانت هذه الخلافات التافهة دليلًا على صغر الدور الذي تلعبه المؤسسات التعليمية القائمة على أسس بروتستانتية وتفكير متزمت، وكانت قد كرست الفصل الدراسي الأول لدراسة كيفية التعامل الجيد مع بطاقات آي بي إم المثقبة، وهو ما أثار سخرية النقاد،[32] وكذلك دليلًا على عجزها عن التعامل مع هذه الانتفاضة متعددة الثقافات، التي بدأت منذ وقت طويل في كاليفورنيا، ويبدو أنها مارست تأثيرًا متزايدًا على الحياة في بيركلي.

بدت فكرة الخروج على نظام مجتمعي متحجر منذ عام 1945 في الحرب الباردة، أو بالأحرى متجمد، ضرورية وجذابة للغاية بالنسبة للشباب، ونتج عن ذلك بالضرورة شعار وُلد في بيركلي وأخذ يجوب أنحاء العالم، وهو: "لا تثق بأي شخص تجاوز الثلاثين من عمره."[33] ثبت أن الحدود بين متطلبات حدوث تغييرات جذرية في النظام السياسي والتصورات "الأكثر هشاشة" عن ثقافة الآخرين ومجتمعهم واهية. إلى جانب ذلك أعلنت فئة من الطلاب من بينهم ماريو سافيو أنهم لن يدرسوا التاريخ بعد ذلك لكنهم سيصنعوه. تنامى عدد المؤمنين بمذهب المتعة الذين ساروا بعد انتهاء حركة الحديث الحر مع "رياح التغيير"، وذهبوا للإبحار واستمعوا إلى أغنيات فريق بيتش بويز. ومع حلول ربيع عام 1965 بدأت الموجة التالية من الثورة الأخلاقية.

فيتنام

عولمة التمرد

نشطت قوات الولايات المتحدة الأمريكية عسكريًا بشكل غير مباشر في فيتنام الجنوبية منذ حوالي عشر سنوات، أي منذ انسحاب فرنسا في خريف 1954. حينئذ رأى البنتاجون أن التهديد المتصاعد الذي يمثله المقاتلون الشيوعيون على النظام القائم يتطلب بشدة توسع التوغل الأمريكى في المنطقة. يرجع السبب في ذلك إلى أوائل شهر أغسطس لعام 1964، حين قصفت زوارق الدورية التابعة لفيتنام الشمالية المدمرة الأمريكية (المادوكس)، مما أثار حفيظة الولايات المتحدة بشدة. وكان هذا هو أول الطريق المفضي إلى حرب فيتنام.

شك عدد قليل من معاصرى تلك الأحداث في بادئ الأمر في أن حادثة خليج تونكين، التي في حقيقة الأمر لم تلفت النظر إليها بشكل كبير، لم تكن سوى ذريعة لبدء الحرب. وكان من ضمن هؤلاء المعاصرين، الصحفي اليساري إيزيدور فينشتاين ستون (أى.اف.ستون)، الذي تفرد بالكتابة عن هذا الأمر ودفع برؤيته الناقدة للغاية؛ لتدفع السياسة الأمريكية في فيتنام في ديسمبر عام 1964، حركة طلاب من أجل مجتمع ديمقراطي، التي نشأت في نيويورك، إلى التحرك. وبينما لم يكن التدخل المتزايد للولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الهند الصينية حتى ذلك الحين أمرًا مطروحًا للنقاش بين الجماعات السلمية المعروفة من قبل، قررت حركة طلاب من أجل مجتمع ديمقراطي القيام "بمسيرة إلى واشنطن" في مستهل السنة التي تليها.[34]

لم يتوقع أحد حتى تلك اللحظة سرعة التواجد الأمريكى وقوة توسعه في فيتنام الجنوبية، وصحيح أن أعداد المستشارين العسكريين قد ازداد بالفعل على مدار عام 1964 إلى أن وصل إلى حوالي 23 ألف مستشار، غير أن هجمات الفيت كونج على القاعدة العسكرية الأمريكية في فبراير 1965 قد صعّدت الموقف بشدة. فقد نشبت الحرب في بداية شهر مارس تزامنًا مع عملية (هزيم الرعد) و قصف طريق "هو شي منه" وإرسال قوات القتال النظامية. ومع نهاية عام 1965 كان 184 ألف جندى أمريكي تقريبًا يؤدون مهمتهم على الأرض وفي السماء، وبعد ثلاث سنوات وصل عددهم إلى نصف مليون.

وفي ضوء التفاقم السريع للأوضاع أصبحت مظاهرة حركة طلاب من أجل مجتمع ديمقراطي التي قامت في واشنطن في 17 إبريل عام 1965 أكبر حشد لمناهضة الحرب في فيتنام. وعلى الرغم مشاركة 20 ألف شخص تقريبًا في تلك المظاهرة، فإن الطلاب لم يتمكنوا من حشد عدد أكبر من المشاركين مثلما فعل مارتن لوثر كينج في العاصمة قبل عشرين شهرًا. وعلى الرغم من ذلك فإن نجاحهم يكمن في أن تنظيمهم النخبوي قد برهن على أن له بالفعل قوة حشد مؤكدة وأن توليفة من الطلاب اليساريين وواحدة من قدامى حركات السلام بدأت تُشكل كيانًا شاملاً، وجدت فيه حركة حقوق المواطنة أو الحقوق المدنية منفذًا: لا سيما حركة مناهضة الحرب.

بالفعل أصبحت من الآن فصاعدًا معارضة الحرب في فيتنام هي ما تستمد منه حركة الاحتجاج الأمريكية (وسرعان ما انطبق ذلك على حركة الاحتجاج في ألمانيا الاتحادية) طاقتها. ومع انتشار الحركة طرأ رغم ذلك تشعب سياسي وثقافي عليها. وهو ما صاغته قيادة اليسار الطلابية في حالة اليأس نظريًا وثقافيًا؛ إذ يتعلق الأمر حسب رأيهم بمساعدة "حركة اجتماعية قوية" على تغيير المؤسسات التي انطلقت منها الحرب، وفق ما صرح به في واشنطن رئيس حركة طلاب من أجل مجتمع ديمقراطي (SDS)، باول بوتر- الأمر الذي اتخذ شكلاً أكثر وضوحًا في أماكن أخرى: في الجامعات (التي ما زالت بيضاء حقًا) في الشمال، وفي شرقي البلاد وغربها كانت الاحتجاجات ضد حرب فيتنام تشبه في الغالب اعتصامات التثقيف الارتجالية التي لم يحدث من خلالها تبادل معلومات فحسب، بل تدخين الماريجوانا والاستماع إلى الموسيقى، ومورست أثناءها المشاركات الجماعية بكل المتع.

"لا ينبغي أن يحارب زنجي من البلاد الكائنة على نهر المسيسيبي في فيتنام من أجل حرية الرجل الأبيض حتى يتحرر جميع الزنوج في المسيسيبي. هكذا جاءت على سبيل المثال أولى النقاط الخمس التي تضمنها منشور ظهر في يوليو 1965 بمدينة ماك كومب في أيدي المجموعة المحلية اليسارية للحزب الديمقراطي لحرية المسيسيبي بعد أن قضى الشاب جون دي شو، أحد نشطائهم البالغ من العمر 23 عامًا، نحبه أثناء خدمته جنديًا في فيتنام. [35]

بالنسبة لحركة طلاب من أجل مجتمع ديمقراطي أصبح التدفق العددي الكبير الذي ضمنوه منذ الزحف نحو واشنطن يمثل في النهاية عبئًا. بفضل الأعضاء الجدد الكثيرين

القادمين من الريف الأمريكي رأى المعروفون نظريًا باسم"الحراس القدامى"، وهم من درسوا في جامعات الصفوة ولهم أصول يسارية وفي الأغلب يهودية أيضًا، رأوا أنفسهم في لقاء الحزب في يونيو 1965 أمام تحدٍ تمثله مجموعة من الشباب الأصغر سنًا والأقل ثقافة والمطالبين بهياكل الديمقراطية الأساسية. كما حل كارل أوجلسبي، الناشط في حركة مناهضة حرب فيتنام وابن ميتشجان، محل باول بوتر.[36] إن تغيير القيادات فضلاً عن نجاح الملتقى الذي عُقِدَ في عطلة نهاية الأسبوع من شهر أكتوبر تحت شعار "اليوم الدولي للاحتجاج" بمشاركة هائلة من حركة طلاب من أجل مجتمع ديمقراطي (SDS)، حيث خرج قرابة المائة ألف شخص من تسعين مدينة اعتراضًا على الحرب في جنوب شرق آسيا، قد ساهما في الحد من التوترات الداخلية.

بعد حوالى نصف عام تكررت التظاهرات ولكن بصعوبة بالغة، حيث تفككت لجنة التنسيق الوطنية، التي ضمت لها مجموعات صغيرة وكبيرة تكونت سريعًا من عدد كبير من معارضى الحرب، كما اختلف أعضاء حركة طلاب من أجل مجتمع ديمقراطي حول ما إذا كان يجب أن يقتصر العمل السياسي الخاص بتلك اللجنة على الدعوة إلى أفعال مناهضة للحرب فحسب، حيث لم تكمن المطالب السياسية للمنظمات الطلابية وحدها خلف هذا الجدل، بل حقيقة أن الحركة المناهضة للحرب كانت تتصرف حينئذ بوصفها أقلية ضئيلة. ووفقًا لاستطلاع رأى أُقيم في نهاية عام 1965، كان واحد بالمائة فقط من الأمريكيين على استعداد أن يتخذوا موقفًا تجاه حرب فيتنام، وكانت الأغلبية منهم نقادًا للمعارضين؛ حيث وصفوهم بأنهم منتمون إلى ثقافة البيت أو مخربون أو شيوعيون. أما فيما يخص الأغلبية العظمى من الشعب الأمريكي، وخاصة جيل الشباب، فقد كانوا يؤيدون سياسة الرئيس الأمريكي.[37]

كان الدعم الذي تمتع به لايدون ب. جونسون منذ فوزه في الانتخابات عام 1964، بالإضافة إلى توقعات البعض بخصوص الإصلاحات الاجتماعية، التي كانت تجري على قدم وساق منذ ذلك الحين، على تناقض غريب مع ما بدا من علامات التطرف الشديد التي بدأت تُلاحَظ بشدةٍ في قلب المجتمع الأمريكي، رغم أنه كان يحدث بشكل فردي.

ومـن تلـك الإشـارات مـا قامـت بـه مهاجـرة يهوديـة ألمانيـة، تنتمـي إلى جمعيـة الأصدقـاء

الدينية "كويكرز" وتبلغ من العمر 82 عامًا وتدعى أليس هيرتس، حيث أشعلت النار في نفسها في مطلع عام 1965 في الشارع احتجاجًا على الحرب على فيتنام. لكن الصحافة لم تهتم بذلك الحدث إلا عندما كرر رجلان بعد ذلك بفترة قصيرة الفعل نفسه وبالطريقة نفسها، وكان أحدهما من أعضاء جمعية الأصدقاء الدينية والآخر عضو في الحركة العمالية الكاثوليكية.[38] ومنذ ذلك الحين صار واضحًا أن أفعالًا ثورية مثل التي وقعت أمام البنتاجون في واشنطن وأمام مبنى الأمم المتحدة في نيويورك على علاقة وثيقة بالواقعة التي حدثت بالفعل عام 1963 في المدينة الفيتنامية سايغون (هو تشي منه حاليًا)، وخاصة عندما جابت حول العالم صورة لراهب بوذي محاط بألسنة اللهب.

وعلى الرغم من تلك الصورة غير المألوفة للراهب البوذي، فإن صور حرق الذات المخيفة لم تظل في ذاكرة الأمريكين المعارضين للحرب لفترة طويلة. ومع ذلك لم تكن تلك الأفعال ذات الطابع شديد العنف تجاه الذات سوى إشارات مبكرة لتركيز الإعلام على تلك التظاهرات التي بدونها لا يمكن فهم مسار الحرب والحركات المناهضة لها.[39]

كانت تلك الفعاليات العامة التي أقيمت في جميع أرجاء الولايات المتحدة الأمريكية منذ عام 1966 على قدر كبير من الأهمية على المستوى السياسى والتصويرى، وخلالها أحرق الشباب أوراق استدعاء الخدمة العسكرية. وقد أوضحت تلك الصور، التي لاقت اهتمامًا عالميًا زائدًا وأثارت في أماكن عدة مزيدًا من الجدل حول حق رفض تأدية الخدمة العسكرية. إن هناك عوامل كثيرة دفعت الناس إلى المعارضة، منها على سبيل المثال دوافع سلمية ومصالح شخصية و صراع قُوى غير متجانسة على السلطة.

وبالإضافة إلى ذلك كان رفض قيام حرب فيتنام دافعًا لتطرف بعض عناصر حركة حقوق المواطنة التي تزعمها أمريكيون سود. وأخيرًا وليس آخرًا قدمت سياسية التجنيد غير العادلة العديد من الأسباب للتطرف: فمن أصل 27 مليون أمريكى عُدوا من (جيل فيتنام)، وذلك وفقًا لسنة ميلادهم، أدى منهم 11 مليون تقريبًا الخدمة العسكرية، وشارك منهم حوالى 2.1 مليون فحسب في الحرب على فيتنام. وبذلك ظلت نسبة الخطر الناشئة من اضطرار أمريكا للانغماس في الحرب أقل من عشرة في المائة. وكان جليًا أيضًا أن هناك ظلمًا اجتماعيًا شديدًا في التوزيع؛ حيث كان لزامًا على الأمريكيين السود ممن

لم يحظوا بقدر جيد من التعليم، بالإضافة إلى شباب من الطبقات الدنيا من البيض، الانضمام للجيش في فيتنام والمشاركة خاصة في أعمال الحرب، وذلك مع وجود احتمالية كبيرة لقبولهم مقارنة بأقرانهم الأوفر حظًا. ولم يكن من الممكن، وبالأخص في سنوات الحرب الأولى، إغفال ضريبة الدم التي وجب على الأمريكين السود دفعها. وفي عام 1965 كان حوالي ربع عدد الجنود الأمريكيين الذين يؤدون خدمتهم العسكرية في فيتنام من السود، غير أن وزراة الدفاع الأمريكية خفضت عبر مساعٍ حثيثة نسبة المشاركين من السود بعد ذلك بثلاث سنوات إلى 13 في المائة فقط.[40]

لم تستطع كل تلك الإجراءات التصحيحية الخاصة بالنظام من الداخل والتقدم الواضح في خطوات الديمقراطية والتحرر، مثل قانون حق التصويت الذي صدر في صيف 1965، أن تخفف من حدة التطرف المتزايد عند الأقلية السوداء. وكان ضمن تلك الإشارات الدالة على ذلك التوتر السائد تفاقم الأوضاع من لا شيء في حي واتس (حى السود في لوس انجلوس)، بعد عدة أيام من توقيع الرئيس الأمريكي جونسون على قانون التصويت الجديد. وقبض ضابط من البيض على سائق من السود اشتبه أنه مخمور. وكانت حصيلة تلك الانتفاضة، التي قامت على إثر ذلك الحدث، منقطعة النظير، وقد أنهاها الحرس الجمهوري بعد خمسة أيام، بسقوط ثلاثين قتيلًا وأكثر من ألف مصاب.[41]

عندما وصلت الاضطرابات في الصيف التالي إلى العديد من الولايات – حيث عادت مرة أخرى في لوس أنجلوس وظهرت بشدة في كليفلاند/أوهايو – لم يكن ممكنًا حينئذ إغفال أن هناك شيئًا ما قد تغير في مجتمع السود في أمريكا، كما تزعزعت الأراء والمواقف الراسخة في ضوء الهجرة الداخلية المستمرة منذ عقود إلى المدن الصناعية الكبرى في شمال وغرب أمريكا، وأيضا في إطار الآمال الاجتماعية الخائبة التي تواكبت باستمرار مع تلك الهجرة. وعلى أية حال فلقد كان عدد قليل من الشباب، الذين ولدوا في الولايات الأمريكية التي يتمركز فيها السود في السنوات التي زاد فيها معدل المواليد بعد الحرب، مؤمنين بسياسة الخطوات الصغيرة المتمهلة وسياسة التحرر التدريجي، ولكن زعماءهم كانوا يروجون في تلك المرحلة الثورة بدلًا من الإصلاح.

وكان الدليل على هذا التغيير هو تأسيس حزب (الفهود السود للدفاع عن النفس) وقد أسسه كل من هيوي بيرسي نيوتن و بوبي سيل في أكتوبر 1966، وبتأسيسهما إياه كانا

قد انشقا عن المنظمات السياسية الأخرى للأقلية السوداء وعن الداعمين لها من الطبقة المتوسطة المتعلمة من البيض. وعلى النقيض تمامًا من مبادئ رفض العنف التي أعلتها حتى ذلك الحين حركة حقوق المواطنة في كل مكان إلا أن الدفاع المسلح عن النفس أصبح هو السائد في كاليفونيا، بل وتجاوز الأمر ذلك إلى حذف الجزء الثانى من أسماء السود في خريف 1968. وكان حزب الفهود السود يُعنى إلى حد ما بتوفير المواد الغذائية لعائلات السود ممن لديهم أطفال كثر، غير أن هذه الحركة تطورت سريعًا لتصبح نموذجًا لأحزاب الطليعة الثورية التي كانت تدعو إلى أفكار ماو تسي تونغ وتشى جيفارا وبالأخص فرنز فانون وكتابه المناهض للاستعمارية الذي ظهر قبيل وفاته عام 1961، ويعد بمثابة وصيته لتابعيه بعنوان (معذبو الأرض).[42]

وبينما حذا حزب الفهود السود الأمريكي المسلح في الغرب حذو الحركات التحررية في العالم الثالث، ظهرت في الجنوب حركة القوة السوداء كرد فعل للشباب على التوسع الظاهري في حركات حقوق المواطنة القديمة التي حاولت أن تُبقي أفعالها بمعزلٍ عن مناهضة حرب فيتنام. وانضم إلى تلك الحركة التي تُعنى بالنضال من أجل حقوق المواطنة ومجابهة حرب فيتنام كل من هُدد بالاستدعاء الجبري للخدمة العسكرية ومن آمن بمبدأ أعلنه المناضل الأسطوري مالكوم إكس في أوائل الستينات، وهو أن الأمر يتطلب قدرًا من الوعي الذاتي العدائي لدى السود بأمريكا، بالإضافة إلى من آمن بكلمات الحقوقي ستوكلى كارميشيل التي قالها في أوائل عام 1967، تلك الكلمات التي ضمتها لجنة التنسيق الطلابية الرافضة للعنف منذ تنصيبه رئيسًا لها، وذلك قبل عام، إلى رصيد خطاب العنف، ألا وهى: (البيض يرسلون السود لمحاربة الصُفر؛ ليدافعوا عن بلاد سرقوها من الهنود الحمر.)[43]

ولم يعد نبذ العنف فيما بعد، على الأقل بالنسبة لعناصر من تلك الحركة، هدفًا في حد ذاته. وبالنظر إلى اتجاه التطرف السائد حينئذ، فقد ظلت أسباب عودة الأعضاء المتبقيين من لجنة التنسيق الطلابية (Snik) إلى جيتو السود في أمريكا، مرة أخرى، أمرًا غير معلوم. فعلى سبيل المثال، ترك كارمايكل ذاته تلك اللجنة في صيف 1967 وانضم إلى الفهود السود، وبعد سنتين عاد إلى غينيا. لم يكن هذا الأمر معلومًا وقتها؛ لأن حركة مناهضة الحرب كانت تحصل في تلك الأثناء على دعم قوي خاصة في الجامعات وبدلًا من التظاهر سادت المقاومة.[44] ولهذا كان شعار المؤتمر الذي التقى فيه ممثلو عدد كبير من منظمات حقوق المواطنة في ديسمبر 1966 في بيركلي هو (لن نذهب). وفي ضوء مناهضة التجنيد الإجباري، ظهرت في

كثير من الجامعات ما يسمى اتحادات مناهضة التجنيد الإجباري؛ حيث كانت تُدعم إلى حد ما من قبل لجنة التنسيق الطلابية الرافضة للعنف التي انضمت إلى حملة المعارضة.

وفي ظل تلك الحرب التي ازداد وجودها الإعلامى بشكل مستمر، أخذ أوائل المشككون في الحرب من التيارات الليبرالية (غير المتعصبة) منذ بداية عام 1966 في الظهور إعلاميًا.[45] كان من أوائل هؤلاء السيناتور جيه وليم فولبرايت عضو الحزب الديمقراطي، الذي عقد، بوصفه رئيسًا للجنة العلاقات الخارجية بالحزب وبوصفه صديقًا مهمًا للحزب الرئاسي، العديد من جلسات الاستماع العمومية لعدة أيام في شهري يناير وفبراير وقد اهتم التلفزيون بشدة حينها ببثها على الهواء، وذلك بسبب الطلبات التي قُدمت لإمداد جنوب فيتنام بمساعدات مالية جديدة. ولقد أوضح ذلك الظهور الإعلامي لوزير الخارجية دين راسك ولسفير الولايات المتحدة الأمريكية السابق في مدينة سايغون الفيتنامية (ماكسويل تايلور دافنبورت) لعموم الشعب الأمريكي أنه ليس من الضرورى أن يخفي أحد إيمانه بالشيوعية لكي يناهض الحرب في جنوب شرق آسيا. ونظر المستنيرون لكتاب فولبرايت (غطرسة القوة)، الذي صدر بعد ذلك بعدة شهور، على أنه مؤشر قوي يؤكد على أن القوة العظمى لأمريكا في الهند الصينية بعد قوة الفرنسيين قد فقدت تأثيرها بشكل واضح، وصارت تأن تحت وطأة العبء الأخلاقي المتزايد.

وبالنظر إلى تلك الخلفية فلا عجب حقًا أن حرب فيتنام أصبحت منذ عام 1966 دافعًا ومحركًا جوهريًا لحركة التمرد التي أفزعت كثيراً من البلاد بدءًا من الولايات المتحدة الأمريكية وصولاً إلى الغرب بأكمله. وعلى الرغم أن أبناء الأجيال السابقة انضموا إلى تلك التظاهرات، وفي المقدمة وقف هؤلاء الذين احتجوا على التسليح النووى ومعاداة الشيوعية سواء في لندن أو في فرانكفورت (على نهر المايْن)، فإن صور الحرب أراحت ضمير هؤلاء الذين نشأوا أثناء الحرب العالمية الثانية أو قبلها وعايشوا السلام المتأزم في الصراع بين الشرق والغرب؛ لهذا كان منطقيًا أن يتحد كل من المعارضة السياسية والهروب من الواقع الثقافي؛ حيث تولد إحساس جديد لدى الأجيال الشابة، ذلك الإحساس الذي تشعب وازدهر في الولايات المتحدة الأمركية وعلى الأخص في كاليفورنيا.

هايت-أشبوري

ثقافة مضادة ومباهج أخرى

لم يكن لقصة نجاح موسيقى البيت المثيرة للعالم في بداية الستينيات شيئ مشترك لا جغرافيًا ولا جيليًا مع ثقافة "البيت" التي عُرفت في الخمسينيات. سعى جاك كيرواك وشعراء "جيل موسيقى البيت"، الذين كانوا قد بلغوا الأربعين في هذه الأثناء، إلى خلق طريقة أمريكية للعزف تتناسب مع الفلسفة الوجودية، بينما كان معروفًا أن عازفي البيتلز الأصغر سنًا منهم والرولنج ستونز وبعض الفرق الأخرى السابقة قد أتوا في الأساس من إنجلترا. وعلى الشاطئ الغربي للولايات المتحدة التقت الفلسفة الباطنية لنقد الثقافة التي تجلت في موسيقى البيت مع موسيقى البيتلز سهلة الاستيعاب. لقد اختلطت هنا كل تيارات ثقافة البوب في منتصف العقد الثاني بعد الحرب العالمية لتكون مزيجًا موسيقيًا خفيفًا وساحرًا في الوقت نفسه، وتتلخص مكوناته في مجموعة كلمات مفتاحية: الجنس والمخدرات وروك آند رول.[46]

أصبحت سان فرانسيسكو هي قبلة هذا النمط الحياتي الجديد. هناك، حيث المنازل الخشبية المتداعية نوعًا ما والملونة بشكل جميل في حي هايت - أشبوري، وهو الجزء الأوروبي من المدينة، نشأت أكثر زهرة ملونة في حركة قوة الزهور (Flower Power)، متمثلة في أتباعها الذين أطلق عليهم الهيبز. ومن ضمن مظاهر خلق نمط حياة بديل وثقافة بديلة نشأت حركة الحفارون Diggers الذين كانوا يوزعون وجبات مجانية، وكذلك انتشر الباعة الجائلون الذين يقدمون وجبات البرجر والهوت دوج، وبالطبع ظهرت المسارح الموسيقية، ومتاجر بيع الملابس حديثة الطراز، كما صدرت جريدة خاصة تحمل عنوانًا جميلًا وهو "أوراكل"، ومتجر للمواد المخدرة يوجد فيه كل ما يحتاجونه للأمسيات الملونة. ومن لديه القدرة بعد ذلك على الرجوع إلى الأرض، سيجد في العيادة المجانية الخاصة بدكتور ديفيد سميث غرفة للاسترخاء مفتوحة ومتاحة على مدار اليوم.[47]

تمركزت هذه الثقافة المضادة حول فكرة "الحب الحر" وتعاطي المخدرات، فقد ساهمت الماريجوانا ولا سيما المادة المخدرة LSD التي صنعت عام 1943 في أحد معامل

الكيمياء السويسرية، والتي أجرى عليها تيموثي ليري بعد ذلك بعشرين عام سلسلة من التجارب الطبية في هارفارد، قبل أن يتطور إلى ما يسمى مشهد جورو، في التنبأ بآفاق جديدة لخبرات الوعي. "Turn on, tune in, drop out" كان واحدًا من شعارات مؤسسة د. ليري للاكتشافات الروحية للترويج إلى تعاطي عقار الـ LSD أو المعروف باسم Acid (ثنائي إيثيل أميد حمض الليسرجيك)، والذي كان يمكن الحصول عليه في البداية مجانًا ثم أصبحت حيازته موجبة للعقوبة في كاليفورنيا بحلول أكتوبر 1966. اهتم بنشر هذه الأقراص بعض الشخصيات، منهم على سبيل المثال الكاتب كين كيسي مؤلف فيلم (One Flew Over the Cuckoo's Nest) وجماعته المؤمنة بضرورة تعاطي عقارات الهلوسة والمسماة جماعة "ميري برانكستارز"، وهم من قاموا بعمل ما يطلق عليه تجارب الأسيد وتنظيم مهرجان رحلات استمر لأيام في يناير 1966.

إن هذا النمط الحياتي القائم على الشعور باللذة، والذي أدمنه عدة آلاف، جذب لكل هذه الخبرات قطاعًا عريضًا من الشباب وأثار مرة أخرى قلق وسائل الإعلام "الوطنية" التي قامت بتغطية هذه الضجة الحادثة في "هاشبوري" منذ شهور بطريقتها المعتادة في ترويج الأخبار المثيرة وبالتالي استمرت في إشباع فضول متابعيها. ولم تتأخر العواقب كثيرًا؛ فقد أخذ المزيد من الشباب الأمريكيين ينظمون رحلات حقيقية في إجازاتهم إلى سان فرانسيسكو. أما ما كان يمكن التغلب عليه إلى حد ما هناك في شهور صيف 1966، فقد تحول إلى ظاهرة لا يمكن السيطرة عليها في الموسم التالي الذي بدأ بالفعل مع حركة هيومان بي إن Human Be-in المذهلة في متنزه جولدن جيت في يناير 1967، وهي ظاهرة أُطلق عليها "صيف الحب".

بغض النظر عن كل هذا التسويق التجاري الذي طال كذلك معظم الأشكال والمنتجات الفنية الأخرى لهذه الثقافة الفرعية عن طريق بوابة صناعة الموسيقى والترفيه، فقد صدر في يوليو 1967 عدد من مجلة "تايم مجازين" وعلى غلافه صورة رسمها رسام من الهيبز في نيويورك وألبوم صور كبير على غير العادة[48] ولم يمر وقت طويل حتى استطاعوا إبعاد حركة التأثيرات النفسية (سايكيديلك) عن السياسة تمامًا. لقد كانت رسالة البوهيميين الجدد واضحة تمامًا، وقد ظهرت في أغنيات مطربيهم المفضلين بشكل متنوع، وهي: "اصنعوا الحب، ولا للحرب". فقد كانت حرب فيتنام، على الرغم مما

صاحبها من تعتيم، حاضرة في خليج مونتري، حيث تحول المشهد في يونية 1967 إلى مهرجان غير مسبوق لموسيقى البوب أثار انتباه العالم أجمع، وهو ما كان بمثابة نقطة الانطلاق لجيمي هيندركس. وقد فتحت أغنية The Doors الباب على جانب آخر من الوعي الإنساني بجملتها الشهيرة (Break on Through to the Other Side)، ثم تبعتها فرقة جيفرسون إيربلين، وفرقة ستونز وأخيرًا أغنية (Lucy in the Sky with Diamonds) الغنية بالتلميحات لفرقة البيتلز الذين استمروا بمهارة لفترة طويلة.

ظهرت كذلك بعض المشكلات التي يصعب حلها والتي نتجت عن الحشد الجماهيري من الشباب وكانت سان فرانسيسكو بصدد مواجهتها منذ أصبحت هايت - أشبوري واجهة عرض عالمية للثقافة المضادة. سرعان ما نسي معظم المشاركين الرحلات السيئة والاشتياق والليالي الباردة دون مأوى وعادوا إلى ديارهم يحملون داخلهم شعورًا بالرضا، وقد تغيرت في حياتهم أشياء مصيرية. ومما زاد من أهمية الأمر أن صور الثقافة المضادة انتشرت إعلاميًا بسرعة البرق، وموسيقاها والموضة الخاصة بها وأجواءها و"ذبذباتها الغريبة" التي غنى لها سكوت ماكنزي في أغنيته الأشهر عالميًا "سان فرانسيسكو". وهكذا وصلت خيالات بضعة مئات الآلاف، والذين عرفوا لوقت طويل باسم الهيبز، إلى ملايين الشباب الذين لم يتجاوزا ببصرهم الساحل الغربي مطلقًا ولمسوه في النهاية حقيقة بعمق، وهي خبرة مر بها جيل كامل تقريبًا.

مشدوهًا من موجة الحنق العالمية كتب الكاتب الأشهر في هذا العصر نورمان ميلر الذي كان يتمتع بنسبة عالية من القراء في ذلك الوقت (ولا تزال أعماله تقرأ بعد أربعين عام): "لقد انتاب شباب أمريكا (ونصف كل شعوب الأرض) شعور بالانتماء، وصارت لديهم رؤية رائعة للسعادة الجمة بعيدًا عن كل ألوان العنف وبعيدًا عن اختلافات الجنس بشكل خاص."[49]

ولم يكن غريبًا على هذه الأجواء، على الرغم من التفصيل الشديد، ما نشرته مجلة "هاربرز ماجازين" في أكتوبر 1967 عن عقيدة إحدى الطالبات الأمريكيات، حيث قالت: "ينتابني شعور قوي بقصور كل القيم التي تعلمتها خلال نشأتي؛ فئات القيم الاجتماعية، وطرق الاستحواذ على الأشياء والأشخاص، والتعريفات الأكاديمية لما يستحق

معرفته وفعله، وخرافة نوايا أمريكا الطيبة تجاه العالم. كل هذه القيم انهارت في طريق البحث عما هو مهم في حقيقته وعن حياة كريمة. (...) كما أن ما حدث مؤخرًا من سهولة الحصول على المخدرات وقبولها قد فتح مجالًا جديدًا واسعًا من الخبرات المحتملة (...). إن أخلاقيات ثقافة الهيبز ومنها الحب غير المقيد والانفتاح وكرامة الفرد وقيمة العلاقات الإنسانية والقضاء على السلطة الخارجية الصارمة، أثرت على الطلاب الذين كانوا يطالبون بالمرونة وإيجاد الصلة بين مقررات التعليم الجامعي وكل فرد. (...) وفي النهاية أثبتت فيتنام كذب القيم التي تعلمناها في البيت والمدرسة."[50]

لقد أجادت هذه الفتاة الشابة تلخيص كل الموضوعات والمشكلات، التي يستشعرها القطاع الواعي من الشباب وغيرهم، في أسطر قليلة. لم تكن حرب فيتنام التي أتت الفتاة على ذكرها في ختام حديثها عن نفسها، بلا شك وسيلة بلاغية للانتقال لموضوع آخر، وإنما علامة إحساس بمسؤولية أخلاقية حقيقية. ولا يمكن تخيل أن ذلك لا يتماشى مع الرغبة في إثبات الذات ورفض الهياكل الاستبدادية في الوقت نفسه. ولذلك لم يكن غريبًا أن الرسالة الكامنة بين سطور الاعتراف لم يكن بها الكثير من دافع "التحرر" و"الرفض البالغ"، مثلما فعل هيربرت ماركيوز الذي ذاع صيته في كاليفورنيا، في رحلاته بين سان دييجو وفرانكفورت ولندن وبيركلي وبرلين.

على العكس من الموقف المشتعل في ألمانيا، حيث وصلت نظرية الثورة إلى ذروتها بعد وفاة بينو زورج يوم 2 يونيو 1967، كانت الأجواء في الولايات المتحدة الأمريكية في شهور الصيف تلك هادئة بشكل عام. وبدا أن الجماعات اليسارية قد تركت الساحة للهيبز، وغطت البلاد سحابة من النشوة والتأمل أغرت بعض النشطاء السياسيين. إذا استمر خبراء الثورة الاستراتيجيين في السخرية من هؤلاء الأطفال حاملي الزهور بسبب سذاجتهم السياسية ووعيهم المشوش، فإنهم سيعرفون تمامًا أن قضيتهم استفادت من طريقة إحالة المغزى، التي تعاملت بها المؤسسة السياسية مع الحركة الاحتجاجية بالغة الغموض والتأثير. وفيما يتعلق بتهديد قطاعات كبيرة من الشباب بالانسحاب من درب الفضائل الوطنية الأمريكي، وبأن هناك جيلًا كاملًا على وشك الضياع، فلم يكن واضحًا تمامًا إن كانت الأسباب تكمن في الصراع الراديكالي من أجل "تحرير" السود، أم في عشق التيار اليساري للنظريات، أم في "معارضة" حرب فيتنام، أم في التوجه الجماهيري للثقافة

الفرعية. كل هذه الأسباب اشتركت بشكل أو بآخر في التأثير السياسي وبات الفصل التام بين الدوافع المتعددة المؤدية لهذا الانشقاق غير ممكن في الحقيقة.

"يعد ما يحدث ضوءًا أحمر لنمط الحياة الأمريكي" بينما كان هذا رأي أرنولد توينبي الخبير وفيلسوف التاريخ المتخصص في ازدهار الإمبراطوريات التاريخية وانهيارها، عن الهيبز، فقد عقد أسقف في كاليفورنيا مقارنات بريئة مع المسيحيين الأوائل، ووصلت جريدة "تايم مجازين" إلى استنتاج أن هؤلاء المارقين يجسدون صورة منحرفة بعض الشيء عن الأخلاقيات البروتستانتية التي يرفضونها: "على الرغم من التجاهل الصارخ لمعظم الأعراف المقبولة في المجتمع وكثير من قوانينه، لا سيما تلك التي تحظر تعاطي العقاقير المخدرة، فإن هذا يساعد في تفسير سبب اتجاه كثيرين من ذوي السلطة من رجال شرطة والقضاة والوزراء إلى التعامل معهم بلطف وبقدر من الاحترام. وفي النهاية قد يرجع سبب عدم انحسار ظاهرة الهيبز في المجتمع الأمريكي إلى انشغالهم بالتفكير في أمرهم."[51]

من المؤكد أن الاعتقاد بوجود الكثير مما يجب تغييره في أمريكا من أجل تحقيق مستقبل أفضل، لم يعارضه الكثيرون في سنوات حكم ليندون جونسون القائمة على فكرة الإصلاح. كما توافق مع ذلك أن بعض الأمور في السياستين الخارجية والداخلية الأمريكية بدا أنها تحاول إثبات مشكلات تقنين الرأسمالية المتأخرة بقوة، وهي التي تحدثت عنها كل الأطراف على جانبي المحيط الأطلسي ومفكرو اليساريين الجدد منذ فترة: على الرغم من حرب أمريكا الخاسرة في فيتنام والتي قادتها قواتها الجوية مستخدمة مواد سامة نازعة لأوراق الشجر، ومكتسبات الأرض الاستراتيجية للاتحاد السوفييتي في "العالم الثالث"، و"مشكلة العنصرية" التي لم تجد حلًا وتزداد حدة، والفصل المجتمعي المتزايد في الضواحي التي تقطن فيها الطبقة الدنيا من البيض، ظل ذلك الإيمان المجتمعي بالتقدم في بلاد الفرص غير المحدودة في عام 1967 كائنًا لا يتزعزع.

من يلقي نظرة على بدايات الفن الأمريكي في أواسط الستينيات يلاحظ بصعوبة أمارات أزمة مقبلة.[52] حيثما ينظر المرء يجد ضخامة في حجم الإنتاج، فلم يطلق على استوديو آندي وارهولز اسم "المصنع" من فراغ، بالإضافة إلى ثقة كبيرة في الأفكار الخاصة، على

الرغم من تراجع بدايات فن البوب وبعض فروعه الجانبية لفترة. لقد ازدهر كل من الأدب والسينما والمسرح، حتى أن أبطالها لحقوا بالاتجاهات الجديدة وطوروها. كما يسري ذلك على الموسيقى التي كانت بلا أدنى شك أهم مظهر ومحرك ثقافي في هذا العقد.[53] ومن هنا ظهرت فكرة مهرجان وودستوك، باعتباره خبرة جمعية تولدت إعلاميًا، وتحولت بعد مهرجان الأربعمائة ألف متفرج السلمي الذي أقيم في أغسطس 1969، في سرعة البرق إلى أسطورة لهذا الجيل، كما غدت بالفعل فيما بعد إنذارًا لنهايته المأساوية المتوقعة.

كولومبيا

التطرف وانهيار الحركة

إن تفكك الحركة إلى عدة حركات اجتماعية جديدة، وهو الأمر الذي سيكون مميزًا لجيل الثورة إلى حد كبير منذ نهاية الستينيات حتى في أمريكا، لم يكن قد لاح في الأفق بعد في صيف عام 1967، فلم يكن متوقعًا في ذلك الحين أن حركة طلاب من أجل مجتمع ديمقراطي لن يكون لها وجود عمليًا بعد عامين، كما لم يكن من الممكن تصور العنف الذي اندلع عام 1968، فقد تغير كل شئ تقريبًا في هذا العام الرهيب[54].

وكما توقع اليساريون الجدد فقد أخذت الأحداث تتسارع في خريف 1967 تسارعًا متتابعًا، حيث ظهر على الساحة الوطنية في بيركلي، أحد مراكز الثورة القليلة التي ظلت محتفظة بروحها الثورية، جيري روبين الذي يتمتع بكاريزما عالية. وبتكليف من المنظمة الوطنية للحشد ضد حرب فيتنام المعروفة باسم "Mobe"، نظم هذا الناشط المخضرم، الذي حقق في انتخابات محافظ بيركلي في فصل الربيع نجاحًا لافتًا للنظر، أسبوعًا احتجاجيًا كاملًا حمل شعار "أوقفوا التجنيد"، وتمثلت لحظة الذروة المخطط لها بعد سلسلة من الفعاليات في كل مكان في البلاد في "مسيرة إلى البنتاجون" في يوم السبت الموافق 21 أكتوبر. قُدر عدد المشاركين بخمسين ألف فرد على الأقل، وهناك مصادر قدرت المشاركين بضعف هذا العدد، وكانت هذه واحدة من أهم المظاهرات المناهضة للحرب في جنوب شرق آسيا. لم يكن السبب في ذلك هو عدد المتظاهرين الذين وصلوا إلى واشنطن، بقدر ما كان السبب متمثلًا في التنظيم المتقن والقائم على العلانية والمحسوب له بدقة.[55]

لمراعاة حرص وسائل الإعلام على تحقيق السبق الصحفي وحس الجماهير، ضمن روبين لكل المجموعات والفصائل التي تجمعت في العاصمة أن تظهر كل منها إعلاميًا بالشكل الذي ترغب فيه، وقد ظهرت الصورة متنوعة بالفعل: "ارتدى بعضهم ملابس جيدة، في حين كان هناك فقراء، وظهر كثيرون من أبناء الطبقة المتوسطة. ولأن الهيبز كانوا هناك بدورهم فقد اندفعوا في أعداد كبيرة معتلين الربوة، وقد ارتدى كثير منهم مثل فرق سيرجنت بيبر، وظهر بعضهم في زي شيوخ عرب أو ارتدوا معاطف مطرزة

أكتافها بخيوط ذهبية مثل حارسي عقارات شارع بارك أفينيو الراقي في نيويورك، في حين ظهر آخرون بمظهر يذكر بأبطال الغرب الأسطوريين (...). ظهر مائة جندي يرتدون زي جيش الكونفدرالية الرمادي وبجانبهم مائتان أو ثلاثمائة شخص من الهيبز في زي ضباط قوات الاتحاد الأزرق. توافدت كل هذه الأزياء من كل مكان، ومن المتاجر التي تبيع بقايا أمتعة الجيش، ومن متاجر الأشياء المستعملة، ومن مراكز توزيع منظمة الحفارين Diggers المجانية، وكذلك من الأمتعة الهندوسية المبهرجة في خزانات متاجر العقاقير المخدرة." وقد سجل نورمان ميلر ملاحظاته خلال وجوده في المسيرة، وهو مشمئز حينًا ومبهور حينًا آخر قائلًا: "لقد توجه الحفل التنكري إلى ميدان المعركة!"[56]

لم يكن مخططًا لأكثر من مجرد "اقتحام" رمزي لوزارة الدفاع، فقد كان هدف جيري روبين وآبي هوفمان رفيق كفاحه الذي لا يقل عنه عبقرية، يتمركز حول الربط بين الثقافة المضادة واليسار الجديد. وقد لاقى تصريحهم باعتزامهم تحرير البنتاجون من شياطين الحرب باستخدام تعاويذ سحرية، ما كان متوقعًا من صدى كبير في وسائل الإعلام، حتى مع فشل محاولة إخلاء المبنى من العاملين فيه في ظل هذا التجمع الجماهيري الكبير. غير أن الموقف تصاعد في نهاية يوم طويل مليء بالندوات والأحداث والحب، حيث مارس المشاركون الحب ورقصوا وغنوا بصحبة الجيتار، وسار بعض الجنود في مسيرات عسكرية يحملون الزهور. ففي جنح الظلام أُحْرِقَتْ خطابات التجنيد الإجباري وعقدت بؤرة متشددة متبقية العزم على استفزاز القوات القابعة أمام البنتاجون، وقرابة منتصف الليل بدأت هذه القوات في الهجوم الفعلي فأصيبت متظاهرة إصابة خطيرة وألقي القبض على ألف متظاهر تقريبًا.[57]

وإذا تأملنا الموقف فيما بعد فسنجد أن هذه المشاهد التي حدثت عند مبنى البنتاجون كانت بمثابة جسر تحول فيه الموقف من أنماط الاحتجاج السلمية المدنية، كما طالبت بها الحركة الحقوقية القديمة، حركة الحديث الحر في بيركلي، التي سار الهيبز على نهجها، إلى الميل للعنف المميز لليسار المتطرف، وقد أخذ ينادي في ذلك الوقت "بالثورة". لقد نوقشت أسسهم النظرية بالطبع منذ وقت طويل، لكن كان ينقصها الدافع لتحقيق التطرف العملي، وهو ما وفره بعد ذلك تفاقم الأوضاع في فيتنام.

وفي ليلة 30 يناير 1968 اقتحمت قوات حرب العصابات التابعة للجبهة الوطنية لتحرير جنوب فيتنام (فيت كونج) ساحة السفارة الأمريكية في مدينة سايجون.[58] وعندما وصلت صور هذه الأحداث المهينة دون حذف من الرقابة (وصور الكارثة التي عمت جنوب البلاد) إلى شاشات التلفاز في بيوت الأمريكيين في المساء التالي، أصيبت الأمة بأكملها بصدمة. حتى المتفائلون بدأوا يتساءلون عن مدى إمكان الانتصار في تلك الحرب الجارية في الشرق الأقصى. حقًا كانت هناك هجمات شرسة تزامنت مع الاحتفالات الفيتنامية بالعام الجديد كما كان يحدث في الأعوام المنصرمة، غير أن هذه المرة شهدت هجوم تيت الشهير الذي كبد القوات الأمريكية والفيتنامية الجنوبية خسائر كبيرة على مدار أسابيع. كما أن إطلاق النار على أحد أعضاء فيت كونج وهو مقيد على قارعة الطريق[59] قد تحول إلى رمز لهذه الحادثة لا يمحى من الذاكرة، في بادئ الأمر نشرت صورتان أو ثلاث صور في الصحافة، ووضعت فظائع الحرب أمام عيني العالم كله، وكشفت كيف أن الولايات المتحدة الأمريكية قد خسرت من جراء ذلك أخلاقيًا.

انتشر الهلع داخل المؤسسة السياسية، وحتى وسائل الإعلام حاملة لواء الدفاع عن الحكومة مثل جريدة "وول ستريت" التي كانت قد تنبأت بهزيمة منكرة، وقد صرح فالتر كرونكيت، الإعلامي ذائع الصيت في شبكة قنوات كولومبيا للبث سي بي إس: ("اعتقدت أننا على وشك الانتصار في الحرب") وحذر من إمكان تفاقم الأوضاع بشكل قد يؤدي إلى كارثة "كونية". وفي برنامج بُثَّ خصيصًا من فيتنام أنهى كرونكيت حديثه موضحًا رؤيته الجديدة تجاه الأمور وأن السبيل الوحيد لإنهاء الحرب هو المفاوضات مع العدو.[60] منذ ذلك الحين لم يعد الرئيس جونسون يواجه مطالبة الراديكاليين له بالخروج الفوري غير المشروط فحسب، ولكن أيضًا شكوك وسائل الإعلام وعدد كبير ومتزايد من السياسيين المعروفين من حزبه. وفي يوم 31 مارس 1968، أي بعد أسبوعين من إعلان روبرت كينيدي نيته في الترشح للمنصب الرئاسي عن الديمقراطيين، أعلن جونسون تنحيه.

لم يتبق لليساريين وقت كاف لمشاعر الانتصار، حتى بعدما قرر مخضرمو حركة طلاب من أجل مجتمع ديمقراطي SDS مثل توم هايدن دعم كينيدي؛ حيث إنه بعد مرور أربعة أيام أطلق رجل أبيض النار على مارتن لوثر كينج في ميمفيس/تينيسي فأرداه قتيلًا. لم يكن من السهل السيطرة على موجة الغضب والتدمير التي تبعت ذلك وأثارتها

الأقليات في مدن عدة، حتى سقط روبرت كينيدي قتيلًا في يوم 5 يونيو جراء هجوم لم تتضح كل تفاصيله حتى يومنا هذا. ومن المؤكد أن كينج الحاصل مؤخرًا على جائزة نوبل للسلام قد جسد الجناح المعتدل في حركة السود، غير أن القتيلين وقفا معًا من أجل آمال سياسية ينقصها الآن وجود ممثلين بارزين. لقد عانت أمريكا في ذلك الوقت من صيف كئيب مليء بالعنف.

وبينما مُنيت القوات الأمريكية في فيتنام بخسائر لم تشهدها من قبل، حيث سقط في شهر مايو 1968 فقط 1800 جندي، وجرح عشرة أضعاف هذا العدد، كانت الأجواء في معظم الجامعات قد بلغت أقصى درجات الاشتعال. فقد انطلقت في كل مكان تقريبًا احتجاجات جديدة، وثار شاغلو المناصب السياسية من التيار المتطرف، وأُحرقت خطابات التجنيد الإجباري وانتشرت شعارات تتهم الرئيس بالضلوع في قتل الشباب الأمريكي كما يُقتل الشباب في فيتنام، مثل "كم طفلًا قتلت اليوم يا ليندون ب. جونسون؟"

أما المواجهات الأشرس فقد شهدتها كولومبيا، جامعة النخبة في نيويورك على حدود هارلم.[61] ارتبطت أسباب إثارة هذه الاضطرابات، التي قادتها مجموعة من نشطاء حركة طلاب من أجل مجتمع ديمقراطي المتطرفين في الجامعة، على الأقل بهذا الموقع الجغرافي. بغض النظر عن المضايقات التي تسبب فيها جوار السود، حيث تنامى السخط منذ أعوام بعد توسعة الجامعة، فقد اندلعت الشرارة في متنزه مورنينج سايد العام مع الشروع في بناء صالة رياضية كان من المخطط بناؤها منذ فترة طويلة. آلت الأمور في ربيع عام 1968 المتوتر بسرعة إلى نوع من العجرفة العنصرية، حيث كانت إمكانات قضاء وقت الفراغ للطلاب البيض ميسوري الحال على حساب فرص الترفيه المتاحة للسود الفقراء، وتزامنًا مع ذلك سعت حركة طلاب المجتمع الأفرو أمريكي الصغيرة إلى إثارة المواطنين وتحفيزهم تحت شعار: "لابد أن يرحل جيم كرو"[62] صحيح أن حركة طلاب من أجل مجتمع ديمقراطي لم يكن لديها صلة كافية بالسبعين شخص من السود، الذين كانوا يدرسون في ذلك الحين في جامعة كولومبيا، لكن مارك رود، رجل حركة طلاب من أجل مجتمع ديمقراطي الجديد القوي، تبنى قضيتهم بجدية، مثلها مثل كل الأمور المطروحة كمادة للصراع. وفي ذلك الوقت استُغِلَّ حفل تأبين لمارتن لوثر كينج، من أجل إثارة فزع أساتذة الجامعة مثل فريتز شتيرن[63] فقد أفسد رود وأتباعه الاحتفالية بحجة أن تكريم

شخصية حقوقية كبيرة في مؤسسة عنصرية مثل كولومبيا هو محض نفاق. وفيما سبق خطط الشاب ذو العشرين ربيعًا لقذف كعكة الليمون في وجه رئيس مؤسسة التجنيد في نيويورك داخل الجامعة، باعتبارها محاولة منه لإثبات انتمائه للجناح المتطرف من حركة طلاب من أجل مجتمع ديمقراطي والمسمى action faction، غير أن الوقاحة التي تصرف بها رود في النادي مع أعضاء حركة مازر فاكرز الأناركيين في إيست فيلاج في ذلك اليوم، لم يقابلها رد فعل ذكي من جانب إدارة الجامعة.

لم يتزحزح جرايسون كيرك، رئيس الجامعة عن موقفه في أسابيع الأزمة قيد أنملة، فهو لم يكتف بمنع أي مظاهرة في ساحات الجامعة، باعتباره خادمًا مخلصًا للجهات صاحبة المصالح العليا، وعضوًا في مجلس إدارة معهد الدراسات التحليلية للدفاع، الذي ربط جامعة كولومبيا بدراسات التسليح، ولكنه أعلن أمام جمهور خارج أسوار الجامعة أن شباب أمريكا على وشك الغرق في خطر فلسفة "العدمية". كما انتقد بعض أساتذة الجامعة هذا المسلك. وقام مارك رود بتفنيد خطبة رئيس الجامعة يوم 22 إبريل في خطاب معلن أطلق عليه اسم "عزيزي جرايسون": لقد قال مصححًا لأستاذ العلوم السياسية إن "العدمية"المتهمة ماهي في الحقيقة إلا "الاشتراكية" المأمولة. وقد تلا حديثه ذلك تهديدًا حقيقيًا مطعمًا كما جرت العادة بوعود بتحقيق مستقبل أفضل يخضع لكبار حركة طلاب من أجل مجتمع ديمقراطي المحليين. وأضاف: "لديك كل الحق في الشعور بأن الموقف "تشوبه بعض الخطورة". فإذا ربحنا فسنتحكم في عالمك، ومؤسستك وجامعتك وسنحاول خلق عالم يمكننا نحن وغيرنا أن نعيش فيه باعتبارنا بشرًا. (...) وسنضطر في أوقات ما أن ندمر، حتى باللجوء إلى العنف، من أجل وضع نهاية لسلطتك ونظامك، وهذا بعيد كل البعد عن العدمية."

إذا أثار الإفصاح العابر عن إمكان اللجوء إلى العنف، حال الحاجة إليه، الانتباه، فقد أبرزت السطور الختامية خطاب رود باعتباره قطعة مميزة من الأدب الثوري. لقد ربط نقد حرب فيتنام بتوجيه اتهام بأن جيل الشباب يقدم هناك "وقودًا" للحرب، وأنهى خطابه بتهديد صريح: "لم يتبق سوى أمر واحد أخير. ربما يبدو لكم الأمر من قبيل الفلسفة العدمية منذ أصبحت طلقة البداية في حرب من أجل الحرية. سأستعير كلمات ليروي جونز الذي أثق أنكم لا تحبونه كثيرًا: "Up against the wall, motherfucker, this is a stick-up"[64]

مع كل هذه الهجمات، ربما لم يكن من الذكاء تمامًا، على الرغم من أنه ليس مستغربًا، أن تصر إدارة الجامعة، على الرغم من فشل ذلك في البداية، على تنفيذ القانون والنظام، عندما اندلعت في اليوم التالي تظاهرات جديدة في موضع بناء صالة الألعاب الرياضية. تلا مسيرة الاحتجاج في المتنزه اعتصام في أول مبنى من مباني الجامعة، ثم انفصل أعضاء حركتي طلاب من أجل مجتمع ديمقراطي وطلاب المجتمع الأفرو أمريكي SAS وسلكت كل منهما طريقًا مختلفًا. وبينما تحاول مجموعة من أساتذة الجامعة الليبراليين التحدث مع الطلاب كما حدث من قبل، نشأت موجة من التعاطف مع الراديكاليين الملتفين حول رود. حتى توم هايدن الذي لم يعد عضوًا في حركة طلاب من أجل مجتمع ديمقراطي، صار الآن مستشارًا ومراقبًا، وعن طريقه انتقلت أخيرًا الرابطة الفكرية إلى برلين وباريس، وعندئذ أمكن اعتبار ذلك جزءً من حركة تمرد عالمية ثبتت حتمية حدوثها بعد الهجوم على رودي دوتشكه.

وفي أيام إبريل الأخيرة احتل مئات الطلاب خمسة مبانٍ ومكتب رئيس الجامعة، وقد "أسروا" أحد العمداء مؤقتًا، وعُلِّقت العملية التعليمية، وصار حرم الجامعة في شمال غرب مانهاتن قبلة الجماعة الراديكالية Radical Chic في نيويورك. لقد حضر كل من سوزان سونتاج ودويت ماكدونالد وآبي هوفمان وه. راب براون وستوكلي كارميشيل، ولم يغب عنهم نورمان ميلر كذلك. وأبدى شتيفان شبندر انبهاره "بالثوار الشباب"؛ لأنهم يوقظون في داخله ذكريات حنين إلى حقبة الحرب الأهلية الإسبانية، ومن ثم واصل سفره في النهاية إلى أوروبا ليزور السوربون وبراج وبرلين الغربية.[65]

لم يعايش شبندر الكثير من أحداث نهاية دراما حرم الجامعة التي استمرت لمدة ستة أيام وسبع ليالٍ، كما عايشها غيره من المشاهير؛ حيث تدخلت شرطة نيويورك بأمر من جرايسون كيرك في ساعات الصباح الأولى من يوم 30 إبريل لإخلاء كل مباني الجامعة. عدَّ المتضررون هذا الأمر دلالة على بداية ظهور"الوجه الصريح للفاشية"، وقد تنبأ المراقبون كعالم الاجتماع دانييل بيل الذي قال آسفًا إن هذا المسلك الوحشي من جهة الشرطة سيزيد من "تطرف" جماعات أخرى من الطلاب في غضون ساعات قليلة. وقياسًا على الطاقة

النفسية والجسدية، التي تدفقت إلى ساحة الصراع في كل الجهات، فمن المحتمل أن تتدهور الأمور في الختام، وقد أفادت التقارير أن حصيلة الجرحى بلغت 150 تقريبًا، في حين قُبِضَ على 700 شخص.

على المدى المتوسط للرؤية كانت حالة السخط والإصابات الحالية هي نتائج ما حدث. زادت حدة الاستقطاب الفكري في الجامعات، بعد ثورة كولومبيا التي ظل تأثيرها المزلزل شاخصًا لفترة طويلة بالطبع في منشورات الحركة. فقد تحرك كثير من الليبراليين خطوة في اتجاه اليمين، وعلى النقيض روج جناح التنظير في حركة طلاب من أجل مجتمع ديمقراطي لفكرة المتاريس "لجلب الحرب داخل الديار". ورأى فيدل كاسترو في الطلاب "الفدائيين في مجال الثقافة"، وقد كتب توم هايدن على غرار ما كتبه تشي جيفارا، بطل هذه الحقبة، عنوان: "اثنان، ثلاثة، كثير من الكولومبيين Two, Three, Many Columbias".[66] أما مارك رود، الذي طرد من الجامعة، لكنه أصبح فيما بعد واحدًا من مشاهير حركة طلاب من أجل مجتمع ديمقراطي، فقد قرر في العام التالي التوجه إلى العنف. استقال جرايسون كيرك من منصبه في نهاية هذا الفصل الدراسي غير الموفق ملقيًا بيانًا صرح فيه أنه بعد سبعة عشر عامًا تولى فيها رئاسة الجامعة يريد أن يدع فرصة لجامعته لبداية هادئة في عام أكاديمي جديد.

وبحلول نهاية شهر أغسطس عام 1968، حين كان طلاب غرب أوروبا في إجازاتهم السنوية وكانت دبابات السوفييت تزحف في ميدان وينسيلاس في مدينة براج، بلغت حركة المعارضة الأمريكية ذروتها قبل "شيكاغو 68"، في يوم5 نوفمبر وهو يوم اختيار حزب الديمقراطيين مرشحه للمنصب الرئاسي.[67]

وبمناسبة هذا الحدث المهم الذي تسبب في سخط مختلف الجماعات المناهضة للحرب منذ شهور،[68] خطط آبي هوفمان وجيري روبين لشيء خاص سرًا، وقد سميا أنفسهما يبيز Yippies (وهي اختصار ذو رنين ولكنه غير ذو معنى نسبة إلى حزب الشباب الدولي)، ففي خضم هذا المشهد الموقفي الذي استمر لعدة أيام أرادوا طرح اسم "السيد بيجاسوس" للترشح للرئاسة، وهو الاسم الذي يطلق على الخنزير الأليف. لم يكن ذلك هو السبب تحديدًا ولكن مع انتظار انطلاق مظاهرات كبيرة واحتمال وقوع أحداث شغب

عنصرية فقد سعى الحاكم ريتشارد ديلي، وهو واحد من رؤساء حزب الديمقراطيين القدامى، إلى تأمين الموقف مستعيناً بأكثر من 20 ألف شرطي وجندي وفرد من الحرس الوطني، مصدراً مجموعة من المحظورات تحسباً لتوتر الأجواء. أخذ آبي هوفمان يتحدث عن شيكاغو وشعر آخرون أنهم في "براج الغربية". كانت الأجواء متوترة حقيقة لدرجة أن هذه الأحداث لاقت تفهماً كبيراً لدى الصحفيين الذين سافروا بالمئات إلى هناك.

بينما عانت المؤسسة الديمقراطية من محاولة الاختيار بين أيجين مكارثي المناهض الصارم للحرب ونائب الرئيس جونسون هوبرت هامفري (أما الأخير فقد كان قد ترشح ضد ريتشارد نيكسون وخسر)، تمركز اهتمام التلفاز على الأحداث خارج "الساحة الدولية". إن حضور العديد من الفنانين والمثقفين اليساريين، من بينهم بالطبع نورمان ميلر، أكسب النشاطات الاحتجاجية والأحداث في متنزهات وسط المدينة نكهة إضافية، كما أن الاشتباكات المسائية مع الشرطة كانت ذات قيمة إخبارية. وفي اليوم الثاني أثقلت الأحداث، التي جرت على هامش هذا التجمع، المناقشات التي دارت بين الوفود المفوضة، وقد اشتكى بعض الساسة من عنف ووحشية قوات ديلي وانتقد أحد أعضاء مجلس الشيوخ استخدام "طرق الجستابو" في شوارع شيكاغو. أما الفرصة التي كان من شأنها أن تتاح لنجم آخر باعتباره مرشحاً في السباق الرئاسي عن الحزب الديمقراطي بعد مقتل روبرت كينيدي فقد ضاعت. وامتلأت وسائل الإعلام لمدة أيام بتقارير لا تدور حول ترشح هامفري وتراجعه الاستراتيجي لجذب الشباب المعارض، وإنما حول العنف المطلق الذي تقوم به أجهزة الدولة. ومن دواعي عجب الكثيرين ممن عايشوا "شيكاغو 68" لفترة طويلة أن ذلك لم يسفر عن مقتل أحد.

لعبت الصور التي عرضها التلفاز عن شيكاغو، أكثر المدن الأمريكية تأمركاً، في وضع الأزمة بكل دراميتها أمام أعين الجميع في الدولة، والتي كانت قد تورطت فيها السياسة والمجتمع منذ منتصف الستينيات. وازدادت الحيرة حول إلى أي جانب ينحاز الفرد، ففي الأيام الأخيرة من أغسطس عانت الولايات المتحدة من انقسام الأمة: السخط السياسي لقطاع كبير من الأقلية السوداء والطلاب، والجبهات المنقسمة بين مؤيدي ما حدث ورواد أفكار ما بعد المادية، والاستياء من الحداثة الرأسمالية، والتوتر بين الأجيال (واعتقاد الشباب أنهم يمثلون جيلاً جديداً تماماً). كل هذه الأمور تفاقمت في السنوات الأخيرة، كما

كانت حرب فيتنام بدورها عاملًا مساعدًا في ذلك.

لذلك لم تتوقف التظاهرات طالما الحرب مستمرة في جنوب شرق آسيا. وانطلقت مظاهرات ضخمة كذلك في بداية السبعينيات. وعندما أصدر الرئيس نيكسون في إبريل 1970 أمرًا بقصف كمبوديا، أجاب الطلاب وأساتذة الجامعة باعتصامات في كل بقعة من البلاد. وقد انفجرت الأوضاع في أوهايو بسبب العنف وهو ما غطى كل ما جرى في جامعات أمريكا في السنوات المنصرمة، ففي يوم 4 مايو، بعد اضطرابات سادت حرم جامعة كينت ستيت والمدن الصغيرة المجاورة لمدة أيام، أطلقت قوات الحرس الجمهوري فجأة النيران على هذه الجموع، فلقي أربعة طلاب مصرعهم، وأصيب تسعة آخرون.[69] ووصف الإعلام هذه الحادثة "بالمذبحة"، ودون ترتيب تفرقت المسيرة الاحتجاجية المناهضة للحرب، التي تجمعت في واشنطن في أعقاب هذه الأحداث، إلى جانب ما وقع من أعمال عنف وحشية.

ازداد الميل إلى العنف في سنوات الاحتجاج هذه بكل تأكيد. لقد ضاعت جزئيًا في الممارسة الحقيقية مبادئ العصيان المدني، التي دخلت تحت لوائها حركة حقوق المواطنة ونمت حركة الطلاب سيرًا على خطاها، ومن جهة أخرى فقد وضعها منظرو اليسار الجديد وحركة القوة السوداء موضع تساؤل، غير أن عدد الذين عرفوا بالمسلك العنيف على مدار تصاعد الأحداث واختاروا في النهاية طريق الإرهاب ظل قليلًا بل وضئيلًا مقارنة بعدد محركي هذه الاحتجاجات.

ظلت الخبرات المترتبة على أحداث "شيكاغو 68" نقطة تحول في وعي الحركة الطلابية لاسيما حركة طلاب من أجل مجتمع ديمقراطي.[70] إن الخلاف حول عما يجب اتباعه بدقة من نتائج الجدال حول "الثورة" و"التحرر" و"حرب عصابات الشوارع"، وعما إذا كان في مقدورهم عد عمليات حزب الفهود السود قدوة، أدى في صيف 1969 إلى انقسام جناح ويزرمين المتطرف التابع للحركة. فيما تلا ذلك سارت الأمور كلها بسرعة كبيرة: بعد مظاهرات "أيام الغضب الأربعة" في أكتوبر في مدينة شيكاغو، التي كان من المتوقع اشتراك عشرة آلاف فيها وبدلًا من ذلك لم يشارك سوى بضع مئات من المقاتلين، حدث في ديسمبر 1969 لقاء أخير على مستوى البلاد لطلاب من أجل مجتمع ديمقراطي. وعندما أعلن أعضاء جناج ويزرمين بعد مرور شهرين بداية "الكفاح المسلح" كانت

معظم المجموعات المحلية للحركة قد انحلت وتفرقت.

إن نهاية منظمة الطلاب كانت علامة على أن الحراك الاجتماعي والثقافي، الذي حفز التمرد منذ بداية الستينيات ودفعه إلى الأمام، كان قد نفد إلى حدٍ ما. لقد أُنهك قادة الثورة.[71] ومما ساهم في إضعاف بعض قادة الطلاب أنهم كانوا يغالون بشكل كبير في تقدير القوة الثورية لمجموعاتهم الاجتماعية، لا سيما عندما يعقدون مقارنة بينهم وبين جموع الشعب التي لا تُحْشَد ولو بشكل جزئي، وبالتالي أخدوا يغالون في مطالبهم بالتغيير حتى تعدت دروب الخيال.[72] إن مفردات من قبيل كآبة، والاستسلام، وتدبر الممكن، والتركيز على المتاح كانت هي التي صاحبت ضعف الحركة. وتحولت "الحركة" إلى مجرد أسطورة.

مع كل الغموض الذي اكتنف قطاعات من "جيل التمرد"، ومنهم الهيبز في المقام الأول، فإن محاولات فك شفراتها الحالية تظل متأثرة بعنصر البراجماتية القوي، الذي لم يكن ملاحظًا بشكل خاص في ألمانيا، أو على الأقل حتى فترة قريبة. إن حركة تحرير المرأة والقوة الخضراء(green power) وقوة المثليين(guy power) والقوة الرمادية (grey power) وغيرها من محاولات تحرر الهنود وأقليات عرقية واجتماعية وثقافية أخرى، هي أمثلة على ظهور منظار للفاعلية الحقة في الولايات المتحدة الأمريكية منذ نهاية الستينيات،[73] والتي تمثّلت فيها غالبًا قوة ضغط خاصة للتغيير، لكنها لم تتمكن من حرمان هذه المجموعات من المشاركة أو الفعل السياسي العام.

قدم توم هايدن، شاعر بورت هورون السياسي، أفضل مثال على ذلك، فقد صفق، بصفته موفدًا من الحزب الديمقراطي في كاليفورنيا، لريتشارد ديلي يوم ترشيحه من قبل الحزب عام 1976 في نيويورك، والذي اعتُبر مسؤولًا عن أحداث "شيكاغو 68"، بعدما كان قد هاجمه هو شخصيًا في يوم اجتماع الحزب عام 1972 هجومًا شديد الوطأة. تابع هاريس ووفورد المشهد الذي تلا ذلك: سأل المذيع هايدن: "لماذا تفعل ذلك؟" فأجاب قائلًا: "خلاصة القول إنني سعيد بعودته."، فما كان من المذيع إلا أن ذكره بأنه قد هاجم سياسة ديلي وحرك ضده دعوى قضائية، "لكن ألم تطالب باستبعاده في عام 1972؟" فأجاب هايدن: "بلى، لكن ربما كنا مخطئين، فسياسات الاستبعاد لا تفلح في الغالب.

وضحك ضحكة خافتة وهو يتابع قائلًا: "كما أن سياسات الاحتواء ربما لا تفلح هي الأخرى." سأله المراسل: "هل ستصعد لمصافحته؟" فرد توم هايدن: "لم أبلغ هذا الحد بعد."[74]

الهوامش

1- الفصل الأول (الولايات المتحدة الأمريكية)

بيع من هذه الأغنية عام 1967 حوالي 5 مليون إسطوانة، وعنوانها كاملًا:

"(San Francisco (Be Sure To Wear Some Flowers In Your Hair"

2 - ورد العدد في Anderson, Movement, S. 46، لمعلومات أكثر عن الاعتصامات وتوابعها، انظر Carson, Struggle, S. 9 ff.، ويوجد جدول كذلك في Oppenheimer, Sit-In, S. 42 f.، تفاصيل عن جرين سبورو في Raines, Soul, S. 75–82، (حوار مع فرانكلين ماكين، وهو واحد من المشاركين).

3 - منشأ المصطلح غير معلوم، وهو يعبر عن النظام القانوني للتمييز العنصري المعتمد من بعد الحرب الأهلية الأمريكية.

4 - انظر Meier/Rudwick, CORE,S.13 f.; zur NAACP jetzt Berg,Ticket.

5 - لتفاصيل أكثر انظر: Carson, Struggle

6 - هناك تصوير مقتضب للحدث لدى Riches, Movement, S. 27–29

7 - انظر: Farber, Age, S. 73; laut Stern, Visions, S. 51، كما أن هذه النسبة تسري كذلك على عام 1963.

8 - انظر: Stern, Visions, S. 40–62

9 - انظر: Schlesinger, A Thousand Days في المرجع Stern, Visions, S. 44

10 - يوجد تصوير أكثر دقة في مرجع Riches, Movement, S. 39–44

11 - لصورة أدق انظر: Meier/Rudwick, CORE, S. 135–158

12 - لتفاصيل أكثر انظر: Morris, Origins, S. 250–274، Farber, Age, S. 86–89

13 - ورد هذا الاستشهاد في Washington, Testament, S. 289–302، وهنا في صفحة 295: ("لقد توصلت تقريبًا إلى استنتاج مؤسف بأن العقبة الكبرى أمام الزنوج لا تكمن في قوات الدفاع المدنية من البيض أو جماعات كو كلوكس كلان، ولكن في المعتدلين من أصحاب البشرة البيضاء، الذين يهتمون بالنظام على حساب العدالة.")

14 - ورد هذا الاستشهاد في Stern,Visions, S. 86، ونصه: ("لا يجب أن تظل حركة مقاومة التمييز العنصري متمثلة في حركة للزنوج يباركها الساسة البيض في شمال البلاد، فلابد لها من تجاوز ذلك؛ لتشيع في كل أنحاء البلاد لإنفاذ القوانين القومية، حيث تقودها وتوجهها الحكومة في واشنطن.").

15 - انظر: Morris, Origins, S. 274

16 - انظر: Stern, Visions, S. 88

17 - انظر: Farber, Age, S. 84

18 - ورد هذا الاستشهاد في: Stern, Visions, S. 104

19 - لتفاصيل أكثر انظر: Isserman, Hammer, S. 3–34

20 - للتفرقة بين الجيل الأول من الطلاب النشطين سياسيًا من الطبقة المتوسطة ومن جاءوا بعدهم ممن لم يهتموا كثيرًا بالتنظير البحت، انظر:

Todd Gitlin: Das doppelte Selbstverständnis der amerikanischen Studentenbewegung, in: Gilcher-Holtey, 1968, S. 56–63

وهنا في صفحة 57.

21 - لمعلومات عن "اليسار الجديد" انظر:

Isserman/Kazin, America,S. 165–186

22 - لرؤية تفصيلية وغنية أكثر انظر:

Sale, SDS, S. 42–59; abgewogen Anderson, Movement, S. 61–66; vgl. auch Juchler, Studentenbewegungen, S. 26–31

23 - ورد هذا الاستشهاد في Albert/Albert, Papers, S. 176–196، وهنا في صفحة 176، والترجمة منقولة عن: Jacobs/Landau, Neue Linke, S. 144–160، وهنا في صفحة 144 ("نحن أبناء هذا الجيل نشأنا في ظل مستوى متواضع من الرفاهية، ومكاننا الآن هو الجامعات، ويملأنا شعور بعدم الرضا تجاه العالم الذي سيصبح يومًا ما ملكًا لنا.").

24 - ورد هذا الاستشهاد في Albert/Albert, Papers, S. 181، والنقاط البارزة موجودة في الأصل، والترجمة لدى Jacobs/Landau, Neue Linke, S. 15 ("نحن ننشد استبدال السلطة القائمة على الملكية والامتيازات أو الصدفة بنوع آخر يقوم على الحب والتفكير والعقل وقوة الإبداع. إن النظام المجتمعي الذي نطمح إليه هو ديموقراطية مشاركة الفرد التي يحددها مبدآن: لابد أن يشارك الفرد في القرارات الاجتماعية التي تحدد نمط حياته ومسارها، وعلى المجتمع أن يتشكل بحيث يشجع استقلالية الإنسان ويتيح وسائل الإعلام للمشاركة العامة.").

25 - انظر:

C. Wright Mills, Letter to the New Left, in: The New Left Review (1960), teilweise abgedruckt in: Albert/Albert, Papers, S. 86–92.

26 - لتفاصيل أكثر: Sale, SDS, S. 95–115

27 - انظر: Stern, Visions, S. 189 ff.

28 - انظر العرض التفصيلي في Rorabaugh, Berkeley, S. 18–47، وقد نقلها بحماس أكبر نشط سابق في Goines,Movement,bes.S.113–163، وفي Gilcher-Holtey,68er, S. 26–29 مع بعض المغالاة في دور SDS في بيركلي.

29 - رؤية متأخرة للموقف بعد مرور أربعين عامًا من خلال حوار مع عالم فلسفة اللغة في ذلك الوقت في بيركلي John R. Searle، في

Die Zeit, 2.12.2004, S. 50 ("Die Mutter aller Studentenrevolten").

30 - انظر: Brick, Age, S. 29; Rorabaugh, Berkeley, S. 22

31 - انظر: Rorabaugh, Berkeley, S. 33 f

32 - كانت الخلفية عبارة عن شكل حديث للإدارة الطلابية، وكانت تسخر منها صحيفة Daily Californian الطلابية عام 1965: "إن الطلاب الوافدين الجدد عليهم تعلم ربما درس رقم 1 وهو ألآ يقوم بثني ولا طرق ولا قطع بطاقةIBM الخاصة به."، ورد هذا الاستشهاد في Rorabaugh, Berkeley,S. 18. لكن هذا الموضوع فُسِّرَ مجددًا في الوقت الراهن بشكل مختلف، انظر التأويلات المختلفة لدى

Hans Günter Hockerts: "1968" als weltweite Bewegung, in: Schubert, 1968, S. 13–34, hier S. 16, und Gilcher-Holtey, 68er, S. 28.

33 - انظر: Rorabaugh, Berkeley, S. 24.

34 - هناك كتابات كثيرة عن الحركة المناهضة لحرب فيتنام، من أهمها:

-DeBenedetti/Chatfield, Ordeal; Zaroulis/Sullivan, Who; Juchler, Studen

tenbewegungen, S. 51–127

35 - انظر:

The War on Vietnam. A McComb, Mississippi, Protest, zit. Nach Joanne Grant (Hrsg.): Black Protest. History, Documents, and Analyses, 1619 to the Present, Greenwich 1974, .S. 415–416, Zit. S. 415

فيما بعد تعلق الأمر بأول حركة احتجاجية ضد حرب فيتنام قامت بها حركة الحقوق المدنية على الإطلاق.

36 - انظر: Sale, SDS, S. 203–222; vgl. auch Juchler, Studentenbewegungen, S. 62–69.

37 - للتعرف على استطلاع رأي مؤسسة جالوب والتصويت الذي حدث في ذلك الحين، انظر:

.Anderson, Movement, S. 150 f.; vgl. auch DeBenedetti/Chatfield, Ordeal, S. 127

38 - انظر Zaroulis/Sullivan, Who, S. 1–5؛ حتى عام 1970 حدث في أمريكا خمس حالات حرق للذات أخرى.

39 - انظر Gitlin, World

40 - البيانات مستقاة من Baskir/Strauss, Chance, S. 5–9

41 - لتفاصيل أكثر انظر: Horne, Fire

42 - يمكن الاطلاع على المزيد في:

Andreas Eckert: Predigt der Gewalt? Betrachtungen zu Frantz Fanons Klassiker der Dekolonisation, in: Zeithistorische Forschungen 3 (2006) 1, S.

169–175.

43 - ورد هذا الاستشهاد في Anderson, Movement, S. 158 f.

44 - انظر: Ferber/Lynd, Resistance, S. 47–67.

45 - انظر: Zaroulis/Sullivan, Who, S. 70–76.

46 - لرؤية منهجية حول هذا الجزء انظر:

Jakob Tanner: "The Times They Are A-Changin'". Zur subkulturellen Dynamik der 68er-Bewegungen, in: Gilcher-Holtey, 1968, S. 207–223.

47 - اتسمت الكتابات عن الهيبز بالتشرذم والحنين إلى لماضي، صورها Anthony, Sommer، وقدم مختصرًا جيدًا عنها

Anderson,Movement,S.170–176,241–291; Farber, Age, S. 167–189.

48 - انظر: Time Magazine, 7.7.1967, S. 12–20، وكذلك التعليقات على صورة الغلاف في "Letter from the Publisher", S. 3.

49 -انظر Mailer, Nixon, S. 152.

50 - انظر Harper's Magazine, Oktober 1967, zit. nach Marwick, Sixties,S. 496.

51 - انظر Time Magazine, 7.7.1967, S. 20، يمكن الاطلاع على رؤية مضادة ظهرت في تقارير نقدية كثيرة في نهاية العام على سبيل المثال في جريدة نيويورك تايمز، وأعيد نشرها في مجلة Der Spiegel, 4.12.1967,S. 193–200

52 - هناك مختصر واضح لفن الستينيات وثقافتها لدى Marwick, Sixties, S. 316–358

53 - انظر: Flender/Rauhe, Popmusik

54 - توجد رؤية للموضوع خاصة بالولايات المتحدة الأمريكية لدى: Marwick, Sixties, S. 642

55 - لطرح أكثر إقناعًا انظر:

Farber, Chicago, S. 11; Farrell, Spirit, S. 223;vgl. auch Marwick, Sixties, S. 545 f.; Schmidtke, Aufbruch, S. 106

56 - انظر: Mailer, Heere, S. 142 f، صدرت الطبعة الألمانية الأولى بعنوان:

Der Marsch auf das Pentagon. Ein Bericht über den 21. Oktober 1967, in: Der Monat 20 .(1968) 8, S. 77–94, Zit. S. 86 f

57 - انظر: Marwick, Sixties, S. 546

58 - انظر: Zaroulis/Sullivan, Who, S. 149–164

59 - تعرض الصورة الجنرال نجوين نجوك لوان Nguyen Ngoc Loan في يوم 7-2-1968 وهو يوجه مسدسه إلى رأس الأسير، وقد تحول هذا المشهد إلى فيلم. ومن الجدير بالذكر أن هناك صورة أخرى لمجموعة قتلى من المدنيين أثناء مجزرة ماي لاي الأمريكية في يوم 16-3-1968، لكن هذه الصورة انتشرت فيما بعد، في حين خلد التاريخ أسطورة لقطة تصور أطفال هاربين في شوارع فيتنام وفي المنتصف فتاة مجروحة وعارية، منحت في عام 1973 جائزة بوليتزر. انظر:

Gerhard Paul: Die Geschichte hinter dem Foto. Authentizität, Ikonisierung und Überschreibung eines Bildes aus dem Vietnamkrieg, in: Zeithistorische Forschungen 2 (2005) .2, S. 224–245

60 - يمكن الاطلاع على نص كرونكايت في:

Zaroulis/Sullivan, Who, S. 152; vgl. auch Anderson, Movement, S. 185; Chester J. Pach Jr.: Tet on TV: U. S. Nightly News Reporting and Presidential Policy Making, in: Fink/Gassert/Junker, 1968, S. 55–81.

61 - لتفاصيل أكثر انظر: Avorn, Wall، وهناك رؤية أكثر وضوحًا لدى

FritzStern:Fünf Deutschland und ein Leben. Erinnerungen, München 2007, S. 316–332. Anderson, Movement, S. 193–203; Caute, Sixty-Eight, S. 141–156; auch Zaroulis/Sullivan,Who, S. 165–168; Juchler, Studentenbewegungen, S. 285–295.

وفي معالجة وصفية للصحافة المعاصرة: Kurlansky, 1968, S. 206–239

62 - يعود هذا التلاعب اللفظي إلى "جيم كرو"، وهناك معالجة إخبارية متحيزة في:

The Siege of Columbia, in: Ramparts, 15.6.1968, S. 27–39.

63 - انظر: Stern, Deutschland (wie Anm. 61), S. 320

64 - ورد هذا الاستشهاد لدى Avorn,Wall, S. 26 f.: ("لديك كل الحق في تقديرك أن الموقف "خطير إلى حد ما"؛ لأننا عندما نربح سنستعيد السيطرة على عالمكم، ومؤسساتكم، وجامعتكم وسنحاول خلق عالم نستطيع أن نعيش فيه نحن والآخرون باعتبارنا مخلوقات آدمية. (...) ستوجد أوقات سنضطر فيها لتدمير بعض الأشياء، وبعنف، لإنهاء سلطتكم ونظامكم – لكن هذا بعيد كل البعد عن الفلسفة العدمية." – "وهناك شئ أخير. ربما بدا الأمر كنوع من العدمية؛ لأن كل ذلك يعد انطلاقة حرب التحرير. وأستعير هنا كلمات ليوري جونز الذي ربما لا تحبونه كثيرًا: "أيديكم إلى الحائط، أيها الأوغاد، فهذا أمر اعتقال").

65 - انظر Spender, Rebellen, S. 10 f.

66 - هكذا كان عنوان مقال هايدن في: Ramparts, 15.6.1968,S. 40، كما كان يمكن قراءة الشعار في داخل الحرم.

67 - توجد دراسة متوازنة وتفصيلية قدمها: Farber, Chicago، وكذلك Juchler, Studentenbewegungen, S. 300 –306، وبطريقة روائية Kurlansky, 1968, S. 303–319، وفي زمن قريب: Mailer, Nixon، وفي شكل سرد سيرة ذاتية: Wofford, Kennedys, S. 427–452

68 - انظر: Zaroulis/Sullivan, Who, S. 175–208

69 - لتفاصيل أكثر وللتعرف على ما تلا ذلك من أحداث انظر: Gordon, Fourth

70 - انظر: Sale, SDS, S. 600–651

71 - كنشط سابق في SDS انظر: Gitlin, Sixties, S. 377–438

72 - انظر: Gitlin, Selbstverständnis (wie Anm. 20), S. 61.

73 - ولرؤية جيدة للأمر انظر: Anderson, Movement, Teil II

74 - انظر: Wofford, Kennedys, S. 452 ("سأل المذيع هايدن: "لماذا تفعل ذلك؟" فأجاب قائلًا: "خلاصة القول إنني سعيد بعودته."، فما كان من المذيع إلا أن ذكره بأنه قد هاجم سياسة ديلي وحرك ضده دعوى قضائية، "لكن ألم تطالب باستبعاده في عام 1972؟" فأجاب هايدن: "بلى، لكن ربما كنا مخطئين، فسياسات الاستبعاد لا تفلح في الغالب. وضحك ضحكة خافتة وهو يتابع قائلًا: "كما أن سياسات الاحتواء ربما لا تفلح هي الأخرى." سأله المراسل: "هل ستصعد لمصافحته؟" فرد توم هايدن: "لم أبلغ هذا الحد بعد.")

الفصل الثاني

أهو مسار ألماني خاص؟

"ترددت على مسامعنا عبارة رغبة الطلاب الألمان
في معرفة الحقيقة؛ فهم يرفضون مواصلة خداعهم"

كلمات كارل كاسبرس إلى الفيلسوفة هانا آرندت،
يوم السابع والعشرين من شهر يوليو عام 1964[1]

بعد مرور عشرة أعوام على الأحداث كاد ستار النسيان أن يُسدل على حركة "عام 68" من الناحية السياسية في أمريكا، لكن في المقابل فإن الثقافة الجماهيرية بدا أنها قد استوعبت طاقات الثورة وقيمها وأفكارها استيعابًا كبيرًا. حيث كانت الأخيرة سارية في جمهورية ألمانيا الاتحادية كما كان الحال في كل المجتمعات التابعة للرأسمالية الاستهلاكية المتقدمة. غير أنها كانت في عصر الرأسمالية الاستهلاكية أسيرة انطباع خطير بلغ ذروته الدرامية في "الخريف الألماني" لعام 1977 (مثلما كان الوضع بالنسبة لإيطاليا)[2].

في ضوء الإرهاب اليساري لفترة السبعينيات والثمانينيات وأوائل التسعينيات من القرن الماضي شهد تاريخ المعارضة خارج البرلمان (APO)، كما كانت "حركة عام 68" تُفضل أن تسمي نفسها في تلك الفترة بعض، الانكماشات التي ألقت بظلال عميقة على تاريخها الأولي، ولم يسهم ذلك في الفهم العقلاني للحدث وأسبابه. في الوقت الذي حاول فيه بعضهم (وما زالوا) إعداد مخربين للمجتمع المدني وفضائله من المتمردين، صعّد آخرون احتجاج الطلاب لفترة من الوقت؛ ليصبح فعلًا تأسيسيًا مُعوضًا عن ديمقراطية لم تكتمل آنذاك في ألمانيا الغربية. أثناء ذلك تخير المحتجون لأنفسهم اسم "حركة عام 68" وأقصوا بذلك أقرانهم الذين لم يقضوا عام 1968م بالجامعات، بل في المكاتب

والمصانع وأدركوا "روح العصر" بطريقتهم.

لكن من يسعى إلى الوصول إلى تفسير تاريخي، ومن يريد أن يفهم من أين جاءت حركة عام 68/1967 وما دافعها، عليه أن يعود عشر سنوات إلى الوراء، إلى الثلث الأخير من عهد المستشار الألماني كونراد آديناور. آنذاك أي نهاية فترة الخمسينيات بدأت تتشكل تركيبة معينة من جيل يُقال إنه سادت به صراعات بين المعارضة خارج البرلمان و"النخبة الحاكمة" لمدة خمس سنوات، وتولدت هذه الصراعات في ألمانيا أكثر من أي مكان آخر في أوروبا (ولا نتحدث عن أمريكا) من خبرة الحرب العالمية الثانية، وبالأحرى من التعامل مع الحزب النازي وجرائمه. وحتى ولو كان السياق - الذي نُظر إليه في عصره نظرة جيدة – كان محل خلاف متكرر في السنوات الأخيرة.3

لم يشكل نقد "الماضي الذي لم يُنس"، والفضيحة السياسية الأخلاقية لاستمرار النخبة الفاعلة من "الرايخ الثالث" لجمهورية ألمانيا الاتحادية والمُعاد إنتاجها بالكامل تقريبًا الباعث الوحيد والأساسي لأي اغتراب بين الأجيال بدأ يتضح من أوائل الستينيات بوصفه "أزمة شرعية" النظام السياسي ومؤسساته. ويكمن الفارق الأساسي عن تطور الثورة في الديمقراطيات الغربية بداخل إعادة إنتاج صراع سياسة الماضي. وبعيدًا عن كل تصورات الحياة المفككة ومصطلح "التحول القيمي" العام الذي كثُر استخدامه واجتاح المجتمعات الصناعية المتأخرة في عصره، فإن ذلك كان هو الأمر الفريد في مستهل تاريخ حركة "عام 68" في جمهورية ألمانيا الاتحادية الذي ظل مؤثرًا في التاريخ اللاحق.

أطفال القهر

ميلاد جيل من روح انتقاد النازية

لا يشير التاريخ الفاصل عام 1945 رمزيًا لمنتصف "حركة عام 68" اللاحقة فحسب، بل إن مواليد فترة الأربعينيات تقريبًا جزء منها.[4] ومن ثم صادفناهم في خريف 1957 طلابًا في المدارس عندما حصل الاتحاد المسيحي الديمقراطي مع كونراد آديناور على الأغلبية الساحقة في البرلمان لأول مرة في تاريخ ألمانيا وآخرها. آنذاك استعدت أصغر الشرائح العمرية وأكثرها ذكاءً للمرحلة الثانوية، في حين كانت الشريحة الأكبر سنًا تستعد لشهادة الثانوية الألمانية. وكان من المسموح به أن تكون يوميات آنا فرانك من النصوص المدرسية لكثيرين منهم، وربما شاهد الجيل الأكبر سنًا فيلم "ليل وضباب" „Nacht und Nebel“ عام 1955 للمخرج الفرنسي آلان رينيه عن معكسرات التعذيب، وربما قرأوا بعد ذلك عن "محاكمة قوات الصاعقة أولم" (1958) التي بدأت مرحلة الثأر من جرائم النازية التي لا تغتفر بعد سنوات من الصمت. وكان هناك بعض الأخبار التي أثارت الانتباه على مستوى العالم وحثت على استمرار وعي ناقد للماضي لأبناء فترة الحرب وما بعدها وهي أخبار أحداث فترة عيد الميلاد عام 1959 التي تناولت خبر رسومات الصليب المعكوف على المعبد اليهودي بمدينة كولونيا الذي أعيد افتتاحه قبل فترة وجيزة، ومحاكمة أحد قادة كتيبة العاصفة النازية أدولف آيشمان AdolfEichman في فلسطين، ثم بعد ذلك بعامين قضية معسكرات التعذيب في مدينة فرانكفورت الواقعة على نهر الراين.

كل هذه الأحداث تشير بوضوح إلى أمرين الأول هو أن المنتمين إلى "حركة عام 68" لاحقًا ليسوا هم أول من أدركوا مشكلة ماضٍ لا يمكن تجاوزه ونسيانه في مقابل التفسير الذاتي اللاحق. أما الأمر الثاني فقد أضحى جليًا أن هذه الأعوام كانت تحت طائلة مساعي التنوير الأولية بطريقة خاصة ومتناقضة للغاية؛ حيث وقفت ردود الفعل المدافعة أو المبررة للآباء والأمهات أمام المبادرين الناقدين المدفوعين من أقلية من المفكرين الأكبر سنًا ومن صفوف "الأخوة الكبار" من جيل قوات الدفاع الجوي وشباب هتلر مثل المعرض الذي نظمه اتحاد الطلاب الاشتراكيين (SDS) ببرلين حول الناشط الألماني راينهارد شتريكر ReinhardStrecker عام 1959 بعنوان "عدالة النازية المُنزهة عن العقاب"[5]

وإذا تصورنا أن صمتًا مشحونًا سائدًا على موائد العشاء أمر مبالغ فيه فإن أدب الذكريات ينقل لنا إطلالة كافية عن صعوبات محددة للتفاهم بين جيل المستقبل من المحتجين وآبائهم.[6]

عاصرت هانا آرندت Hannah Arendt هذه الاضطرابات حيث لم تكن مراقبة غير ناقدة للمزاج الألماني بعد الحرب بكل تأكيد. وأخبرت زوجها هاينريش بلوشير Blücher Heinrich في شهر مايو عام 1961 بُعْد نيويورك عن مؤتمر مع المؤسسين الشبان ("لجمعية مختارة إنسانيًا وأكاديميًا") في المنطقة الجبلية آيفيل؛ حيث ذكرت له في إحدى رسائلها:" تحدثنا عن محاكمة آيشمان ثم انطلقنا في الحديث بعد ذلك عن كل شيء لاسيما عن السياسة. كان آديناور شخصية غير محبوبة للغاية على الرغم من محاولة الأساتذة الحاضرين الدفاع عنه. فهم يعرفون أنهم كانوا يعيشون في عالم سيء للغاية وكان من الممكن أن يُفعل بهم أي شيء لكن لم يحضر أي شخص للحديث معهم. كانوا متحمسين للغاية لي ليس لسبب سوى أنه لم يكن هناك غيري. كان انكسار الجيل هائلا. لن يتمكنوا من الحديث مع آبائهم؛ لأنهم يعرفون كم هم متورطون في قضية النازية."[7]

كان الحوار الفاشل في جو من "الصمت الاتصالي"[8] لماض في فترة الخمسينيات بين الآباء والأبناء والأمهات والبنات هو الأساس السلبي لخبرات تكررت أثناء الدراسة وتأكدت؛ لأن الحديث عن موضوع النازية في الحلقات النقاشية كان أمرًا صعبًا للغاية في أوائل فترة الستينيات. على الرغم من أن المبدأ الحديث للتاريخ المعاصر المتصل بعلم السياسة القادم من أمريكا اعتبر "معارف" جديرة بالاحترام فإن القليلين فقط من ممثليه كانت لهم خلفية أكاديمية. كان من الطبيعي ألا يحظى السجال الناقد "للرايخ الثالث" بالترحاب في الجامعات وخاصة لأنه يطرح سؤالا عن ماض يتعلق بأغلبية الأساتذة الأكاديمين.

لم تحدث أمور كثيرة في يناير 1963 بمناسبة الذكرى الثلاثين "للوصول إلى السلطة" في الجامعات، بل تناقص عدد الطلاب المهتمين بالأمور التاريخية والسياسية وصاروا محدودين. وبعد عدد من الفصول الدراسية نُظمت حلقات نقاشية فردية في مدينة توبنجن بعنوان "الحياة الفكرية الألمانية والنازية" في البداية، ثم في مدن ميونيخ وماربورج.[9] عندما نظمت فاعلية كبيرة في يناير 1966 بجامعة برلين الحرة ارتفعت نبرة

الطلاب بوضوح. وبمناسبة أيام الجامعة انتقدوا تسويف العلم في "الانشغال بالماضي المظلم". وطالبوا "بتسييس الجامعة" و"بعواقب". كما وردت تحذيرات واضحة لكنها غير مؤثرة للمعنيين المحتملين الذين عقدوا مقارنات اصطلاحية بطريقتهم مع عام 1933 في جريدة(FU-Spiegel): "أستاذ عايش الفاشية في ألمانيا معايشة غير أخلاقية على الإطلاق عليه أن يحكم من تلقاء نفسه على موقفه السابق، وأن يحاول تحليل سبب خطئه والدروس المستفادة من ذلك. ومطالبته من منطلق إنساني بل وأخلاقي بأن يفعل ذلك علانية؛ لأن موقفه السابق ليس شأنًا خاصًا فحسب، بل كان له تداعيات على آخرين."[10]

صحيح أن مثل هذه المطالب لم تكن جماهيرية إلا أن جزءًا من أعضاء هيئة التدريس بالجامعات منحوها تبريرًا، ودفعت هذه التركيبة رئيس جامعة برلين الحرة هانز يوآخيم ليبر Hans Joachim Lieber إلى تحذير الطلاب في خطبته بمناسبة انطلاق فاعليات أيام الجامعة للرقص على الحبال، ومن الواضح أنه حذر الطلاب بأسلوب مهذب [...] "من التعامل مع المباديء والأشخاص من منطق المذنب والبريء وتصنيفهم وفقًا لذلك". كما أنه حذر زملاءه أيضًا من الانسحاب إلى "فرضية نفعية للغاية متمثلة في الاغتصاب السياسي للعلم الألماني الذي مارسته النازية."[11] عرف الفيلسوف الليبرالي اليساري وتلميذ الفيلسوف الألماني إدوارد شبرانجر أن أساتذة الجامعة كانوا على أهبة الاستعداد لإدراك "نازية" جديدة في الطلاب أصحاب المطالب أو "طريقة اتحاد الطلاب النازي".

وهو الأمر الذي عرفه أيضًا رولف زيليجر الذي نشر عام 1964 في ميونيخ في مطوية نشرها بنفسه بعنوان صار فيما بعد قولا مأثورًا "جامعة بنية اللون. أساتذة الجامعات الألمانية بين الأمس واليوم" حيث لم توضح وثيقة المحارب المستقل أن كثيرًا من الأساتذة المنهكين سياسيًا لم يتمكنوا من الاستمرار في عملهم بعد عام 1945م مباشرة فحسب، بل ما أفزع الجمهور الطلابي هو الآراء التبريرية أو غير العقلانية على أفضل تقدير التي حصل عليها زيليجر من المعنيين والتي طرحها إلى جانب نصوصهم من عصر النازية. ازداد عدد الحلقات النقاشية حتى عام 1968 ووصل عددها إلى ست حلقات نقاشية، وقرأ الناس مقدمات زيليجر وصار من الصعب أن نقول إن مساعيه صارت بلا تأثير، فلم يهتم عدد كبير من الجماعات الطلابية بالنص الأول له فحسب، بل صارت كتاباته محل اهتمام مؤتمر رؤساء الجامعات ووزراء الثقافة بألمانيا الغربية.[12]

فالشاب الذي تبنى المنظور الناقد لأول مرة في بداية الستينيات وأبى أن يكتم صوته خاصة بعد فضيحة جريدة "دير شبيجل" عام 1962 وجد لذلك أسبابًا جيدة وجديدة دون أي مجهود، منها ما حدث صيف عام 1964 تقريبًا عندما انْتُخِبَ الرئيس الألماني هاينريش لوبكيه Heinrich Lübke مرة أخرى على الرغم من ظهور وثائق بدت أنها تبرهن بوضوح أنه صمم ثكنات لمعسكرات التعذيب بوصفه مهندسًا معماريًا في"الرايخ الثالث".[13] لم تفقد الحملة المناهضة لـ "مهندس المعتقلات لوبكيه" النابعة من جمهورية ألمانيا الديمقراطية مصداقيتها لدى الشباب تلقائيًا؛ لأن الاتهامات الموجهة ضد "قضاة هتلر الدمويين شاغلي المناصب في عهد آديناور" التي هاجمت بها ألمانيا الشرقية العدالة في ألمانيا الغربية منذ سنوات ثبت أنها صادقة.

وظهرت سلسلة من أفعال شخصية مخزية ومتفاوتة؛ لأن النظرة صارت حادة في كل مكان في السياسة والمجتمع مثل فضيحة تيودور هويس Theodor Heuss الذي كان نائبًا في البرلمان عن الحزب الألماني الديمقراطي DDP عام 1933 وأقر قانون التفويض، وأثناء فترة تولي آديناور منصب المستشار الألماني كان هناك سكرتير للدولة يدعى جلوبكه الذي زين اسمه تعليقًا قضائيًا عن قوانين نورنبيرج العنصرية، وهناك أيضا الوزير الألماني للمطرودين "صاحب البشرة البنية الداكنة" "أوبرلاندر" الذي ظل في منصبه لمدة سبع سنوات وفقًا لتقديرات المستشار الألماني، ويقال إنه خطط لـ "مكان الحياة الألماني في الشرق" والذي استشرف للناس هناك أن يحيوا حياة العبيد على أفضل تقدير، هذا إلى جانب قضاة مخيفون مثل فولفجانج فرينكل الذي تعقب في محكمة لايبتسيج "الفضيحة العرقية" والذي بدا في الوقت نفسه قادرًا على تولي مهام منصب النائب العام الألماني عام 1962. كما كان هناك الرؤساء السابقون لشركات فاربينI.G. Farben ومدراء كروب وفليك Krupp und Flick الذين استغلوا عشرات الآلاف من العمال قسرًا أثناء الحرب بانتظام إلى جانب جنرالات الجيش الذين قادوا حرب هتلر. أي منذ عام 1965 كان هناك "كتاب أسود" مليء بأسماء مواطنين من أصحاب النفوذ متورطين مع ماضي النازية. وفي هجمة شاملة ضد النخبة الفاعلة في ألمانيا الغربية شنت برلين الشرقية حملة وقرأ الطلاب الشباب كتاب "من كانوا في الرايخ الثالث" بغضب شديد.

وبشكل يختلف عن فترة الخمسينيات حالت أعباء الماضي من إيجاد سبل للتفاهم أكثر فأكثر بين جيل النازية وأطفالهم عندما نظم رجال الدفاع الجوي السابقين جماعة شعبية لما بعد الاشتراكية القومية تنظيمًا برجماتيًا مع التبريرات الذاتية وأكاذيب الحياة. لم ينشأ الوعي الناقد المتصدر لمطالب الثوار في كل مكان بين عشية وضحاها وبدافع من الرغبة في الاحتجاج فحسب، بل نتيجة صراع محتدم بين الأجيال عما سمي "الفاشية وتداعياتها".[14]

أثناء تطور هذا الصراع الذي صار له وجوه في الأسماء الأبوية الصامتة شارك مواطنو برلين الشرقية في أدوار من يعملون لمصلحة غيرهم مثل ناقلي الحقائق مباشرة أو بشكل غير مباشر بكل طاقتهم. وتخيلوا أنفسهم ملاذًا معاديًا للفاشية ولم يتسببوا في أية مشكلات، وسعت جمهورية ألمانيا الديمقراطية بحملات متكررة إلى أن تجعل من هتلر مواطنًا من ألمانيا الغربية وأن تصنع من الحكومة الاتحادية "مقرًا بني اللون في بون".[15] ومن استطاع أن يتسخلص شيئًا من هذا المنظور وكان على استعداد للتأثير في الرأي العام في الجمهورية الاتحادية الألمانية كان عليه أن يضع في الحسبان الدعم سواء الدعم المالي أو بوثائق مهمة وأثبت كلاوس راينر رول Röhl Klaus Rainer بصحيفته "konkret" أنه في الإمكان الحصول على الاثنين معًا في الوقت نفسه.[16]

وكما اتضح من ملفات أمن الدولة بعد عام 1989 لم تقتصر مثل هذه المصاحبة باهتمام لنقد الفاشية في ألمانيا الغربية على المرحلة التكوينية للحركة الطلابية، بل امتد حتى انضمام أعضاء جماعة الجيش الأحمر RAF المنهكين في فترة الثمانينيات غير أنه كان من الواضح غياب الرغبة في شرح الدافع المناهض للفاشية أو حتى نشأة الحركة الاحتجاجية في الجمهورية الاتحادية بتأثير التحريض الاجتماعي الواقعي.[17] وأسفرت الجاذبية الفكرية التي أحرزها مصطلح الفاشية منذ بداية الستينيات عن دوافع مختلفة؛ حيث لم يكن التخلي عن نظرية الشمولية المسيطرة إلى حينه التي وفقًا لرأي منتقديها تدهورت لتصبح دفاعًا مريحًا للتبرئة الاجتماعية للذات وأكثر الدوافع غير المهمة التي صارت أداة لمقاتلي الحرب الباردة بالنظر إلى النازية وبالنظر إلى الشيوعية. وعلى هذه الخلفية قد يكون الاهتمام المحدود مؤخرًا للتأريخ "المدني" بالبحث المقارن للفاشية مثلما فعل الفيلسوف الألماني إرنست نولته[18] Nolte Ernst على وجه الخصوص بمثابة

عنصر للبحث عن بدائل تفسير علمية.

وفي الحقيقة لعبت وجهات نظر السياسة اليسارية ومصالحها دورًا في الازدهار الأولي لنظريات الفاشية منذ البداية. وفي برلين حدث سجال مقابل في وقت مبكر في دائرة جريدة " الحُجة" "Das Argument" التي نشأت من حركة "مكافحة الموت الذري" "Kampf dem Atomtod"- وأمر مشابه حدث في مدينة ماربورج حيث انشغل المشاركون في الحلقة النقاشية الخاصة بالعلوم السياسية للعالم فولفجانج آبندروت Wolfgang Abendroth الذي اسْتُبعِد من الحزب الاجتماعي الألماني عام 1961 بسبب تضامنه مع اتحاد الطلاب الاشتراكيين المبعدين من الحزب الأم، بالتفسيرات الفاشية غير القويمة مثل التي طرحها السياسي النمساوي أوتو باور Otto Bauer والناشط الشيوعي الألماني أوجوست تالهايمر August Thalheimer وغيرهم من المنظرين الماركسيين في فترة العشرينيات والثلاثينيات.[19]

من الواضح أن مثل هذه التفسيرات لا تتصل بالبحث التاريخي للنازية ولا تتصل أيضًا بالنقد الممارس حتى حينه فعلا، لكن بلا فاعلية "للترميم" في ألمانيا الغربية واستمرارية النخبة. واتضح في التوجه إلى الكلاسيكين الجدد أو المعاد اكتشافهم لنقد الفاشية ما كان يجب أن يصير واضحًا بعد ذلك بفترة قليلة، فبدلا من أن يتعلق الأمر بأشخاص صار مرتبطًا ببنى ولم يعد العبء السياسي على الفرد في بؤرة الاهتمام بل فساد النظام. وبدلا من التنوير المجتمعي عن الماضي بهدف تغيير برجماتي للحاضر ظهر تشويه للماضي بغرض القضاء عليه بمفهوم المذهب الاشتراكي الواقعي. ويجب إيجاد علاقة بين الفاشية والرأسمالية وإثبات ضرورة التغلب على "الديمقراطية المدنية" إثباتًا يكاد أن يكون علميًا.

ولا يوجد كتاب معاصر يوضح هذا التحول الحادث بين الطلاب اليساريين في التعامل مع تاريخ النازية على نحو واضح مثل المجلد الصغير الصادر عام 1967 والذي حُدِّثَ بعد عام في دار نشر زوركامب لفولفجانج فريتس هاوج بعنوان "معاداة الفاشية المرتبكة" "Der hilflose Antifaschismus" وهو نتاج بحث من مجموعة محاضرات عن "الرايخ الثالث" من فصول دراسية سابقة. ظل نقد الماضي الذي لا ينسى الذي مارسته الجامعات في هذا الإطار كما وصفه المعيد بجامعة برلين الحرة آنذاك في نهاية كتابه مجبرًا على

الصمت وبلا نتيجة؛ حيث قال: لأن كل ما كان يجب على الأساتذة تقديمه هو إجابتان غير صحيحتين، ألا وهما: معاداة الشيوعية المعتادة بمفهوم المساواة المستوحاة من نظرية الشمولية للنازية والشيوعية أو "الانسحاب إلى العلم الخالص غير السياسي".

وبلا شك لم يركز هاوج على استيائه الخاص فحسب عندما قال: إن معاداة الفاشية المدنية تتكون على حد تعبيره من "مزيج محدد من المكونات التقدمية والمتحفظة بل الرجعية". بل أكثر ما كان يزعج الفيلسوف الشاب والمؤسس المشارك في المجلة الماركسية مصطلح "الفاشية اليسارية"، كما كان يستخدمه الديمقراطيون الاجتماعيون المسيطرون على الحكم من الخوف؛ حيث قال إنه أُقْصُوا من السلطة على يد المحافظين المسيحيين الذين كانوا يسيطرون على النغمات القويمة على نحو أفضل، وكما استخدمه يورجن هابرماس (الذي ظل اسمه مجهولا) مجددًا في مواجهة الحركة الطلابية. وهذه المساواة سمحت دومًا باتخاذ موقف معاد للفاشية الرسمية، لكن في الوقت نفسه استمرار لاتجاهات أساسية للفاشية. وكان ثابتًا بالنسبة لهاوج: "من الممكن تحقيق النصر في المعركة ضد الفاشية إذا خضناها باعتبارها حربًا لمناصرة المذهب الاجتماعي."[20]

حتى أوائل صيف 1967 كانت مثل هذه الجمل جزءًا من القناعات الخاصة لرواد حركة المعارضة خارج البرلمان التي كانت تهتم سابقًا بأمور أخرى غير الانشغال بالماضي المادي للنازية. غير أن هذا لا يعبر إلا بقدر يسير عن مباديء الشبان ودوافعهم الذين انضموا إلى الحركة فيما بعد. كان الاحتجاج الأخلاقي بالنسبة لهم أكثر نمطية من المسلمات النظرية، أي ضد ذنب الآباء والاستبداد الزائف للذين تحدثوا عن الواجب والأخلاق، لكنهم بدوا غير متمتعين بالمصداقية. لكنها كانت خبرات لم يصنعها طلاب من عائلات طيبة الأصل بل أيضًا بعض الطلاب الذين ضاقوا ذرعًا بحيل معلميهم. كان الغضب من الإحباطات داخل الأسرة والمجتمع في فترة الخمسينيات هو من تحدث مطالبًا: "سنقضي على العنصريين النازيين وقتلة اليهود والسلاف وذابحي الاشتراكيين وعلى كل التاريخ المزعج للنازية في الماضي الذي أزكم أنوف جيلنا."[21]

نُظِـرَ إلى الحاجـة لهـذا الخـط الفاصـل عـلى أنهـا سـاذجة ويكمـن في حتميتهـا سـخرية مزدوجـة؛ فهـي تؤكـد أن الإشـارة الناقـدة للـماضي بأطفـال شـبوا زمـن الحـرب ومـا بعدهـا مـن

المناطق الهامشية للمفكرين قد تحركت إلى منتصف المجتمع من ناحية كما اتضح أن هذا الوجود الجديد للماضي النازي في وسائل الإعلام أيضًا خلق جيلا حاول التنصل من هذا الماضي من ناحية أخرى. بدأ هذا الجيل يكتب نفسه في التاريخ الألماني باسم "جيل عام 68". لكن إذا كانت بداية "التغلب" على الماضي مع "جيل عام 68" (الذين لم يعرفوا بهذا المسمى لفترة طويلة[22]) متواضعة فلا يمكن فهم تكون المعارضة خارج البرلمان من دون ثقافة الاحتجاج الحية في فترة الخمسينيات وأوائل الستينيات إلا بقدر يسير.

يسار جديد في فرانكفورت

من حالة طواريء الديمقراطية

ساهمت العبارة الشهيرة للكاتب الألماني إريش كيستنر Erich Kästner "أسلوب فني مميكن" من إدراك التاريخ الداخلي لجمهورية ألمانيا الاتحادية في فترة الخمسينيات لفترة طويلة على أنها فردوس خادع، لكنه غير سياسي. وكان الخطأ مدهشًا في الخلفية؛ لأن الكاتب كان أكثر معرفة، فكيستنر من أوائل الأشخاص الذين وقعوا على مطلب "مكافحة الموت الذري" الذي عارضت به الحركة الاحتجاجية خارج البرلمان في ربيع عام 1958م التسليح الذري للجيش الألماني، كما كان مخططًا له. في أعقاب الحملة الفاشلة في باولسكيرشن ضد إعادة التسليح عام 1955 و"إعلان جوتينجن" في إبريل 1957 الذي حذرت فيه نخبة الفيزياء النووية في ألمانيا الغربية من حرب ذرية تشكل اتحاد غير ثابت من الديمقراطين الاجتماعيين ونقابيين ومحايدين مدنيين وأعضاء سابقين في الحركة الاحتجاجية للكنيسة الإنجيلية ضد نهج حكومة آديناور.[23] انضم الآلاف في الشهور اللاحقة من كل أرجاء ألمانيا إلى مطالب المظاهرات، وتشكلت "دوائر عمل ضد التسليح الذري في عدد من الجامعات بدافع من اتحاد الطلاب الاشتراكيين SDS واتحاد الطلاب الليبراليين LSD وجماعة الطلاب الإنجليين". أعلن يورجن هابرماس البالغ من العمر آنذاك 28 عامًا ومساعد الفيلسوف تيودور أدورنو في ميدان رومربيرج بفرانكفورت حالة القلاقل بوصفها أول واجب للمواطنين حيث قال: ("عندما تتحد رؤية منتجة للخوف بلا حدود مع عدم خشية أصحاب النفوذ فهذا ما يعرف باسم الشجاعة المدنية.")[24] وفي فاعلية بمونستر ظهرت الطالبة أولريكه ماينهوف البالغة من العمر 23 عامًا باعتبارها متحدثة رئيسة، غير أنها لم تكن عضوًا في اتحاد الطلاب الاشتراكيين SDS في ذلك الوقت.[25]

لمست المبادرة مخاوف الألمان، واتضحت حالة الارتياب تجاه محاولات التهدئة التي انتهجها آديناور المعروفة باسم ("تطوير سلاح المدفعية") عندما عبر 83% من الأشخاص الذين اسْتُطلع رأيهم عن معارضتهم لتحديد مواقع السلاح الذري في ألمانيا. في هامبورج احتشد ما لايقل عن 120 ألف مواطن بل أكثر من أنصار المعارضة خارج البرلمان في منتصف إبريل 1958 في مكان واحد؛ حيث انعكست على البرلمان الألماني تأثيرات شعارات

مثل "أن تكون ناشطًا خير من أن تكون مشعًا" "Lieber aktiv als radioaktiv"ومن مشاهير المحذرين الذي تمكن الاحتجاج من الاعتماد عليهم "استمعوا إلى ألبرت شفايتزر" "Hört auf Albert Schweitzer" ،. واتضح ذلك في تبادل عنيف للضربات واللكمات بين ائتلاف الحزب الديمقراطي المسيحي والحزب الاجتماعي المسيحي CDU/CSU والحزب الديمقراطي الاجتماعي SPD. عندما دعت قيادة الحزب الديمقراطي الاجتماعي بعد بضعة أسابيع إلى الانسحاب خسرت الحركة ودعمها التنظيمي شعبيتها بشكل كبير، وشكلت الاتهامات بتغلغل شيوعي لتحالف الحركة أسبابًا لذلك أقل من انطباع فشلها المفاجيء في الانتخابات في برلمان ولاية نوردراين فيستفالين وفشلها في المحكمة الدستورية الألمانية.

لكن انبثقت نتائج خاصة على خلفية التوجه الجديد النظري والعملي السياسي للحزب الديمقراطي الاجتماعي SPD الذي اكتسب ملامحًا في برنامج جودسبرج عام 1959. وفي عيد الفصح عام 1960 خرج قرابة ألف شخص من المناهضين للتسلح الذري إلى الشوارع في شمال ألمانيا على غرار نموذج الحملة الإنجليزية لمناهضة التسلح النوويCampaign for Nuclear Disarmament. وقد نهلت حركة مسيرة عيد الفصح[26] من السلمية والاعتدال اليساري الغامض وغير المرتبط بسياسة حزبية على نحو كبير، وأخيرًا وليس آخرًا بالاعتدال المدفوع دينيًا؛ حيث كان أول متحدثيها أحد أتباع الجماعة البروتستانية المحبة للسلام "الكويكرز" في هامبورج على نحو أكثر قوة من الحملة المناهضة للموت الذري.

صحيح أن عدد المشاركين في مسيرات عيد الفصح زادت عامًا تلو الآخر (يقال إنها ضمت 150 ألف شخص عام 1966)، لكن مما لا شك فيه أن المثال الأدائي المتمثل في الاحتجاج الشخصي والسلمي الذي عُبِّرَ عنه في مقولة: "ثقوا في قوة الفرد!" والشعائر الجديدة والعلامات والرموز المستخدمة دوليًا والقدرة على تكوين حركة خارج البرلمان معتمدة على قوتها الذاتية كانت أمور أكثر أهمية من عدد المحتشدين. كل ذلك أنتج مدرسة حتى ولو كانت على المدى المتوسط.

وعلى المدى القصير سادت أجواء كئيبة في المعكسر الاشتراكي، ففي يونيو 1960

انفصل الحزب الديمقراطي الاجتماعي SPD عن تنظيمه الطلابي.[27] وسبق ذلك سجالات استمرت شهورًا حول هيئة اتحادية متوجهة إلى اليسار كلية، وقد أثبت فيها رئيسها المؤقت أوسفالد هوللر Oswald Hüller انصياعه التام لجمهورية ألمانيا الديمقراطية. واضطر اتحاد الطلاب الاشتراكيون للبحث عن سمة جديدة له. أي الالتزام الصارم بمفهوم الاشتراكية وفقًا لوضع الأمور الذي بدا أن الحزب الديمقراطي الاجتماعي SPDلم يعد يستخدمه بعد انفصاله عن الماركسية والارتباط بالغرب الذي أعلنه السياسي الألماني هيربرت فينر. Herbert Wehner ومن ثم أضحت اللحظة التي اتضح فيها أن عهد آديناور قد أوشك على نهايته، وأنه من الممكن إدراك تغير في المناخ الفكري هي ساعة ميلاد "يسار جديد" فهم نفسه على هذا النحو؛ لأن أتباع بول وجراسين وفالسر أصبحوا متمرسين في النقد الثقافي وتوجه كثيرون في البيئة المتحفظة نحو إصلاحات أي بإيجاز: لأن مجتمع ألمانيا الاتحادية بدأ يتخذ توجها جيدًا بوجه عام. لكنها لم تكن ولادة يسيرة.

غير أن هذا كانت علاقته بالحقيقة أقل من الخلافات الداخلية والصراعات الحزبية. فاتحاد الطلاب الاشتراكيين الذي كان يرأسه هيلموت شميت، والذي كان ينتمي إليه مفكرون مثل رالف داريندورف Ralf Dahrendorf وهورست إيمكه[28] Horst Ehmke ، كان بمثابة قاعدة لتجنيد القيادات الديمقراطية الاجتماعية. أخيرًا وليس آخرًا صار الاتحاد في السنوات الأخيرة منبرًا للمنظرين والشاردين سياسيًا (مثل جماعة ""konkret"-) . بعد انقسام اتحاد الجامعات الديمقراطي الاجتماعي (SHB) في مايو 1960 ضعف الحزب تنظميًا وماليًا غير أنه صار لزامًا على الأعضاء المتبقين الذين وصل عددهم إلى ما يقرب من 900 عضو إيجاد خط أساسي جديد، بالإضافة إلى الحاجة إلى شخصية قادرة على تجسيد برنامج اتحاد الطلاب الاشتراكيين يتمتع بالقدرة على الإقناع والجاذبية. أو حتى يفعل ولو بقدر قليل على الأقل ما فعله الناشط السياسي الأمريكي توم هايدن في الولايات المتحدة الأمريكية وهو مؤلف البيان السياسي الشهير Port Huron Statement لطلاب من أجل مجتمع ديمقراطي Students for a Democratic Society. وبغض النظر عن التوافقات العديدة في التحليل والمفاهيم التي تعامل معها الاتحادان الشقيقان فمن كان لديه القدرة على الفهم والإدراك في اتحاد الطلاب الاشتراكيين كان عليه أن ينتبه كيف استطاع الأقران الأمريكان صياغة رسالتهم صياغة جاذبة بل وأكثر جاذبية من الشخص نفسه.

وعلى غرار القوة اللغوية الأدبية لشخصية مثل توم هايدن كانت هناك محاولة توضيح بائسة ومضحكة جزئيًا دافعت بها تلميذة أدورنو إليزابيت لينك في المؤتمر السابع عشر لحركة الطلاب الاشتراكيين في أكتوبر عام 1962 عن الاستقلالية النظرية "لليسار الجديد" حيث قالت: "لقد كشفت إحدى النظريات الاشتراكية محدودية الوعي المدني المتأخر، وعدم وجود مستقبل له. ولسنا مضطرين إلى استكمال طريقنا بقدوة أمام رأسنا أو نحمل معنا أيديولوجية تشبه مصباحًا صغيرًا أحمر اللون يظهر كل الأشياء بضوء ناعم ومريح للعينين، بل يجب أن تكون نظريتنا مثل كشاف له نور قوي بالقدر الكاف؛ ليضي جزءًا من الطريق إلى المستقبل، لكنه في الوقت نفسه موجه إلى المجتمع الحالي ليكشف تصدعاته وقفزاته وترابًا استمر لقرون وغبارًا وبيوت عنكبوت. إذا نظرنا إلى عملنا على هذا النحو فربما نلبي مطلبًا بأن نكون يسارًا جديدًا حقيقيًا."[29]

كان المقصود بيسار جديد لأول مرة أنه لم يعد كافيًا لكثيرين في اتحاد الطلاب الاشتراكيين المسار الماركسي من أجل مجتمع ديمقراطي بأن يبقوا مراقبين لتحفيز وتشجيع يأتي مثلا من الخبراء الأمريكان والإنجليز مثل رايت ميلس C. Wright Millsأو تومبسون E.P. Thompson. ولذلك ثبت أن العمل على برنامج مجتمعي مقنع بوجه عام وله أساس نظري في الوقت نفسه أمر معقد. وكافح الطلاب من اليسار الجديد على نحو أيسر مع نقد النظام الجامعي بألمانيا الغربية. علاوة على أن كثيرًا من الكلمات المفتاحية لم تنصب في البداية على لقاء الوفود بفرانكفورت، بل في النقاش حول المقترح الدوري منذ عام 1961 المتمثل في "مدرسة عليا في الديمقراطية" والتي صارت في السنوات اللاحقة من المفردات المحببة لحركة المعارضة خارج البرلمان: وطالبوا "بالتحول إلى الديمقراطية" في الجامعات بمفهوم القضاء على كل "مراكز السلطة غير المهمة وعلاقات الخضوع" وإتاحة "المشاركة" والتغلب على "البنى المستبدة"، وفي الحقيقة قربهم ذلك الأمر اصطلاحيًا من زملائهم الأمريكان مرة أخرى. وبطريقة مشابهة عُقدت مناقشات لدوائر صغيرة لليسارين الأكاديمين الشبان في أماكن كثيرة في غرب أوروبا.

لكن مثلت مدينة فرانكفورت الواقعة على نهر المايـن مكانًا له خصوصية؛ لأنه في تلك المدينة وبفضل عودة جزء جوهري للمعهد المهاجر عام 1933م للبحث الاجتماعي منذ عام 50/1949 عاد ملاذ نظرية مجتمع يساري ونقد للمجتمع الذي شُيطن أهميته باعتباره

منبعًا فكريًا للحركة الطلابية المتأخرة مثلما حدث أثناء الإرهاب في فترة السبعينيات غير أنه من الصعب المبالغة في تقديره.

وبنظرة موضوعية معتدلة لم يكن في الإمكان استخدام النظرية الناقدة التي مثلها ماكس هوركهايمر وتيودور أدورنو في الخمسينيات بعتبارها مرشدًا لممارسة متطرفة. ومن درس أعمال الاثنين من زمن الحرب في المنفى الأمريكي أو عرف فقط الاستشارة السياسية الحالية لهما والتكليف البحثي التطبيقي الماهر من قبل معهد فرانكفورت فلا يمكنه أن يغفل أن لا شيء من ذلك كان يهدف إلى فعل ثوري. والفجوة بين تطرف نقد البحث للرأسمالية والفاشية من أوائل فترة الثلاثينيات و"جدليته السلبية" بسبب السياق العالمي الخادع لصناعات الوعي والثقافة الحديثة كان لا يمكن إغفاله حقًا وكذلك وجود استعداد قائم دومًا لتجاوز المأزق النظري ("لا يوجد حياة حقيقة في الحياة الزائفة") لاستخدام نجاح "ديمقراطية مدنية" في ألمانيا الغربية استخدامًا عمليًا.[30]

ظل العائدون مدركين لمخاطر الفشل طوال حياتهم. في بداية الستينيات أي بعد عقد من التأثير الجامعي المعلن بدا لهوركهايمر على وجه الخصوص بل وأيضًا لأدورنو كما لو أن العلامات التحذيرية قد تزايدت. قال أدورنو في محاضرة ألقاها في نوفمبر عام 1959 أثارت الانتباه بعنوان "ما المقصود "بمعالجة الماضي"[31]:" أرى أن بقاء النازية داخل الديمقراطية أمر يشكل خطورة أكثر احتمالية من بقاء الميول الفاشية ضد الديمقراطية." بعد ذلك بأسابيع قليلة بعد الهجوم على المعبد اليهودي بمدينة كولونيا اتضح مدى واقعية معادة السامية في جمهورية ألمانيا الاتحادية تحت ستار الصمت، حتى أن الخوف كان كبيرًا في الجيل الصغير، ولم يبدُ من الصعب تصور كيف تنامت سمعة معلم أكاديمي ومصداقيته بل ومدرسة "فرانكفورت" بأسرها للتفكير النقدي في وعي الطلاب في تلك اللحظات.

وقدرة الإبهار لنظرية ناقدة التي تأسس هيكلها الجوهري قبل "الفاشية" (الألمانية) والتي بدا أن قدرتها المستمرة في رأسمالية الحشود الحالية قد اتضحت بقوة، وتمكنت من دمج معارف علم النفس الاجتماعي والتحليل النفسي بسهولة في نموذج "الشخصية المتسلطة" التي عرفت أن تحرر نفسها من عبء الماركسية الحزبية. ومن فهم نفسه على

أنه جزء من اليساريين الجدد ولم يكن نغمة شاذة بالكامل من الوجهة النظرية كان من الصعب عليه التخلص من هذا المنظور. وفي الحقيقة أثبتت محاضرات الفيلسوف ماكس هوركهايمر والأكثر منها محاضرات الفيلسوف تيودور أدورنو أنها مؤثرة وذات شعبية وكان من المعتاد أن يصل عدد المشاركين في الحلقة النقاشية التمهيدية إلى 150 مشارك وإلى 90 مشاركًا في الحلقات النقاشية الأساسية، ومنذ أوائل الستينيات زاد عدد المستمعين في محاضرات أدورنو وبلغ عدد الطلاب في أول محاضرة له ألف طالب في الفصل الدراسي الصيفي عام 1969.[32]

وعلى أساس هذه الخلفية اتضح أن مدينة فرانكفورت الواقعة على نهر الماين هي مركز اليسار الجديد الصاعد حتى منتصف العقد وليست مدينة برلين الغربية. من هناك خرجت أهم الدوافع النظرية في تلك السنوات، بل وأيضًا مجموعة من الممارسات العملية. كما صارت فرانكفورت التي كانت أكثر المدن الألمانية بعد الحرب ذات صبغة أمريكية ومقر رئيس للقوات الأمريكية في أوروبا تجسيدًا لإعادة البناء الرأسمالي والمعجزة الاقتصادية ومقرًا لديمقراطية اجتماعية قوية ومقرًا لنقابة الصناعات المعدنية IG Metall وموطنًا لماضٍ يهودي كبير وحاضر يساري كاثوليكي (متمثل في الصحيفة الألمانية "فرانكفورتر هيفته" „Frankfurter Hefte” المختصة بالسياسة والثقافة من منظور ليبرالي يساري) فضلا عن كونها تعبيرًا عن تقاليد ديمقراطية متطرفة ودور نشر مهمة وصحافة جادة. كما كانت فرانكفورت مرادفًا للصفاقة الساخرة (في شكل جريدة Pardon الساخرة منذ عام 1962) والمطلب الفكري (المتمثل منذ عام 1963 في إصدارات دار نشر"neue kritik" وعام 1963 في شكل دار نشر "زوركامب" edition Surhkamp وعام 1965 في الصحيفة الثقافية "Kursbuch")، والحداثة والاستهلاك والرغبة في الجديد والاستعداد للتغيير. كانت فرانكفورت في فترة الستينيات هي الحقيقة المركزة لجمهورية ألمانية اتحادية في مرحلة التحول.

وليس غريبًا أنه في هذا المعمل للنقد اتخذت المعارضة لتشريع حالة الطواريء الذي حاولت الحكومة الاتحادية منذ عام 1958 تمريره مرارًا وتكرارًا مقرًا ذهنيًا لها. إلى حد ما كانت أول من رفعت صوتها ضد هذا المقصد النقابات عام 61/1960 حيث خشيت أن التغييرات المخطط لها للدستور قد تستغل للحد من حق الاتحاد والإضراب.[33] خاصة أنه

بعد فضيحة صحيفة "دير شبيجل" التي اتضح بها أن المخاطر القادمة من هيئة تنفيذية قاسية ومتسرعة ستكون أكثر حدة بالنسبة للحق الأساسي في حرية الصحافة والرأي عن ذي قبل في ديمقراطية المستشار الألماني. "وقعت خطط الطواريء" داخل الجامعات أيضًا في دائرة النقد. لكن لم تحدث حركة احتجاجية واسعة إلا منذ خريف 1964 عندما لم يَلُحْ في الأفق حدوث اتفاق بين الحكومة والمعارضة الديمقراطية الاجتماعية التي من دون موافقتها لا يمكن الوصول إلى الأغلبية المطلوبة بثلثي الأعضاء لتغيير الدستور.

ومن القوى الدافعة إلى اتحاد ائتلاف من الراغبين في منع ذلك، نظم هيلموت ريدر الذي كان فقيها دستوريًا من مدينة فرانكفورت في البداية ثم من مدينة جيسن غير أنه قام بالتدريس في بون، بداية عام 1965 مسيرة عيد الفصح بوصفها "حملة لنزع السلاح" وقد استكملت بالنقابيين والديمقراطيين الاجتماعيين المختلفين فكريًا وأساتذة الجامعات لتصبح أول مطلب موجه إلى أحزاب البرلمان الألماني. وبعد ذلك مباشرة ظهرت المعارضة الطلابية على نحو أكثر وضوحًا من ذي قبل. ففي الرابع والعشرين من مايو عام 1965م أي يومين قبل القراءة الأولى لما عرف باسم مسودة بيندا „Benda" احتجت "لجنة العمل على قانون الطواري" التي نظمها اتحاد الطلاب الاشتراكيين SDS واتحادات طلابية وشبابية بفرانكفورت أمام كنيسة باولسكيرشه وبداخلها. في يوم الثلاثين من شهر مايو من نفس العام عقد اجتماع في العاصمة الألمانية في مؤتمر "الديمقراطية قبل حالة الطواريء"، ثم حدث لقاء في الخامس عشر من شهر يونيو مرة أخرى في فرانكفورت؛ حيث احتج أكثر من خمسة آلاف شخص في ميدان رويمربيرج.[34]

وحقيقة، إنه في كل هذه الأفعال لعب اتحاد الطلاب الاشتراكيين دورًا أساسيًا (وتبنى الموقف الأكثر تطرفًا أي ضد كل تشريع لحالة الطواريء) لم يفزع أحد عام 1965 الذي كان مقتنعًا أن المشروع مرتبط بمخاطر حقيقية على الدستور. ولذلك جلس على سبيل المثال على منصات بون ("حرية الصحافة في حالة الطواريء") على يسار مدير النقاش يورجن هابرماس عضو اتحاد الطلاب الاشتراكيين SDS يورجن زايفرت وعلى يمينه عالم السياسة توماس إلفاين (مدافعًا لمسودة بيندا) وكارل ديتريش براخر الذي حذر بوصفه متخصصًا ليبراليًا يساريًا من جمهورية فايمار قبل أسابيع بالفعل وبالتعاون مع اليساريين مثل السياسي الألماني فولفجانج أبيندروت وأوسيب فليتشهايم ورجل الدين البروتستانتي فيلهلم جولفيتسر و211 أستاذًا قائلا: "لقد عايشنا بالفعل أن بعض

القوانين الاستثنائية هي بمثابة شهادة الوفاة للديمقراطية، ولن يكون لها وجود إلا إذا قمتم بإقرارها وتطبيقها باسم الديمقراطية."[35]

صحيح أن معارضة الطواري قد انحسرت بعد المؤتمر في البداية – على الرغم من أنها أحبطت إمكان ائتلاف كبير للتصويت في البوندستاج بنجاح - غير أنها واصلت تأثيرها بمفهوم الحضور العلني لمعارضة يسارية جديدة بين المنتمين إلى حركة اتحاد الطلاب الاشتراكيين SDS والنقابيين أصحاب الإرادة السياسية. وأخيرًا وليس آخرًا استند المجلس الاستشاري المكون خريف عام 1966 بعنوان: "طواريء الديمقراطية" على ذلك عندما عمل أمين المجلس رئيسًا لاتحاد الطلاب الاشتراكيين SDS الحالي هيلموت شاور. نظم المجلس الاستشاري بمساعدة القوة المالية والتنظيمية لنقابة الصناعات المعدنية وسلطة رئيسها الأسطوري آنذاك أوتو برينر في 30 أكتوبر 1966 – ضاعت فكرة ائتلاف كبير بعد سقوط لودفيج إرهارد- مؤتمرًا آخرًا لحالة الطوارئ في فرانكفورت. وفي جلسته الختامية بحضور ما لايقل عن 20 ألف متظاهر أمام ميدان رومير، تحدث هانز ماجنوس إنتسينبيرجر البالغ من العمر آنذاك 37 عامًا وإرنست بلوخ البالغ من العمر 70 عامًا "كل من كان تحت الثلاثين" فأثناء ما قطع الأديب الحوار على مؤيدين "لحالة الطواري" بأسلوب بليغ رسم الفيلسوف العائد صورًا تشبيهية تاريخية أكثر كآبة حيث بدأ بلوخ كلامه قائلا: "تجمعنا للدفاع عن البدايات وللهبوط في نهاية سلسلة عاطفية للغاية من العلاقات عند قانون التفويض الذي لن تنبعث أدخنة مداخن المصانع وفقُا لاستخدامه الممتد فحسب."[36]

بالتأكيد لم يكن من الضروري التفكير في نهاية جمهورية فايمار وتداعياتها الأسوأ كي يفزع الناس من الائتلاف الكبير والصعود الواضح للحزب الديمقراطي القومي الألماني NPD والتأثيرت غير الواضحة لاحتمالية حدوث كساد دائم. غير أن نغمة أكثر حدة، بل من الممكن أن نقول: إن إزالة التنشيط المفصود للحوار السياسي لم يكن من الممكن ملاحظته في المظاهرات الكبيرة. وعلى طريق المعارضة خارج البرلمان تغير أسلوب اليساريين الجدد بوجه عام مقارنة بكيفة النقاش حول آبيندروت في ماربورج مثلا وغيرها من المعاهد التي وجدت بها حركة اتحاد الطلاب الاشتراكيين SDS دعمًا منذ وقت طويل تارة وفي الفترة الأخيرة تارة أخرى. بدت لغة نظرية فرانكفورت فجأة متعبة وبلا تأثير بل تافهة بالنسبة للبعض الذي عرفها، مقارنة بالقوة اللغوية للشاب الذي أسر مؤتمر اتحاد الطلاب الاشتراكيين قبل أسابيع قليلة.

انطلاقة برلين

عن ماهية جامعة حرة

أعجب مراسل جريدة "دي تسايت" الذي سافر مع رودي دوتشكه من هامبورج خصيصًا بالظهور الأول الكبير له في "ألمانيا الغربية" - كما دأب سكان برلين على جانبي السور في تسميتها كذلك - حيث قال دوتشكه: "الزميلات والزملاء الأعزاء هدفنا هو تنظيم وجود دائم لجامعة معارضة كقاعدة لتسييس الجامعات." كانت هذه المقولة مخيفة حقًا لكنها هائلة بل مثيرة للمخاوف عندما صاغها رودي دوتشكه من اتحاد الطلاب الاشتراكيين SDS ببرلين. في كل مرة كان يعتلي فيها منصة المتحدثين في القاعة الكبرى[...] بمقر الطلاب بفرانكفورت يسود الصمت بين الموفدين؛ حيث كانت أطروحاته وفرضياته تنهال على قاعة الاستماع كضربات السوط. كان السلافي دوتشكه الخبير في تاريخ الحركة العمالية يملك كفاءات المتحدث الديماجوجي؛ حيث كان يصوب نظراته الثاقبة أسفل حاجبين سوداويين وتتدلى خصلات شعره فوق جبهته مع اهتزاز جسده النحيل من الانفعال الشديد. كل فرد يعرف من (وماذا يقصد) بكلماته عندما يتلفظ بأسماء أشخاص في خضم ملاسناته مثل "روزا وكارل وليو!"[37]

كان المؤتمر الدوري الحادي والعشرين لممثلين الحركة الطلابية بداية سبتمبر 1966 بمثابة لحظة تحددت بها ملامح "غضب الطلاب" بالنسبة لوسائل الإعلام. صحيح أن دوتشكه اختير قبل عام في المجلس السياسي لاتحاد الطلاب الاشتراكيين SDS (حيث حل محله مؤرخ العلم الألماني فولفجانج ليفيري Wolfgang Lefèvre) غير أن ظهوره المثير للإعجاب مثّل مكسبًا جيدًا لأرض بالنسبة لمن عرفوا باسم اللاسلطويين أمام من عرفوا باسم التقليدين الأكبر سنًا الذين يعود الفضل إلى حكومتهم في أنه في بداية المؤتمر كان لدى ثلاثة من أتباع منظمة الشباب الألماني الحر FDJ الفرصة في نقل تحيات مجلسهم المركزي. وعلى خلفية التراشق المتبادل في الخطب مؤخرًا بين الحزب الديمقراطي الاجتماعي SPD والحزب الاشتراكي الألماني الموحد SED (الحزب الحاكم في ألمانيا الشرقية)

أُكِّدَ على ضرورة "إقرار وجود دولتين ألمانيتين". لم يكن ذلك له أية علاقة بالتعاطف مع حكم أولبريشت بالنسبة لشخص مثل دوتشكه المولود عام 1940 بالقرب من

لوكينفالديه في مارك برانيدينورج الذي واجه صعوبات على الصعيد السياسي قبل التحاقه بشهادة الثانوية الألمانية.

بسبب رفضه الخدمة "التطوعية" في الجيش القومي حُرم من دراسة الصحافة الرياضية في لايبتسيج التي طالما حلم بها، وعاش لاعب الأوليمبياد الموهوب يوم 13 أغسطس 1961 في برلين الغربية حيث لحق بالثانوية في برلين الغربية في المدرسة الأسكانية (Askanische Schule). ومن خلال بناء السور الذي عرف باسم "الربيع السياسي" سجل دوتشكه نفسه في الفصل الدراسي الشتوي عام 1961 بالجامعة الحرة غير أن دراسة "الصحافة بوجه عام بدت له "دراسة بلا أساس"؛ لذا وقع اختياره على دراسة علم الاجتماع المعروفة باسم "الدراسة الشاملة""All-round-study" حيث قال" ينكشف تاريخ البشرية فيها وهي دراسة ممتعة للغاية وتحتاج إلى بذل مجهود."[38]

صاحب حب دوتشكه للدراسة وشغفه بالقراءة توجه ممنهج للقناعات المرتبطة بالنظريات السياسية، وأظهرت يومياته (التي كانت قليلة آنذاك) عن عيد الفصح عام 1963 أن هذا الأمر نابع من تدين عميق حيث كتب: "قام المسيح والسعادة والشكر مصاحبين لهذا اليوم وحدثت الثورة، الثورة الحاسمة لتاريخ العالم، ثورة العالم من خلال الحب الذي يتجاوز كل شيء. ولو قبل الناس بالحب الخالص لذات الحب فحسب فلن تستمر حقيقة الأمر الواقع ومنطق الجنون بعد الآن." وبعد مرور عام في يوم الجمعة الحزينة عام 1964 لم يعد المسيحي الإنجيلي رودي دوتشكه يكتب بصيغة التمني حيث كتب: " في هذه الساعات مات الثائر الأعظم المسيح في الشرق البتول من العالم ، لكن "الثورة المضادة" الجاهلة وضعته على الصليب وأظهر المسيح لكل الناس طريقًا للذات وهذا المكسب للحرية الداخلية لايمكن أن ينفصل عن مكسب هائل من الحرية الخارجية المكتسبة بصعوبة أكبر بالنسبة لي. ومقولة المسيح: "مملكتي ليست في هذا العالم" أستطيع أن أفهمها داخليًا بالطبع، فالعالم الذي عاش فيه المسيح لم يكن "الواقع الجديد" الذي كان يجب أن يُخلق وما زال وتلك "مهمة حالية" للبشرية."[39]

في ربيع عام 1964 كان رودي دوتشكه مستعدًا للعمل. ومع زميل الدراسة الذي يرجع أصله إلى جمهورية ألمانيا الديمقراطية بيرند رابيل تفاعل دوتشكه مع لوحة "ابحث مع

الشرطة" في برلين بسبب عمل تخريبي لجماعة غريبة تعمل على وجه الخصوص في ميونيخ منذ عام 1962 حول الناشط اليساري الألماني ديتر كونتسيلمان وهي جماعة منبثقة من جماعة الفنانين الطليعية المعروفة باسم SPUR (وهي "القسم الألماني" لجماعة الأممية الموقفية" [40] "The Situationist International"). في نهاية مجموعة من الاقتباسات المؤثرة لتيودور أدورنو وباسمه طالب المعادون لنظام الدولة القراء: "إذا كان سوء فهم التحليل والفعل لا يطاق بالنسبة لكم فاكتبوا لنا بعنوان "رأي معارض" ميونيخ 23 بوستلاجارند."[41]

لم يفقد النقد الساخر تأثيره وغضب أدورنو من السخرية باعتباره مفكرًا سلبيًا، وتقدم ببلاغ. انضم دوتشكه ورابيل إلى "الخلية الصغيرة" ببرلين للعمل التخريبي. أطلقت المجموعة على نفسها اسم جماعة الهجوم وأصدرت "جريدة نظرية" التي شارك بها دوتشكه، وهذا الأمر كان لا يمكن غض الطرف عنه. وفي إصدار "هجوم 1" دحر دوتشكه نقد أدورنو الحادث في الربيع في جوهره وأحل محلها النوادر. وباسم يهودي مستعار وهو ألكسندر يوفيه هاجم مدرسة فرانكفورت ومشرفه على رسالة الدكتوراه هانز يوآخيم ليبر من برلين هجومًا استباقيًا قائلا: "يوجد في الجمهورية الاتحادية الآن تحليلات متميزة[...] لكننا نتساءل كيف من الممكن أن يستمر مفكرون متميزون في الفصل غير المفهوم تمامًا عن الواقع المعاصر الألماني بين الفكر والواقع وبين النظرية والتطبيق؟!"[42]

تعرض دوتشكه بنفسه لاختبار الممارسة العملية بعد ذلك بوقت قصير. كانت هناك إحدى الزيارات القصيرة النمطية لضيوف الدولة ومقرها بون في الثامن عشر من ديسمبر 1964 ولم يتفاعل معها الطلاب اليساريون وحدهم بسخرية فعلى سبيل المثال زار رئيس الوزراء الكونغولي مويس تشومبي مدينة المواجهة حيث تعد زيارة سور برلين جزءًا لا يتجزأ من الزيارة، وادعى الضيف الكونغولي بشيء من المصداقية أنه من دفع عملية اغتيال معارضه باتريس لومومبا الذي لم يكن بأية حال من الأحوال في عين دوتشكه وحده أهم ثوري أفريقي بسبب كفاحه ضد الاحتلال البلجيكي."

انضم للاحتجاج الذي أُبلغت السلطات بموعده ضد الزائر غير المرغوب فيه بعض المئات من أعضاء اتحاد الطلاب الاشتراكيين SDS والمتعاطفين معهم واتحاد طلاب أمريكا اللاتينية ومجموعة الهجوم في تيمبيلهوف. لكن توجه تشومبي عبر المنطقة الأمريكية من

المطار إلى مبنى البلدية بشونيبيرج دون أن يلاحظه أحد. تحدث فيللي براندت المتفهم والمرتبك مع وفد من المتظاهرين أثناء ذلك وترك ضيف الدولة منتظرًا. وصل رودي دوتشكه إلى مبنى البلدية بعد مطاردة شرطية شرسة (قال دوتشكه: "من الواضح أنهم تعرفوا علي بنطال الجينز الأسود الذي كنت أرتديه") حيث كان هناك السوق الأسبوعي واشترى زملاؤه الطماطم ("لكن ليس ليأكلوها")، وللمرة الثانية كاد تشومبي أن يفلت منهم لأن "العميل والقاتل الإمبيريالي" غادر المبنى من باب خلفي ولا نعرف حتى الآن عما إذا كانت أصابت حبة طماطم "وجهه مباشرة" كما ذكر دوتشكه في يومياته أو عما إذا كانت سيارة الليموزين التي كان يستقلها الضيف قد تعرضت لقصف الطماطم كما كتب لاحقًا وعما إذا كانت الطماطم في (منتصف ديسمبر!) تطير أم لا.[43] لكن الأهم من ذلك هو أن المظاهرة كانت بمثابة علامة فارقة تبعث الأمل من وجهة نظر دوتشكه حيث قال: "لأول مرة قمنا بمبادرة سياسية في هذه المدينة عن طريق المظاهرة المناهضة لتشومبي، ومن الممكن أن نعدها بداية ثورتنا الثقافية بتأمل ما بعد الحدث post-festum."[44]

جدير بالملاحظة في هذه الإشارة ليس فقط تاريخ نشأتها (ربما في التحول من عام 67 إلى 68) ومفهوم الثورة الثقافية الذي يشير إلى جمهورية الصين إبان حكم ماو بالإضافة إلى أنه من الكاشف للغاية أهمية أن يتضح لدوتشكه كتابة تاريخ الحركة المناهضة للاستبداد بنفسه وهي في مرحلة التكوين. ويتسق مع ذلك بلا شك مطالب الثوري وقناعاته "في إمكانية صناعة التاريخ".[45] كما تحدث عن المسموح أن يكون سمة مميزة لحركة"68" وهو معنى مميز للإعلام ونرجسية مستمرة في لحظة الحدث. وبشكل مغاير فُسِّر نجاح مجلد دار نشر "rororo" "روفولت تاشين بوخ" الذي ظهر به نص دوتشكه في مايو 1968 حيث صدرت طبعتان من هذا المجلد في نفس الشهر، وقرابة نهاية العام ظهرت طبعة بها 170 ألف كتاب، فعنوان مثل "تمرد الطلاب أو المعارضة الجديدة" كان كفيلا بإعطاء الثقة بالذات وقد حقق درجة كبيرة من الاحتياج بعد الهجوم على دوتشكه بلا شك حتى ولو لم يكن هذا هو الباعث الأول له.

"فالانطلاقة" التي اعتبرها دوتشكه ناجحة منذ الاضطراب الحادث بسبب زيارة تشومبي لم يكن لها مثيلٌ في السياسة، لكنها إحدى الأمثلة في وسائل الإعلام، فالمظاهرة ضد الحاكم الإفريقي لم تمهد "الطريق إلى الجماهير" لكنها ساعدت في الوصول إلى الوعي

العام العلني. ففجأة شعر الناس بأنفسهم ووضعوا نقطة فاصلة لأفعال جديدة. كان الحماس هو السمة الغالبة في كلمات رودي دوتشكه حيث قال: "لم يتعرف المتظاهرون على أنفسهم في التعليقات الصحفية في اليوم التالي، حيث زادت عدم ثقتهم في النظام الحكومي المجتمعي، ورأوا التقارير المتخصصة وكل مستويات التشويه والكذب [...] وأصبح التلاعب المتحايل بالنسبة لنا صدى لعملنا العام."[46]

لكن اتضح لدوتشكه أنه قد يكون من المستحيل تأسيس قاعدة صغيرة للغاية داخل الجامعة ونشرها من الدوائر السرية للعمل المعادي للدولة." والنتيجة المنطقية لهذه الرؤية كان الانضمام إلى اتحاد الطلاب الاشتراكيين في شهر يناير عام 1965. وتصاعدت الأمور هناك؛ لأن ما يطلق عليه ائتلاف دوتشكه ورابيل لم يعتد بعمليات اتخاذ القرار ذات التنظيم البيروقراطي أو ذات التنظيم الديمقراطي.[47]

مقارنة بالموضوعات التي جمعت بين دوتشكه وأتباعه - مثل ما حدث في مايو عام 1965 على سبيل المثال من غزو الولايات المتحدة لجمهورية الدومينكان حيث هدد المتمردون بإسقاط الديكتاتور العسكري - كانت الاهتمامات النمطية لاتحاد الطلاب الاشتراكيين ما زالت ذات طبيعة ألمانية خالصة. وكالمعتاد شكل ماضي النازية واستمرار النخبة في مواقعهم النقطة الأساسية للنقد. غير أن أشكال الفعل قد تغيرت. ومن هذه الناحية كان قادة اللجان الذين جمعوا معلومات في صحيفة "Neue Kritik"[48] أبطأ فهمًا من اللاسلطويين في أن التعلم من أمريكا يكمن في تعلم الاحتجاج.

وكانت مناسبة ذلك ما حدث في الفصل الدراسي في الشتاء الماضي في بيركيلي من حظر إلقاء الخطب بالجامعة الحرة؛ حيث كان من المفترض مشاركة الناشر والصحفي الألماني إريش كوبي يوم الثامن من مايو عام 1965 في حوار على المنصة في موضوع قريب ومهم عن "إعادة ترميم أو بداية جديدة – لجمهورية ألمانيا الاتحادية بعد عشرين عامًا" بدعوة من اللجنة الطلابية العامة AStA غير أن رئيس الجامعة لم يسمح له بذلك.[49] وسبب ذلك يرجع إلى تصريح قاله كوبي قبل أعوام، وقال فيه: إن من يريد يستطيع رؤية مقارنة مهينة بين الجامعة الحرة التي عادت إلى الحياة عام 1948م بمساعدة أمريكية وجامعة هومبولدت في الجزء الشرقي من المدينة.

وأمام هذه "الوصاية السياسية" دافع ممثلو الطلاب بشعارات مناسبة للغاية مثل "حرية الخطبة بعد عشرين عامًا". تحدث إريش كوبي يوم السابع من شهر مايو خارج الحرم الجامعي لمدة أسبوع كامل وكان هناك طابور للإضراب picketing line, رسم فيه قرابة 3 آلاف طالب وطالبة (قرابة خمس طلاب الجامعة) لوحات ووقعوا قرار الاحتجاج حتى أن طلاب معهد أوتو زور Otto-Suhr-Institut للعلوم السياسية قاطعوا المحاضرات لمدة نصف يوم. ومن لم يدرك الأمر ظهر له منشور موقع من مجموعات الجامعات ونادي Argument-Club(باستثناء رابطة الطلاب الديمقراطيين المسيحيينRCDS)، إن حركة الخطاب الحر بكاليفورنياFree Speech Movement قد وصلت إلى داليم بمقولة "دافعوا عن حقكم" اسمعوا كل من يتحدث في مكان مفتوح أو حرم جامعي في أي وقت وعن أي موضوع."

""to hear any person speak in any open area on campus at any time on any subject"!"[50]

عندما احتدم الخلاف بين الطلاب وإدارة الجامعة من خلال "واقعة كريبيندورف" بعد مرور بضعة أيام لم يمد رئيس الجامعة عقد عمل المعيد الذي كان يعمل بمعهد أوتو زور للعلوم السياسية بسبب بعض الملاحظات النقدية الخاطئة في مقال بالجريدة عن فاعلية الثامن من مايو، الأمر الذي أيقظ انطباع الرقابة السياسية؛ لأنه اتضح تمامًا أن أزمنة أخرى قد بدأت في الجامعة الحرة ولم تعد التجمعات الكبيرة التي تضم مايزيد عن ألف مشارك من الأمور غير المعتادة بعد الآن[51] ولم يعد في الإمكان الحديث عن طلاب متراخين سياسيًا بعد الآن في برلين في الفصل الدراسي بصيف 1965. ومن النادر وجود نتيجة لعلم اجتماع الشباب قريبة هكذا مثل التي نشرها لودفيج فون فريدبورج مدير معهد جامعة برلين الحرة لعلم الاجتماع في تلك اللحظة: "في كل مكان يبدو العالم بلا بدائل ونتكيف مع كل المعطيات دون التزام ونبحث عن سعادتنا الشخصية في الحياة الأسرية والعمل. ولا يتحول بعض الطلاب إلى مادة من التوتر المنتج بعد الآن في المجتمع الحديث."[52]

وفي الحقيقـة لم يسـتكمل تشـخيص فريدبـورج الحـالي إلا مـا كان قـد حققـه مـع يورجـن

هابرماس وزملاء آخرين له من معهد البحث الاجتماعي نهاية فترة الخمسينيات من القرن الماضي عن الوعي السياسي لطلاب فرانكفورت والذي سجل في البحث الذي حظي بشهرة سريعًا بعنوان "الطالب والسياسة""Student und Politik" . ووفقًا لهذه الدراسة فإن ثلث عينة الطلاب محل الدراسة كانت "غير سياسية" في حين عبر 16 % من الأشخاص الذين استُطلع رأيهم عن "ارتباطهم بالسلطة" وبلغت نسبة الطلاب الذين وصفهم الباحثون الميدانيون أنهم "طاقة ديمقراطية أكيدة"[53] إلى 9% فقط. صحيح أن هذه الطاقة بدأت في التفاعل لكنها لم تتسبب في استياء علم المجتمع بالتأكيد الذي ظل يرى نفسه ملتزمًا بالنقد المعياري للواقع. وبهذا المعنى كان يجب فهم عالم السياسة كورت زونتهايمر المكلف من مجلس الجامعة مثلا بالاهتمام بالتعليم السياسي لسد الحاجة أكثر من إساءة استخدام "الإجبار السياسي" الموجود والمتصارع عليه بضراوة بين الطلاب.

اتبعت الأشكال الجديدة المستوحاة من النمط الأمريكي لسياسة طلابية موضوعًا جديدًا نابعًا من هناك، ألا وهو الحرب المتصاعدة في فيتنام التي كانت أهم من الشكاوى من "حالة طوارىء تعليمية" مهددة والإصلاح غير المفعل للجامعات الذي ساد حوله القليل من الاختلاف في الأساس في المعاهد العليا. فالصور التي بثتها شاشات التلفزيون عن القصف بالقنابل الذي شنته قوات سلاح الطيران الأمريكية أدت إلى نشأة حالة من التوتر الأخلاقي المتزايد وأدت إلى تعبئة المعارضة الطلابية على وجه الخصوص.

ومن شارع تسايل بمدينة فرانكفورت نقلت صورة من ربيع عام 1965 التي من الممكن أن يكون مصدرها من العاصمة الأمريكية حيث نظمت حركة "طلاب من أجل مجتمع ديمقراطي"(Students for a Democratic Society) بعد مرور ثلاثة أسابيع أول مسيرة كبيرة باسم "مسيرة في واشنطن من أجل السلام في فيتنام"March on Washington for Peace in Vietnam" حيث جلس مجموعة من الشبان يحملون لافتات احتجاجية وعربات أطفال وعلامات السلام في منتصف الشارع وكتب على إحدى اللافتات باللغة الإنجليزية عبارة تحذر من نشوب الحرب العالمية الثالثة.[54]

صار الاحتجاج على الحرب في برلين الغربية في بؤرة الاهتمام بعد وقت قصير؛ حيث قاد الاحتجاج سلطة الحماية "لمدينة الجبهة" في الشرق الأقصى. بالنظر إلى تقرير

إخباري غير ناقد تمامًا لمؤسسة شبرينجر للصحافة والنشر المهيمنة سعت "مجموعة عمل جنوب فيتنام" التابعة لاتحاد الطلاب الاشتراكيين إلى عمل "تنوير ناقد". ومنذ بداية عام 1965 جمع الزملاء معلومات بشكل منهجي وعُرِض فيلم في جامعة برلين الحرة قبل نهاية الفصل الدراسي الشتوي. وبعد ذلك بفترة وجيزة أجرى خبراء اتحاد الطلاب الاشتراكيين نقاشًا أكبر حجمًا مع ممثل من بعثة الولايات المتحدة في برلين في مبنى هنري فورد في أول فاعلية. لكن بعد ذلك انقطعت علاقات التواصل بسرعة. وعن طريق جريدة "Kursbuch" نقل هانز ماجنوس إنتسينسبيرجر موضوع فيتنام إلى البيئة اليسارية الليبرالية حيث اتسعت المجالات عن قصد لتشمل الإمبريالية و"العالم الثالث" في صيف 1965. والجزء الثاني من المجلة الجديدة قدم فصلا من كتاب فرانتس فانون "ملاعين هذه الأرض""Die Verdammten dieser Erde" إلى جانب شرح راق للناشر عن "الضاحية الأوروبية""Europäische Peripherie".[55] وبالتوازي جمعت مجموعة من الشخصيات البارزة في اتحاد الطلاب الاشتراكيين ببرلين توقيعات "لتفسير الحرب في فيتنام" على غرار النماذج الأمريكية. في الوقت نفسه كان الخطاب المرافق بمثابة خطبة هجومية موجهة إلى الصحافة في برلين حيث ورد به: "ليس من قبيل الصدفة أن تخرج هذه الدعوة من برلين المقسمة ولا يمكن مساواة الموقف في برلين مع الموقف في هذه المدينة كما يود أن يقنعنا معادو الشيوعية. ومن ينصحنا بقبول ما تفعله أمريكا في فيتنام أو على الأقل عدم انتقاد ما يحدث فهو يقدم خدمة سيئة لمصالح برلين."[56] صدَّقَ قرابة 70 كاتبًا (تقريبا كل أعضاء مجموعة 47) وأكثر من 130 أستاذًا جامعيًا ومحاضرًا ومعيدًا على القرار الموقع في أوائل شهر ديسمبر.

جاء رد "الصحافة المدنية" على الفور حيث دعت كل الصحف اليومية إلى "ذكرى عيد الميلاد في برلين" بناء على مبادرة صحيفة "التلغراف" ذات التوجه الديمقراطي الاجتماعي. ومن تبرعات القراء التي وصلت إلى 130 ألف مارك أُعِدَّت نماذج محاكاة صغيرة لساعة الحرية التي أسستها الولايات المتحدة خلال عزل برلين في مصانع البورسلين الحكومية وأرسلت إلى العائلات الأمريكية التي فقدت أحد أفرادها في فيتنام.[57] في أسرع وقت تجاوز فولفجانج نويس رئيس حزب الوحدة الساخر وناشر جريدة "نويس دويتشلاند" "Neuss Deutschland". عدم التفاعل اليساري مع هذا العمل الخيري. أعلن الكاتب

الساخر وحلفاؤه أن التعاطف الوسطي "جريمة" ("التبرع اليوم للسياسة الأمريكية في فيتنام هو ادخار لمقبرتنا الجماعية") وطالبوا في المقابل "بأقنعة غاز وسراديب للحماية من الغارات الجوية لهيئات التحرير للصحف اليومية في برلين الغربية. من السهل أن يسقط الأمريكان سهوًا قنبلة النابلم على بناية أولشتاينهاوس."[58]

بسخرية بل وبتهكم لم تعد هناك رغبة في فعل ما هو أكثر عند مؤسسة شبرينجر. وفي عشية المظاهرة الأولى الكبيرة ضد الحرب في فيتنام التي دعا إليها اتحادات الطلاب اليسارية والليبرالية يوم 5 فبراير 1966 ألصق رودي دوتشكه ومجموعة سرية صغيرة لافتات ضد "القتل بقنابل النابلم" بالطبع دون طلب الإذن من اتحاد الطلاب الاشتراكيين. وأعلنت "جبهة التحرير الدولية" "الثورة!" ما كُتب على تلك اللافتات بحروف كبيرة وطالبوا بـ: "خروج الأمريكان من فيتنام" وبعد أيام من مسيرة عبرت سد كورفورستيندام بمشاركة 2500 مشارك عرف سكان برلين لأول مرة ما هو معنى الاعتصام. كما طارت خمس بيضات على المقر الأمريكي عند بانهوف تسو ونُزِع العلم من على مدخله.[59] كما قام جزء من المحتجين عن عمد بخرق قواعد اللعبة؛ حيث أرادوا إثارة الاستفزاز ونجحوا في خطتهم.

في الوقت الذي صبت فيه الصحافة كل غضبها على "حمقى برلين الغربية" ابتعد اتحاد الجامعات الاشتراكي الديمقراطي، وتحدث فيللي براندت عن "فضيحة" رأى أنها إساءة لعلاقة الصداقة الألمانية الأمريكية. اعتذر الرئيس الجديد لجامعة برلين الحرة هانز يوآخيم ليبر للقائد الأمريكي في برلين للإساءة إلى "علم بلاده".[60] وبذلك تحددت ملامح الجبهات بالفعل التي تعين عليها الإبقاء على الثورة الكاملة على نحو عملي، حيث لم تمارس النخبة الحاكمة في جمهورية ألمانيا الاتحادية أي نقد للحرب الأمريكية في فيتنام، لكنها نجحت في إساة معاملة العدد المتزايد من المتعاطفين أخلاقيًا في الجيل الجديد باستمرار بدلا من إبعادهم عن المتطرفين سياسيًا.

حتى ولو أن عددًا قليلاً يؤيد الرغبة في تحديد نسبة الدوافع الفردية لتطور الثوار تحديدًا دقيقًا وأهميتها المتغيرة من الناحية النفسية الاجتماعية فحقيقة أن أبناء الحرب وما بعدها من الألمان قد تمكنوا من الشعور بأنهم جزء من جماعة الاحتجاج الدولية المتزايدة بسبب انتقادهم لحرب فيتنام، وجعلت هذا الموضوع جذابًا للغاية بلا شك.

وعارض تاريخ العلاقات العابرة للمحيط الأطلسي لهذه الوطنية اليسارية والمناهضة للرأسمالية تصور توجه شامل معارض للمذهب الأمريكي في الحركة الطلابية الألمانية من الناحية السياسية والأكثر منها ثقافيًا. ولا يستثني هذا أن احتياجات تعريفية غير مقصودة ولحظات التعويض لعبت دورًا في المشاركة من أجل شعب مقهور وفي إدراك أن الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت معتديًا غاشمًا، حيث تكمن الجذور الأكثر عمقًا لهذه اللحظات والاحتياجات في خبرات أجيال محددة وغالبًا ما يقابلنا الأبناء الأكبر سنًا لحركة "68" اليوم على أنهم أبناء حرب القنابل والهرب والطرد.

ومع نشأة الائتلاف الكبير في أواخر خريف 1966 ازدادت مناسبات النقد ودوافعه. ومن منظور "ذكاء شاب" كما كان يحب الرعاة المتمرسين أن يطلقوا عليها (حيث لم يكن عددهم بالقليل كما كان من قبل) كانت الديمقراطية في جمهورية ألمانيا الاتحادية مهددة. وصارت حركة المعارضة خارج البرلمان أكثر إلحاحًا بعد أن تقلصت المعارضة البرلمانية في جزء مؤسف يعرف باسم الحزب الديمقراطي الحر FDP. وبغض النظر عن الاتفاق مع مدرسة فرانكفورت أو أكثر مع هيربرت ماركيوز Herbert Marcuse الضيف النجم الساحر صاحب المؤتمرات العديدة عن فيتنام والمشخص اللامع لما يعرف باسم "تسامح قهري" الذي يقصد به أنه من كان في منتصف الطريق متيقظًا ومضى في الحياة بفكر نقدي فقد اكتشف في كل مكان "البنى السلطوية" التي يتعين مناهضتها.

لكن لم يكن من الضروري حدوث ذلك من خلال تأمل مدعوم بالنظرية ومن خلال "عمل سياسي" كلاسيكي كما فهمه المتنبئون القدامي باتحاد الطلاب الاشتراكيين. فرجل مفكر وناشط مثل رودي دوتشكه أثبت في الاحتفالات السابقة لأعياد الميلاد ببرلين عام 1966 أكثر من مرة حدوث أمور مختلفة.[61] فبعد مظاهرة منهكة إلى حد ما بكل ما تحمله الكلمة من معنى في العاشر من ديسمبر فيما يعرف باسم "يوم حقوق الإنسان" وجه المتظاهرون الذين كان قد سبق وقد طالبهم بتكوين "معارضة خارج البرلمان" إلى زحام التسوق في شارع كورفورستيندام. هناك عملت "مجموعة كيموينة" Kommune Gruppe جديدة تعمل وفقًا للأعمال المعادية للدولة أمام مقهى كانتسلر على خلق ذروة هائلة لليوم برؤوس كرتونية من الورق المقوى لايمكن حرقها بسهولة لكل من فالتر أولبريشت وليندون جونسون.

وبعد أسبوع قام كاتب من أمستردام وخبير بالمشهد الاستفزازي من تعليم دوتشكه وأعضاء الكيميونة بعمل تكتيك مختلف، فبدلا من تنظيم مظاهرة تتطلب أخذ تصريح أصبح هناك ما يعرف "بمسيرة احتجاجية" وضح مغزاها "لجنة" "انقذوا الشرطة: جمعية مسجلة" عن طريق المنشورات. هذا التكتيك الاحتجاجي القائم على المسيرة يريد أن يسخر من الشرعية المتحجرة وأن فضح اللاعقلانية للنظام الرشيد، كما يريد أن يُظهر بأسلوب ترفيهي مسلٍ أن المثل العليا لهذا المجتمع ليسوا إلا حمقى."

ولكي لاتبقى "الأدوات المسكينة لعدوانية الشباب في الزي الشرطي" طويلا فقد طالبوا لرجال الشرطة "أسبوع عمل 35 ساعة" كي يصبح لديهم وقتًا أكثر للقراءة واللهو للعروسات والزوجات ولكي يفقدوا العدوانية في لعبة الحب ومزيد من الوقت للنقاش لتوضيح الديمقراطية للمحاربين القدامى." في النهاية دافعت اللجنة عن تسليح مستقبلي للشرطة بالحلويات للأطفال وموانع الحمل للمراهقين "وإباحية للأجداد الشهوانيين" كما يجب زيادة رواتب الشرطة أكثر من "كاتب شبرينجر"؛ لأنه في يوم من الأيام سيتعين على الشرطة السماح لمعارضة واعية للائتلاف الكبير من الدخول للبرلمان."[62]

واتضح فجأة أن الاحتجاج المناهض للسلطوية قد تقولب في الأساس وحاول رجال مثل ديتر كونستيلمان وفريتس تويفل وأولريش إنتسينسبيرجر (وعدد قليل من النساء مثل دوروتيه ريدر وداجمار زيهوبر وداجرون إنتسينسبيرجر على وجه الخصوص) إثبات أن الأمور سارت على نحو غير تقليدي ومسل. هؤلاء الأشخاص هم من أخرجوا مجموعة "كيموينة 1" من التعميد الثوري في فبراير عام 1967 في منازل الأدباء المسافرين هانز ماجنوس إنتسينسبيرجر وأوفيه يونسون.[63] وأضحى كونتسيلمان القادم من ميونيخ في الشهور التالية التي اكتسبت فيها الحركة مزيدًا من السرعة منظمًا ومدبرًا لأحداث سعيدة غريبة. ومن خططه الساخرة الخطيرة (للمشاركين أخيرًا وليس آخرًا) فكرة ما يعرف باسم هجوم الحلويات على نائب الرئيس الأمريكي هوبرت همفري Hubert Humphrey الذي كان من المتوقع أن يزور برلين بداية إبريل 1967. وأدى تدخل حماة الدستور المشاركين في التحضيرات إلى عناوين طموحة للغاية لكن أيضًا إلى إلقاء القبض مؤقتًا على المجموعة.[64]

في الوقت الذي استثنى فيه اتحاد الطلاب الاشتراكيين ببرلين أعضاء جماعة الكيموينة العصبيين بعد ذلك بفترة وجيزة بسبب "صراحتهم الخاطئة" أصبح تصوير "المهتمين العاطفيين في حد ذاتهم" كما يلقبوا أنفسهم موضوعات مرغوب فيها لوسائل الإعلام "المدنية" التي من دون حضورها الدائم آنذاك لم يكن من الممكن توضيح التطور المتواصل لجماعة "كيموينة 1" أو تاريخ "حركة 68". ويعد السؤال المدرج إلى ثروة الاستشهادات لجمهورية ألمانيا (القديمة) والذي طرحه ديتر كونتسيلمان عن علاقته بحرب فيتنام طالما أن لديه مشكلات في النشوة الجنسية مثالا حتى يومنا هذا. آنذاك تنافست صور الظهر العاري[65] لجماعة "كيموينة 1" والصورة البراقة للممثلة أوشي أوبرماير مع الأيقونة السياسية للثوار الألمان والمتمثلة في صورة مع الطالب الألماني المحتضر بينو أونيزورج بمثابة تكثيفًا رمزيًا لمذهب المتعة الذي مُورِس في أماكن أخرى مقابل أبخس الأثمان.

عام 1967

عام لم يكن في الحسبان

عام 1968 هو العام الذي يقال إنه غير كل شيء.[66] بدأ هذا العام في أواخر ربيع عام 1967 واستمر قرابه ثمانية عشر شهرًا وبدا حسب التعبير الأدبي لهانز ماجنوس إينتسينسبيرجر "صيفًا غير قصير للفوضوية"، لكنه يشير بذلك أيضًا إلى الموقف غير الموجود في تاريخ الخبرة في جمهورية ألمانيا الاتحادية الذي رأى فيه الفاعلون أحيانًا أنهم حركوا الظروف". وفي الحقيقة يتعلق الأمر بمرحلة للتسارع غير المتوقع وغير المحسوب وفض للفواصل وتطرف في عدد كبير من السياقات السياسية والاجتماعية التي اختُبِرَ فيها نظام ما بعد الحرب، بل وتعرض للاهتزاز قليلا في بعض الأيام وكان يوم الثاني من يونيو 1967 مثالا على ذلك.

تذكر القس هاينريش ألبيرتس[67] ذلك اليوم قائلا: " كانت الشوارع خالية تمامًا عندما كنا متوجهين من المطار إلى مجلس البلدية." وقابل محافظ مدينة برلين بقليل من التعاطف ضيفي الدولة وهما شاه إيران وقرينته. وجانبه الصواب في كل ما فعله في ذاك اليوم. وفي فترة الظهيرة عند الوصول إلى شونيبيرج لم تنجح القوات الشرطية في إبعاد بضعة مئات من المتظاهرين في ركب محبي المظاهر عن المتظاهرين المناهضين القادمين في حافلتين عن بعضهما البعض.[68] وبمجرد أن اختفى الشاه في مبنى البلدية ألقى "بعض من المؤيديين الإيرانيين" المأجورين بعوارض خشبية من السطح ضد منتقدي "النظام القمعي". وعلى الرغم من أنه لم يتعرض أحد للضرر جراء ذلك فإنه قد شعر الطلاب بالإهانة؛ حيث قُبِض على بعض زملائهم مثلما حدث في ميونيخ في الليلة السابقة، ولم يُقْبَض على العملاء القمعيين للمخابرات الإيرانية.

في المقابل ثارت الأجواء في المساء أمام دار الأوبرا الألمانية؛ حيث تجمع قرابة الألف متظاهر انتظروا شاه إيران محمد رضا بهلوي وقرينته فرح ديبا بأقنعة من أكياس التسوق (أنتجتها جماعة "كيموينة 1") بهتافات سلبية وترديد عبارات (" شاه شاه شاشليك") وألقوا عليهم بحبات الطماطم وشموع مشتعلة وأكياس بها ألوان. وعلى

الرغم من وصول معظم الضيوف ومنهم الرئيس الألماني لوبكيه دون أي أذى إلى داخل المبنى فقد كان المشهد الاحتجاجي المتجدد بالنسبة للقس ألبيرتس أكثر إحراجًا مما حدث لضيوف الدولة في الفترة الأخيرة فقد كانت هذه المرة من أكثر المرات التي ثار بها غضب الطلاب وظهر عزمهم هذه المرة، ثم في المحاضرة التي ألقتها الفاعلية السياسية في القاعة المليئة بجامعة برلين الحرة، وكانت تنويرية بما لا يدع مجالًا للشك.

لكن كان يجب إفشال الفاعلية بعد أن فشل مجلس الجامعة في محاولته من الحيلولة دون تنظيمها؛ حيث أدار بامان نيرموند وهو متخصص في علم الأدب الإيراني بدعوة من اللجنة الطلابية العامة AStA محاضرة عن "النظام القمعي" للشاه. نشرت له دار نشر ""rororoaktuell"" مجلدًا صغيرًا بعنون "بلاد فارس.. نموذج لدولة نامية أم ديكتاتورية العالم الحر" الذي كتب فيه هانز ماجنوس إينتيسنسبيرجر "خاتمة" بأسلوب فني غاضب معبرًا عن آراء الثورة (تعرف على نيرموند في رحلة قراءة في طهران وطالبه بالكتابة) وبعد أحداث الساعات التالية تطور العمل إلى كتيب للنقد الألماني للشاه وبيعت ألف نسخة منه.

ولاحظ ألبيرتس في قاعة استقبال الأوبرا موظفًا كان يتمنى عدم تجدد المظاهرات بعد العرض.[69] لكن في الواقع بدأت القوات الشرطية تفرق المحتجين بمجرد رفع الستار بأسلوب متخصص للغاية، صار شرحه من خلال رئيس الشرطة إريش جزنسينج بمثابة ذكرى قاسية على الثوار؛ حيث قال: "إذا لم ندرك المتظاهرين على أنهم مقانق من الكبدة فعلينا أن نوخزهم في المنتصف حتى نفصلهم من النهايات."[70]

استمع "الحاكم" إلى "الناي المسحور" ونقلت إليه إشاعة أن طالبًا ثم شرطيًا قد ماتا.[71] سادت خارج الأوبرا أجواء ما يعرف باسم "صيد الثعالب" وهي تسمية تطلق على قوات التدخل التي استهدفت المتظاهرين، فكل من كان لديه لحية أو مرتديًا نظارة كان عليه أن يضع في الحسبان تعرضه للضرب حتى الفتيات كن يُضربن. واستخدمت خراطيم المياه وحُوصِر ربع عدد المتظاهرين، وكان الهروب من الشوارع الجانبية ضربًا من المحال. لكن فجأة سقطت طلقة على فناء الحديقة أصابت الناشط والطالب الألماني بينو أونيزورج في مؤخرة رأسه. كانت الساعة الثامنة والنصف مساءً، ومن أطلق الرصاصة كان ضابطًا

جنائيًا في الخدمة المدنية يدعى كارل هاينتس كوراس. وفي الليل أعلن هاينريش ألبيرتس أن القتيل "محسوب" على المتظاهرين بقوله : "نفذ صبر المدينة"، وكان التساؤل عن مدى التعبير عن الحيرة ومحاولة الخداع ضمن التساؤلات التي ظلت دون إجابة مرضية. وانشغلت لجان تقصي الحقائق والمحاكم بالقضية.[72] لكن اتضح في صباح اليوم التالي أن الاحتجاج الطلابي أسفر عن شهيد.

وبعد لحظة من عدم التصديق تحولت الصدمة إلى طاقة متحركة. فخلال ساعات زاد عدد المتعاطفين مع جماعات الثوار التي كانت صغيرة حتى تلك اللحظة، وكان ذلك بالطبع في جامعة برلين الحرة في باديء الأمر. ففي المنشورات التي نُسِخَت في عجالة ذُكر أن رجال الشرطة "قتلت" بينو أونيزورج.[73] انزعج اتحاد المعاهد العليا الديمقراطية الاجتماعية من "تصريح ألبيرتس الساخر للغاية" ودعا إلى "تجمع صامت" الساعة الثالثة عصرًا أمام مبنى البلدية. غير أن الحكومة فرضت حظرًا للتظاهر العام. وظهر نص جديد بعنوان "قتل متعمد" حيث قيل إنه جُمِعَت أقوال الشهود عن الأحداث الواقعة عند دار الأوبرا لكشف "المؤامرة الفاشية للحكومة" وأُعِدَّتْ "محاكمة" كانت نتيجيتها محددة بالفعل وهي ***القتلة المتهمون في هذه الجريمة المعدة هما ألبيرتس وبوش."***[74]

لم يكن هذا الاتهام لرئيس الحكومة الديمقراطي الاجتماعي وعضو المجلس الشاب أقل تحذيرًا بكل تأكيد في أي معسكر يوجد به ولو جزء من المتظاهرين على الأقل: "لأن القتلة وأجهزتهم التنفيذية لن تتورع عن ارتكاب مزيد من جرائم القتل وتحويل الميدان المقابل لمجلس بلدية شونيبيرج إلى مسرح لممارسات إرهابية جديدة؛ لذا سنجتمع بالقرب من الميدان المحاصر في تمام الساعة الرابعة عصرًا أمام مبنى هنري فورد كي نعيد الحياة للجنة تقصي الحقائق."

لم يتعلق الطلاب وحدهم بتصور أنهم في موقف في صيف عام 1967 يمكن مقارنته بما حدث قبل عام 1933. أعلنت جريدة "بيلد" في هذا الصباح ليس للمرة الأولى باسم القراء: "نكافح ضد طرق كتيبة العاصفة" "الألمان لايريدون قوات بنية وحمراء اللون من كتيبة العاصفة. لا يريدون طابورًا خامسًا بل يريدون السلام"

منذ بضعة شهور لم تفوت صحف مؤسسة شبيرنجر فرصة لوصف الطلاب المتظاهرين

"بالمتطرفين"، و"المخربين" و"أنصاف أقوياء أكاديميين"، وفي ذلك اليوم سمحت الصور الموضوعة على شريط صفحة الغلاف لجريدة "بيلد" تحت الصورة الرائعة لشاة إيران وزوجته، صورة شرطى ينزف ومستندًا على اثنين من زملائه، بفرصة لنقد روتيني تمثل في : "كان الإرهاب في برلين يوجد شرق السور حتى الآن لكن أمس حاول أشخاص أشرار وأغبياء لأول مرة نقل الإرهاب إلى الجزء الحر من المدينة."[75]

وصارت كلمة "إرهاب" متداولة في أفواه الناس ومن الواضح أن المرء لم يكن في حاجة إلى أن يكون من جماعة الطلاب كي يرى أن صحف مؤسسة شبرينجر الفاضحة "تتلاعب" بالرأي العام. كتب كاي هيرمان في جريدة "تسايت" التي انتهجت طريقة مجلة "دير شبيجل" في الأسابيع اللاحقة من تزويد الجامعات والمعاهد العليا في برلين بمستلات مجانية قائلا: "أنتجوا أجواء مطاردة وحولوا حي داليم إلى جيتو."[76] حتى ولو أن المغزى التجاري كان يبزغ من خلف ذلك (اهتم الصحفي رودولف أوجشتاين والناشر جيرد بوتشوس **Bucerius**منذ بعض الوقت بموضوع "تركيز الصحافة في عدد قليل من دور النشر، الأمر الذي كان يقصد به مؤسسة شبرينجر) فلدى اللجنة الطلابية العامة AStA سُجِّلَتْ مساعدة النشر من "ألمانيا الغربية" والاكتفاء بذلك غير أن كل المحاولات في الأيام الأولى باءت بالفشل لتصويب الصور المشوهة عن الأحداث الخاصة بزيارة شاه إيران.[77] ولم يمر أكثر من أسبوعين حتى انتشر شعار "مصادرة أملاك دار نشر شبرنيجر" في جميع أنحاء العالم."[78]

غير أن الدعم جاء من الأساتذة الأكاديميين. ففي معهد أوتو زور للعلوم السياسية انضم المعلمون ومنهم جوردون كريج وريشارد لوفينتال وألكسندر شفان وكورت زونتهايمر إلى قرار طلابهم. وتزامنًا مع ظرف مقتل بينو أونيزورج لم يمر سوى 48 ساعة حتى صار تأثير النص مهمًا حيث ورد به: "الحجارة والأجسام المشتعلة وأكياس الألوان" لم تكن "في أي موقف آخر أدوات مقبولة للخلاف في مجتمع ما زال ديمقراطيًا مثل هذا الوقت". ثم تبع ذلك نقد تصرف الشرطة فيما يتعلق "بالإيرانيين الإرهابيين الموالين للحكومة" – والشكوى من سلطة التلاعب في الصحافة حيث ورد بالنص: "بلا شك مثلت وفاة طالب ذريعة للطرف الآخر في إعادة النظر في أدواته المستخدمة بأسلوب نقدي للذات وليس بطريقة منافقة، مدعومًا من صحافة احتكارية في إحالة الذنب في

الأحداث على طرف واحد."[79]

شعر المؤرخ كارل ديتريش براخر من بون الذي سطر كتابًا أساسيًا عن نهاية أول ديمقراطية ألمانية بأنه تذكر من خلال الصحف التي تصدرها دار نشر شبرينجر "حملات التحريض التي شنتها صحافة هوجينبيرج" التي تسببت في دمار جمهورية فايمار". وكان عدد كبير من الأساتذة في المعاهد العليا وخاصة في مجال العلوم الإنسانية واللاهوتية مثل براخر مستعدين للحديث في حفلات التأبين وفاعليات التضامن. على الرغم من أن السايسي كنوت نيفرمان الذي كان يجمع أسماء من يريد الحديث باسم اتحاد الطلاب الألمان يرى أن الجامعة الألمانية "تخلت عن طلابها" فإن المطويات تظهر استعدادًا للتدخل السياسي والنقاش مع الواقع المجتمعي كما لم تراه الأوساط الأكاديمية في جمهورية ألمانيا الاتحادية من قبل.[80]

وتجدد بوضوح بالغ في تلك الأيام مدى حضور النازية في رؤوس المعاصرين في الصور والصور المضادة وفي الخطبة التحذيرية والانعكاس المجتمعي والتأثيرات اللاحقة للتبرير العقلي. وطوال عقدين من الزمن بعد نهاية الحرب ظلت تصورات "الماضي القريب" مسيطرة على رؤية الحاضر بمدى كبير بل وتسممه. ومن منطلق الاقتناع بأن الأمر يحتاج إلى نقاش قوي مع "هذا الماضي الذي لا يمكن تجاوزه" تقارب عدد من الطلاب الناقدين وجزء من معلميهم الأكاديمين بشكل كبير. غير أن فروق التفسير المتعلقة بالأمر استلزمت بعد ذلك بفترة وجيزة تحديد فارق جوهري، الأمر الذي رسم خطًا بين الأجيال في الوقت نفسه أي في الإجابة عن سؤال هل يُنظر للمجتمع الألماني على أنه "مجتمع ما بعد الفاشية" أم مجتمع "ما قبل الفاشية". فإذا كان المفهوم الأول (حتى ولو لم تكن تلك المصطلحات هي الغالبة) يشير بالتأكيد إلى أساس مجتمع "لجيل متشكك" جاء إلى جمهورية ألمانيا الاتحادية من أبناء الجنود المساعدين في سلاح الطيران الألماني وجنود الجبهة الصغار في الحرب العالمية الثانية فإن المفهوم الثاني يشير إلى المنظور النقدي لجيل جديد تكون بسبب أحداث يونيو وكان الانعكاس السيء له هو اسم "حركة الثاني من يونيو" التي بدأت مسارها الإجرامي بتنظيم شبه عسكري طوال خمس سنوات.

وبمفهوم الغضب المسيطر على جيل يوم الثاني من يونيو 1967 - وليس في السياق

الدولي- لكن بالنظر إلى ألمانيا فمن الأدق الحديث تاريخيًا عن "جيل عام 67" وليس "جيل عام 68". فكما أن مصير بينو أونيزورج سجل لحظة الصدفة فمن المؤكد أيضًا أن وفاته هي من جمع الحركة ودفعها إلى الأمام.

وفي الوقت نفسه عمل على اتساع نطاقها بشكل هائل. وإذا كانت برلين أو بالأحرى الجامعة الحرة هي مركز الاحتجاج الذي يقوده اتحاد الطلاب الاشتراكيين بلا جدال "فألمانيا الغربية" لحقت بهم. حتى في المدن الجامعية التي لم يكن لاتحاد الطلاب الاشتراكيين حتى حينه أتباع فيها، والتي كانت الجماعات القريبة من الحزب في الجامعات مثل اتحاد الجامعات الاشتراكيSHB واتحاد الطلاب الليبرالي LSD أو اتحاد الطلاب الإنساني تسعى فيها إلى الحصول على أعضاء بشق الأنفس لم تعد بها المظاهرات وفاعليات تنويرية والاعتصامات مجرد شيء يخص مجموعات منعزلة بعد الآن.[81] وفي الاستخدام اللغوي العلني تحول تعبير "قلاقل الطلاب" إلى "الحركة الطلابية".

على الرغم من أن عدد أعضاء اتحاد الطلاب الاشتراكيين الذي شهد زيادة واضحة لم يتجاوز ألفي عضو في ذروة الثورة فإن آلاف الطلاب في الجامعات في المقاطعة قرروا عدم الاكتفاء بدور المتفرج بعد الآن عندما كانت تدعو اللجنة الطلابية العامة أو أي اتحادات تنظيمية تلقائية لاحتجاجات جديدة. وفكرة أن الطالب البالغ من العمر 26 عامًا الذي يدرس العلوم الرومانسية والجيرمانية في برلين كان نقيًا للغاية قبل أن تصيبة طلقة الشرطي كانت ذات أهمية فقد كان شابًا متأملا ولم يكن بأية حال من الأحوال "عضوًا مؤسسًا" بل كان شابًا يراقب المعارضة المتطورة خارج البرلمان من بعيد قبل عشية زيارة شاه إيران.[82] والتفكير في الدخول إلى مصير مثل ما حدث لبينو أونيزورج لم يكن صعبًا وكان يعني بالطبع حدوث موجة من التوعية السياسية والأخلاقية من خلال الجامعات في الصيف الطويل لعام 1967. ومن كان لديه قلب فكان يشعر بشكل ما أنه يساري.

إن الجنازة في هانوفر التي مثل فيها مؤتمر رؤساء الجامعات بألمانيا الغربية نفسه بإكليل أظهرت بداية تطرف في الدوائر القيادية للاحتجاج بالتوازي مع تعبئة دوائر أخرى من الشباب (لا يمكن الحديث إلا عن "الحشود" لمن تجاهل معدل الطلاب المنخفض بشكل جدير بالشكوى). في أثناء ما زرفت جمهورية ألمانيا الديمقراطية دموع التماسيح

وسمحت للموكب الجنائزي من برلين الغربية من المرور دون تفتيش في مشهد مفعم بالعواطف اعتقد جزء من المتنبئين دفع مسألة الثورة كي تزيد من سرعتها. وحضر أكثر من سبعة آلاف طالب ومعيد وأستاذ من كل أرجاء ألمانيا المؤتمر الذي عقده اتحاد الطلاب الاشتراكيين عقب دفن أونيزورج. وتحت شعار "الجامعة والديمقراطية – الشروط وتنظيم المعارضة" تناول المؤتمر سؤالًا تقليديًا، وهو: ما العمل؟

وبدلا من لينين أجاب كل من هانز يورجن كرال ورودي دوتشكه وأسفر الأمر عن خلاف حماسي مع الصغير هابرماس؛ لأن حكمه "بالإرهاب" في برلين الغربية ووصفة الناقد "لمجتمع الأداء السلطوي" لم يبعدا عن بعضهما البعض بالقدر الكاف، خاصة أن التحليل كان مرتبطًا بتحذيرات واضحة من "مذهب الفعل و"التبسيط المبالغ فيه" من جانب الطلاب. وفي تناقض حاد مع هابرماس أعلن دوتشكه توافر "الشروط المادية لجدوى تاريخنا" بقوله:" "وصلت تطورات القوى المنتجة إلى درجة أداء تجعل من الممكن القضاء على الجوع والحرب والسلطة بشكل مادي. وكل شيء يخضع للإرادة الواعية للناس في إدراك التاريخ الذي صنعوه بأنفسهم والتحكم به وأن يخضعوه لهم أي أن موضوعيتك غير المفهومة أستاذ هابرماس تضرب الفاعل الذي يجب تحريره."[83]

كان هابرماس جالسًا في السيارة عندما دفعه الاضطراب الحادث بسبب هذا الهجوم والمؤتمر متعدد الأطياف الخاص بمسألة العنف إلى لتوجه إلى قاعة المؤتمر التي كان دوتشكه قد غادرها للتو، وقال: "ألقى السيد دوتشكه اقتراحًا ملموسًا بضرورة عمل اعتصام؛ إنها مظاهرة بوسائل سلمية. وأتساءل لماذا لا يسميها هكذا ولماذا استخدم طوال الـ45 دقيقة ذلك في تطوير الأيدولوجية التطوعية التي أُطلق عليها عام 1848 اسم الاشتراكية الفاضلة، والتي يجب أن نطلق عليها اليوم اسم "فاشية يسارية" بالنظر إلى الظروف الحالية، وأعتقد أنه توجد أسباب لاقتراح هذا المصطلح."[84]

وبذلك صِيغَ أسوأ اتهام ضد اللاسلطويين بكل تأكيد، وذلك من خلال شخص كان ينظر إليه بأنه متعاطف مع الطلاب عن جدارة. وبالفعل عبر خليفة هوركهايمر من فرانكفورت في هانوفر عما ظل حتى نهايته مشكلة للمعارضة خارج البرلمان ثم لجمهورية ألمانيا الاتحادية في شكل الإرهاب اليساري الذي يجب خلقه بشكل مختلف تمامًا: "أرى

أنه في موقف ليس بثوري أو ما بعد ثوري بالنسبة للطلاب (...) الذين لا يملكون سوى حبات الطماطم في أيديهم من الممكن أن يكون هناك غطرسة ذاتية في اقتراح استراتيجية قائمة[...] على ترسيخ قوة ناعمة من الضروي أن تكون بداخل المؤسسات سواء أكانت تمثلها أم لا."

بالنسبة للأقلية قال هابرماس الأمر الحاسم، ووجد بعضهم في ذلك العودة إلى المسافة الفكرية لكن بالنسبة لكثيرين وبينهم الذين انضموا إلى معسكر الاحتجاج بعد وفاة زميلهم أثبت الغضب المستغل بالكامل في هذه البيئة من الألفاظ المثيرة للفاشية المتحولة من يساري إلى اليسار أنه فرصة سمحت بالانغماس في توقعات فعل مضطربة بدلا من التساؤل عن تطوعية تتسم بالعنف.

كانت ساعة "دير شبيجل" خاصة بعد أن كظم دوتشكه من غضبه أمام الناس بعد الصدام مع هابرماس في هانوفر.[85] وفي أول لقاء كبير له لم يقدم "القائد الفكري لجماعة طلابية تسعى إلى قلب الظروف المجتمعية" أي إجابة لهيئة التحرير المهتمة على غير العادة.[86] ربما يعود الفضل في وضوح لغته إلى فن التحرير لمحاوريه (الذين حولوا اقتباسًا إلى عنوان نفعي للغاية وهو"نطالب بمصادرة أملاك أكسيل شبرينجر") لم يتجنب دوتشكه نفسه السؤال الأكثر إحراجًا والمتمثل في "الدعوة إلى العنف والقتل والضرب الذي يفضي إلى الموت في كبرى مدن الدول الصناعية"؛ حيث قال: "أعتقد أن ذلك خطأ ومضاد للثورة؛ لأنه في كبرى المدن لا يوجد إنسان في الأساس كي نكرهه"، وأضاف بقوله إن كيسنجر وشتراوس وآخرون هم مجرد "أقنعة شخصيات بيروقراطية" يرفضها ويكافح ضدها، لكنه لا يستطيع أن يكرهها مثل الديكتاتوريات في العالم الثالث، لكنه أجاب عن السؤال بقوله: "لا يمكن أن يدعي أي شخص خلو عمليات التغيير من أي مظاهر للعنف".

وثقة دوتشكه المتمثلة في "تنامي حجم المعسكر اللاسطوي الذي بدأ ينظم نفسه ذاتيًا" أثر في صيف عام 1967 على كثيرين بثبات مثل مطلبه "بضروره تدمير الوضع القائم وبناء كيان جديد". في الحقيقة تزايدت سرعة الثورة ليس فقط في عقول الثوار بل أيضًا في وعي وسائل الإعلام – حيث نشأت في وسائل الإعلام المتعاطفة مع الثورة وحتى

صحافة شبرنجر المناهضة للاحتجاج تصورات تهكمية نوعًا ما عن كيف من الممكن "صناعة التاريخ" على المدى القصير وبشكل كبير. ومع إمكانات الفعل المتخيل تنامت توقعات الفعل.

عندما تقابل أعضاء اتحاد الطلاب الاشتراكيين بعد بضعة أسابيع في فرانكفورت في مؤتمر الوفود السنوي لم يَدُرْ أي نقاش عن الطماطم. فالاحتجاجات ضد قوانين الطواريء قد استمرت وأُسس مركز فعل على امتداد الولايات الاتحادية يضم الطلاب المستقلين والاشتراكيين(AUSS) بدعم من اتحاد الطلاب الاشتراكيين.[87] وأدت حرب يونيو عام 1967 إلى ظهور أول مواقف ناقدة لإسرائيل من جانب اليساريين وفي جامعة برلين الحرة خطب هيربرت ماركيوز الذي اتهم أصدقائه في معهد البحث الاجتماعي "بالانهزامية" ولو على نحو خفي للغاية طوال أمسيتين لآلاف من المستمعين عن "نهاية اليوتوبيا" وعن "مشكلة العنف في المعارضة". ومن لندن حيث سافر بعد ذلك هيربرت ماركيوز وصل الطلاب الألمان خبر شعار بلاك باور و"حرب العصابات" للزنوج في الولايات المتحدة التي تنبأ بها الناشط الأمريكي من أصل أفريقي ستوكلي كارمايكل ليفاجيء تلميذة ماركويز أنيجلا دافيس.[88]

وفي لقاء اتحاد الطلاب الاشتراكيين في فرانكفورت[89] نوقشت إشكالية العنف تحت راية الجبهة الوطنية لتحرير جنوب فيتنام المعروفة باسم Vietcong. ودوما عندما يتحدث دوتشكه تتوجه كاميرات "وسائل الإعلام المدنية" إليه؛ لأن الدقيق دوتشكه القادم من لوكينفالده كان بالنسبة لها تجسيدًا للتمرد. لم يكن كل زملائه يطيقون هذه "الشخصنة" لكن بعد هجوم يوم الخميس المقدس عام 1968 ظل هؤلاء صامتين ولم يتعسهم شيء أكثر من ظهور دوتشكه على صفحة غلاف مجلة "كابيتال""[90]"Capital لكن حتى ذلك الوقت مرت سبعة أشهر وظهر للجميع مدى فاعلية دوتشكه بكثافة وإثارة دائمة مع أبطال آخرين للحركة، الأمر الذي دفع آخرين إلى تأمل كثير مما قيل وكتب من منظور التأثير الذاتي. وأعطى الزملاء قبلة الموت للثورة.

شرح رودي دوتشكه أنه لم يعد "لمشكلة الطبقات" بل "للإرادة الثورية" أهمية حاسمة آنذاك للحاضرين بالمؤتمر في فرانكفورت الذين تعين عليهم الحديث والتفاوض

أمام جمهور متحمس للغاية ممن يطلق عليهم اسم أعضاء بسطاء والذين رأوا أنفسهم في مواجهة المبعدين من كيميونة كونتسلمان الذين قدموا في البهو تسجيلات للأغاني الحربية من الشرق الأقصى للمخلصين للثورة الثقافية الصينية وأولى الأعمال المنسوخة بشكل غير قانوني لكتاب المحلل النفسي فيلهلم رايش ("وظيفة النشوة الجنسية") و("سيكولوجيا الحشود للفاشية") والنسخة الأولية لمخطوطة هوركهايمر ("الفجر") حيث إن العمل الأخير كان مناسبًا لكل شيء في تقرير دوتشكه عن الدستور الذي أثنى فيه على "مجموعات الوعي الثورية" وأشكالها الجديدة للصراع السياسي (الفعل المؤسس حسيًا") في المدن. وبلغة دوتشكه البسيطة كان يقصد بذلك "تمدين عمل العصابات البدائي" والذي يجب أن تكون مهمته هو إكمال "الحملة الدعائية للطلقات" التي تبناها الثوري تشي جيفارا من خلال "الحملة الدعائية للفعل" حيث قال: "حرب العصابات في المدن هي المنظم لعدم الانتظام الكامل بوصفه تدميرًا لنظام المؤسسات القمعية."[91]

لم تكن هذه بداية "الكفاح المسلح" غير أنه لا يمت بصلة على الإطلاق إلى مواقف الأرثوذكس من ماربورج مثلا أو النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت. في الوقت الذي دخل فيه هانز يورجن كرال في تحالف مع دوتشكه "وأتباع دوتشكه" فيما يتعلق "بتقرير المنظمة" فإن دوتشكه على حساب "غير الشرعيين" من الحزب الشيوعي الألماني المحظور مثل هانيس هير الذي سبه دوتشكه ووصمه "بالفاشي اليساري" وعارض "إرهابهم الفوضوي" والدموع في عينيه كما تقول الأسطورة.[92] على الرغم من هذه الممارسات المختلفة التي منحها كريستيان زيملر بقذيفة من كوبا موضوعة تحت مقعد هانيس هير درجة الطالب المدرسي تمخضت الجمعية في النهاية عن "قرار للحرب ضد التلاعب والتحول الديمقراطي للرأي العام". وحظي المطلب "بمصادرة أملاك شبرينجر" النابع من برلين بعد وفاة أونيزورج بإضافة مطابقة لمطلب الفاعلية الذي أطلقه اتحاد الطلاب الاشتراكيين بأن تكون مصادرة أملاك شبرينجر كاملة وعلى مستوى الدولة بالكامل.

عندئذ لم يعد الأمر متعلقًا بمؤسسة شبرينجر وحدها التي شُن ضدها "حملة مستمرة طويلا" بهدف "الكشف والتدمير" طبقًا لبرنامج الفعل الاستثنائي،[93] بل صار الأمر مرتبطًا "بمؤسسات بناء تكوين الرأي العام". حيث يجب أن تنقل هذه المؤسسات "إلى الملكية العامة والرقابة الديمقراطية" ومن ثم تتحرر من "احتكار الرأي" "وإملاء

مصالح الكسب والمنفعة" علاوة على أنه صار من المهم أن تحل "المعلومات المناسبة للشيء بالنسبة للمستهلكين" محل "الحملة الدعائية للاستهلاك" وأن تكون "القدرة النقدية" للصحافة والإذاعة والتلفزيون للدولة مكفولة وحماية الصحفيين من الضغوط الاقتصادية والسياسية. كان مطلب ضرورة حصول "كل جماعة سياسية أو اجتماعية أو ثقافية" على حقها في التعبير عن أفكارها وثيق الارتباط فكريًا بمشروع آخر دفعه اتحاد الطلاب الاشتراكيين بوصفه "رأيًا عامًا تنويريًا مضادً" والمتمثل في تأسيس "جامعة نقدية".

مع بداية الفصل الدراسي الشتوي 1968/1967 بدأ تفعيل التعلم الذاتي الطلابي الذي نوقش طويلا في الجامعة الحرة وهنا عادت المثل العليا الأمريكية أو بالأحرى الرعاة من كاليفورنيا غير أن الأهداف ظلت معلقة. في الوقت الذي فكر فيه أناس مثل دوتشكه في "جماعات مضادة" يجب أن تؤخذ على محمل الجد حتى ولو على مدى قصير أسفر برنامج ملموس لفاعليات الجامعة النقدية عن استكمال للبرامج التعليمية الرسمية ومع مطالبات صحيفة اتحاد الطلاب الاشتراكيين في وقتها جاء "النقد الدائم للجامعات والإصلاح العملي للمناهج الدراسية" في مقدمة المهام يتبعها "نشر الممارسات السياسية وتكثيفها" وهدف إعداد الطلاب "لسياسة علمية ومجتمعية في وظائفهم المستقبلية".[94] غير أن المعارضة لم تأتِ وحدها من المجلس الأكاديمي بل أيضًا من رابطة الطلاب الديمقراطيين المسيحيين RCDS والاتفاقات. وبغضب سجل رئيس اللجنة الطلابية العامة AStA زيجريد فرونيوس بعد الفاعلية المخصصة للتأسيس في القاعة الرئيسة: "يأتي أتباع الحزب والداعمون والمتعاطفون بعد فوات الآوان كالمعتاد. ويقلد اليمنيون أسلوب احتجاج اليسارين. ترتفع البالونات إلى أعلى وتوحي الضحكات والأقوال والاحتجاج أننا في انتظار جلسة مثيرة. تُوزع المنشورات ويجلس الخصوم في الصفوف الأولى."[95]

على الرغم من ظهور "جامعات مضادة" محترمة "ناقدة" بعد ذلك بفترة وجيزة في ألمانيا الغربية أيضًا بوصفها أفضل أداء للحياة الجامعية التقدمية فإنه لا يمكننا القول إن مبادرات مناسبة قد تركت تأثيرًا مستدامًا في مونستر وكيل وهايدلبيرج وفرانكفورت وماينتس. وأحدث المشهد الذي عمل طالبي الحقوق من جامعة هامبورج على تكوينه أثناء الاحتفال بتسليم رئاسة الجامعة في بداية الفصل الدراسي صخبًا كان متعلقًا بشكل كبير بشعار "تحت أردية النخبة الأكاديمية التقليدية يكمن عفن ألف عام من الحكم

المستبد" مكتوب بحروف بيضاء على القماش الأسود الذي عبر عن ماضي النازية والصورة المطبوعة حتى يومنا هذا من ظروف الجريمة حيث رفع كلٌ من ديتليف ألبيرس وجيرت هينرك وهما عضوان في اتحاد الجامعات الاشتراكي SHB هذا الشعار على السلم أمام أصحاب المقام الرفيع.[96]

عندما تتطلب الأمر دفعًا خارجيًا في الفصل الدراسي الشتوي 68/1967 للحفاظ على مستوى الإثارة السياسية في الجامعات الألمانية والمدارس الثانوية بمدى متنامي أو حتى زيادته ساهم في ذلك الحكم بالبراءة الصادر لكارل هاينتس كوراس في الحادي والعشرين من نوفمبر من غرفة العقوبات الكبرى الرابعة عشر للمحكمة في حي موآبيت ببرلين ورد في حيثيات الحكم أنه لم تتضح "أدلة القتل العمد أو الإصابة المتعمدة للجسم من خلال الطلقة الموجه" إلى بينو أونيزورج. لم يساهم تصريح المحكمة من خلال رئيسها بعدم الرضا إلى ما انتهت إليه المحاكمة بقوله ("كان كوراس يعرف أكثر مما قال وأعطى انطباعًا كما لو أنه لا يقول الحقيقة في أمور كثيرة."[97]) في تهدئة المشاعر.

ومن كان مقتنعًا كيساري أن العدالة عمياء في عينيها اليمنى مرة أخرى لم يهدأ غضبه لما فعلته وسائل الإعلام الليبرالية فيما نقله الحكم واتضحت سلطوية مثل التي مارسها تيودور أدورنو في بداية محاضرته التالية بوضوح (بقوله:" إذا لم يكن في الإمكان الحكم على رئيس الشرطة؛ لأنه لم يثبت اتهامه بمفهوم القانون فيصبح ذنب مكلفه بالعمل أكبر" ومن المدهش أيضًا الكلمات التي استخدمها الفيلسوف أدورنو في وصفه للشرطة؛ حيث قال إنه يجب أخذ رأيهم في الإصدار الجديد للجريدة الطلابية بفرانكفورت: "ضعف تأثير عبارة "يؤسفني" تدينه مثل عدم الشخصنة في تعبير وفاة طالب [...]. مثل هذه اللغة مفزعة تمامًا مثل تلك التي استخدمت في محاكمات مجرمي معسكرات التعذيب النازية". فكما استخدم كوراس كلمة "طالب" استخدمت كلمة "يهودي" في تلك المحاكمات حيث قال: "قُلل من شأن الضحايا وحولوا إلى مجرد أمثلة من فئة."[98]

في التحول من عام 1967 إلى عام 1968 لم يعد الطلاب المتمردون يتقابلون داخل دوائر الأساتذة اليساريين أو اليمينيين كالسابق للحوارات الكثيرة فالعدد الكبير من وسائل الإعلام المنشورة التي اعتبرت نفسها في فترة الستينيات بمثابة طليعة سياسية اجتماعية

قابلتهم بوضوح وترحاب وفضول صحفي بطبيعة الحال وفهم واضح للمصالح التجارية. فمثلا كتبت "دير شبيجل" بتعاطف كامل عن "مصاعب المضي برأس مرفوعة فخرًا" التي ناقشها رودي دوتشكه وإرنست بلوخ في باد فول أمام جمهور أكاديمي إنجيلي مهذب كي يوثق محضر المؤتمر بعد أسبوعين في ما لا يقل عن 20 صفحة.[99] كما نشرت جريدة "شتيرن" بانتظام صورًا جميلة للشباب المتسكعين والهيبيز ونصوص بسيطة عن وجهات نظر الثورة.[100] كما أثنى يوآخيم فيست نسبيًا على الناشطة أوريكه ماينهوف[101] واحتفل جونتر جاوس في محطته ARD لأول مرة بإحدى حواراته الشهيرة مع ضيف تحت سن الثلاثين وهو حواره مع رودي دوتشكه في ديسمبر 1967.[102]

حتى جريدة "فرانكفورتر ألجيماينه" التي تعد العضو الأساسي في الاقتصاد الألماني كتبت عن الرئيس الجديد لاتحاد الطلاب الاشتراكيين فرانك فولف الذي شارك أخيه كارل ديتريش المنصب بقدر من الاحترام باعتباره عازف آلة تشيللو البالغ من العمر 22 عامًا الذي توقف عن دراسته الموسيقية بسبب عمله الطلابي. وفي استطلاع الرأي الذي أجرته صحيفة "فرانكفورته نويه بريسه" وهي صحيفة مخصصة "للبرجوازية المدنية الصغيرة" عشية عيد الميلاد اعترف ماكس هوركهايمر "بأكبر خطأ" لايستهان به من العام الماضي حيث سمح للقائمين بالنسخ غير القانوني والمتطرف على أنه أمر مطلق وقال "من منطلق الأنانية" فحسب ولأنه كان "مترددًا للغاية" لم يسمح بإعادة نشر منتظم لكتاباته المبكرة حتى الآن "إلا أن الأعمال صارت مناسبة في هذا العام عن العام التالي."[103] وظهرت الأعمال عام 1968.

ورأى هاينريـش لوبكـه في خطبتـه بمناسـبة العـام الجديـد أن "الأقليـات الصغـيرة خـارج الأحـزاب الديمقراطيـة" نقلـت "الصخـب والإرهـاب" إلى البـلاد. لم تناسـب كلـمات الرئيس الألمـاني طريقته القديمة في الخطابـة ذات الطـراز الأبـوي القديـم والمضحكـة بشـكل كبـير، كـما أنهـا لم تكـن مؤثرة بالقـدر الكبير الـذي تمنـى أن تؤخـذ عـلى محمـل الجـد.[104] وكان رأي الكثيريـن في السياسـة أن الخلاف مـع الطلاب هو شـأن الأسـاتذة الأكاديميـين أو فرصـة لقانون الشرطـة والنظام. وبعيدًا عن برامج الاسـتثمار والاستشـارات المتعلقـة بالسياسـة التعليميـة التـي أسـفرت عـن التحذيـر بوقـوع كـوارث وشـيكه الذي أطلقـه جيورج بيشـت لم تعـطَ احتجاجـات الطـلاب أي قـدر مـن الأهمية لفـترة طويلة ومـن كان يرى – مثل كيسـنجر

وبراندت أخيرا وليس آخرًا – أن الجامعات تحتاج إلى إصلاح داخلي بلا شك تفهم الشباب خاصة عندما تتضح له النظم الجامعية بشكل لا يقبل الحلول الوسطى.[105]

وبأسلوب أكثر تشويقًا جاء رد فعل وسائل الإعلام عن السياسة، فالاهتمام البالغ الذي أعطته وسائل الإعلام للحركة الاحتجاجية المسماة باسم اتحاد الطلاب الاشتراكيين لم يساهم بكل تأكيد في تقدير ذاتي واقعي لرؤية واضحة للإمكانات الخاصة الفعلية. عندما عقد المؤتمر الدولي عن فيتنام الذي أُعدَّ له لفترة طويلة في فبراير 1968 في برلين الغربية بعد بداية الهجوم على شمال فيتنام بفترة قصيرة ظهرت قيادة اتحاد الطلاب الاشتراكيين في قلب الحدث العالمي حيث خطب رودي دوتشكه في الثوار القادمين من كل أرجاء الجمهورية الاتحادية وغرب أوروبا قائلا: "أيها الزملاء! لم يعد لدينا متسع من الوقت فنحن نتعرض للدمار في فيتنام كل يوم" في النهاية جابت مسيرة بها 12 ألف متظاهرًا شوارع المدينة الداخلية وكان شعارهم الرسمي هو : "الكفاح من أجل ثورة فيتنام هو جزء من الكفاح لتحرير كل الناس من القمع والاستغلال"[106]

وما حدث في فرانكفورت بعد أسبوعين كان أقل عالمية ومادية لكنه لم يكن أقل إثارة؛ حيث دعت حملة من أجل الديمقراطية ونزع السلاح إلى مظاهرة كبيرة. أثناء ما ألقي القبض على دوتشكه في المطار احترازيًا أعلن عالم السياسة إكهارت كريبندورف الذي قضى بعض الفصول الدراسية في جامعات هارفارد ويال وفي جامعة كولومبيا لستة آلاف متظاهر أنه لم يكن معاديًا للنهج الأمريكي تمامًا مثل مارتن لوثر كينج وخصوم آخرين لحرب فيتنام في الولايات المتحدة الأمريكية.[107] لكن فرانكفورت عاصمة المدينة الرأسمالية في غرب ألمانيا يجب أن تعود إلى سابق عهدها خاصة بعد أن أُحرق مخزنان بداية شهر إبريل ومن بين مرتكبي الحريق كانا جودرون إنسلين وأندرياس بادر الذين أصبحا اثنين من قيادات ائتلاف الجيش الأحمر فيما بعد.

وقبل أن يتمكن غضب "النخبة الحاكمة" من خطوة الثورة في طريق العنف من التطور جاء خبر الهجوم القاتل على مارتن لوثر كينج في اليوم التالي. وبعدها بأسبوع يوم الخميس المبارك عام 1968 أطلق يوزيف باخمان وهو أحد أتباع الحزب الشيوعي الألماني الرصاص على رودي دوتشكه في ميدان كورفورستندام الذي نجى من الحادثة بإصابات

بالغة. وتسبب الاعتداء في اندلاع أقسى اضطرابات سياسية داخلية منذ قيام جمهورية ألمانيا الاتحادية. ومن منطلق الاقتناع بأن جريدة "بيلد" قد شاركت في إطلاق الرصاص شارك آلاف أثناء "ثورة عيد الفصح" (تيو زومر في جريدة "دي تسايت"[108]) في أعمال الغلق والعنف أمام مناطق نقل مطبوعات مؤسسة شبرينجر وتسليمها. وفي برلين طارت أولى عبوات المولوتوف التي وفرها، حسب ما نعرف اليوم، بيتر أورباخ، وهو عميل لحماية الدستور.[109] أثناء إلقاء المتظاهرين للعبوات لقي مصور صحفي وطالب مصرعيهما في ميونيخ. وبعد كل النقاشات السابقة التي حدث فيها التنظير لعبارات "العنف والعنف المضاد" و"العنف ضد الأشياء" و"العنف ضد الأشخاص" تنظيراً سفسطائيًا على نحو متزايد فقدت الثورة براءتها من الناحية العملية.

مشاعر حياة جديدة

عن المغزى المستمر للحركة

لو نظرنا إلى "الأحداث" فقط فستبدو لنا الشهور الفاصلة بين موت بينو أونيزورج والهجوم على رودي دوتشكه بمثابة سلسلة سريعة من المظاهرات السياسية والمؤتمرات والفاعليات الاحتجاجية والجمعيات العمومية وحلقات تنويرية واعتصامات وحلقات نقاشية وفي النهاية مسيرات. والإثارة العامة الهائلة التي أحدثتها تلك الأمور والصدى الكبير الذي وجده كل ذلك أثبت في الأساس أنه أمر جوهري لتشكيل خبرة ما يعرف باسم "جيل عام 68" الذي لم يكن مكانه مقصورًا على الجامعات ومسارات المظاهرات والتعبير عن مهمته في المنشورات والحوارات والمتحدثين والشعارات بل كان هناك أمور أخرى إلى جانب ما سبق ومن خلاله، تمثلت في أن المتمردين لم يستفيدوا من ذلك فحسب بل كل من "كان تحت سن الثلاثين" بشكل ما أو "على الأقل من شعر بالارتباط بالبيئة المتعلقة بثقافة الاحتجاج" أي الأشكال التي لم تستخدم حتى الآن، لكن اختُبِرت في المعارضة السياسية للتنوع الشخصي المتمثلة في إمكانات ظهرت فجأة للحرية الفردية والانفتاح أي بتعبير مقتضب وكما قيل فرص "تحقيق الذات" لأن "جيل 68" غيّر أيضًا – بل على وجه الخصوص – شعور جيل بالحياة.[110].

صحيح أنه لم تُنفذ عمليات تغيير مهمة في "إعادة بناء" ثقافي اجتماعي لمجتمع ألمانيا الغربية في منتصف الستينيات وما حدث بوصفه "ثورة أسلوب حياة"[111] لم يكن نتيجة محددة ووحيدة للحركة الطلابية على الرغم من حدوث تغيرات في المناطق الضعيفة للمجتمع لاحقًا وأبطأ بشكل واضح من "تحول جمهورية ألمانيا" إلى النمط الغربي السياسي والاقتصادي.[112]

ومن الممكن أن نقول إن جيل الاحتجاج مضى بشكل ما خلال البوابات التي فتحها لهم آخرون منذ وقت طويل. فمن المعروف أن موسيقى الروك آند رول Rock ’n’ Roll ليست اختراع الستينيات، كما أن إعلان أوبرهاوزن "للسينما الألمانية الجديدة" الذي أعلن وفاة الابتذال الوطني لفترة الخمسينيات يرجع إلى بداية عام 1962. وجماعة الفنانين الطليعة

المعروفة باسم SPUR التي لحق بها فيما بعد ديتر كونتسلمان تأسست عام 1958 في ميونيخ، وأعلنت صيف عام 1962م نمطًا غير معروف حتى اليوم من الاحتجاج يعرف باسم احتجاجات شفابيج غير السلمية التي أثرت بوضوح في أندرياس بادر البالغ من العمر آنذاك 19 عامًا الذي كان متوجها أكثر إلى المستقبل من العودة إلى "مشكلة أنصاف الأقوياء" لفترة الخمسينيات.[113] كان المتسكعون الذي حاكوا نموذج المشاغبين الهولنديين والمتسكعين في كاليفورنيا يتقابلون منذ عام 1966 في ميونيخ في شارع ليوبولدشتراسيه أو في ميدان مونوبيتروس في الحديقة الإنجليزية غير أن مكانهم المفضل كان عند كنيسة الذكرى في برلين (كان شعارهم "يسوع كان أول متسكع")[114] حتى في المذهب الكاثوليكي فُتحت النوافذ نحو الحداثة منذ مجمع الفاتيكان الثاني. وهنا مثال آخر متمثل في فن البوب الذي لم يكن غير معروف في ألمانيا بعد الآن، عندما كان يشير المقطع الأمامي بوب في وسائل الإعلام إلى التشوق للجديد وإلى المستفزين - كي يُتحكم فيه من قبل اقتصاد دعائي متنامي بشدة. ويعد إعلان تشارلز فيلب الخليع عن مشروب الليمون ("Supersexy-mini-flower-pop-op-cola – alles ist in Afri-Cola")

أشهر الأمثلة وربما أقواها تعبيرًا حتى اليوم حيث وُصف "جيل 68" بأنهم "أطفال ماركس والكوكا كولا" لكن استنادًا إلى النصب التذكاري الذي توقعه لهم المخرج الفرنسي جاك لوك جودار في الفيلم الذي يحمل الاسم نفسه إلى حد ما تم تجاهل أن زملاء الجيل من البالغين الشبان الذين اكتُشفوا للتو. قبل عشر سنوات كان يُتحدث عن "أنصاف أقوياء" فحسب واليوم يُتحدث عن "مراهقين""Teens" و "من هم في سن العشرين" "Twens" وحدد لهم خبراء التسويق مجموعة استهلاكية خاصة، وفي ذلك كان يكمن أحد أسباب قدرة الرأسمالية التقدمية في تجهيز العلامات المهمة بالثورة الثقافية الغربية بلا مشكلات وبعض علامات ثورة الشرق الأقصى.

كانت بدلة ماو من أبرز القطع التي شهدت رواجًا كبيرًا في المتاجر قبل أن تصل إلى متاجر "جيل 68". وحدث الشيء نفسه لموسيقى البوب؛ فقد أصبحت لغة مقبولة، وهذا لم يبدأ في فترة الستينيات حيث أتقنها الشباب في الدول الصناعية خلال عدة سنوات قليلة وأنفقوا عليها مبالغ كبيرة،[115] وكان البوب وما زال هو الذوق الجماهيري في مجتمع عبرت فيه أغنية "ماما" لهاين سيمونز كما عبرت موسيقى البوب نوعا ما عن وسيط

للتعبير عن عدم فهم حالة العالم ونقد بعض الظروف السياسية المادية والتعبير عن كل ذلك في شكل سمعي مؤثر.

وهذا التناقض لكل أنماط الاستهلاك في عالم بضائع رأسمالي سريع التكيف دومًا[116] لم يدركه طلاب الثانوية الأكبر سنًا والطلاب حول حركة "عام 68" فحسب بل شعر بتوابعه أيضًا جزء أقل تنويرًا من الشباب بأسلوبهم الخاص دون أن يقدروا على التعبير بأسلوب جميل مثل ما كشف شاب من جوتنجن في المؤتمر التأسيسي للطلاب الاشتراكيين(AUSS) أن "الإجبار على الاستهلاك" خدعة تسعى إلى سحب الحرية المكتسبة من الشباب: "والمثال التقليدي على ذلك هو قصة "موسيقى البيتBeat" التي كانت في بدايتها في ليفربول بمثابة احتجاج ثوري ضد المجتمع والابتعاد عنه في الوقت نفسه وتمكنت صناعتنا من إدماج موسيقى البيت وتحويلها إلى سلعة استهلاكية."[117] وبالنسبة لمحبي موسيقى البيت كيساري شاب لم يكن لديه سوى القليل لتلك الأسباب وكيساري جديد جاد لم يكن لديه أي شيء باق. أما محبي موسيقى الرولنج ستون التي عرفها كل ملتحق بالفصل الدراسي الأول عام 1968 فقد "كانوا مقدرين من قبل اتحاد الطلاب الاشتراكيين" لأنه لم يكن في الإمكان سيطرة النظام عليهم."[118]

وإذا لم يكن هناك متسع من الوقت بالنسبة للنشطاء في ذروة الثورة للموسيقى والفن والسينما فلا يمكن إغفال السياقات الثقافية الفرعية التي جاء بعضهم منها والتي أثنى عليها الكثيرون منهم (مثل إعجاب رودي دوتشكه وبيرند رابيل بالفتاتين الثوريتين الجميلتين في فيلم لوي مال "فيفا ماريا!"[119]) وكثير من الانبعاثات الثقافية الشعبية التي صارت معينًا لكثيرين وانصهرت مع أنماط أخرى وقد حملت ختم " حركة عام68" سواء في لحظة سخرية الذات في أن اثنين من أعضاء اتحاد الطلاب الاشتراكيين غيرا لافتة دعائية للسكة الحديد الألمانية بعبارة ماركس وأنجلز) "الكل يتحدث عن الطقس إلا نحن.") أو سواء في التنورة القصيرة التي صممت منذ وقت طويل بالفعل، لكن قامت ماري كوانت بارتدائها وصارت عارضة الأزياء تويجي رمزًا للتحرر الأنثوي، أو سواء محاكاة لغة الجسد الأكثر استرخاءًا جمعيًا للشباب مصمم أثاث إيطالي في تصميم مقعد البين باج Beanbag Chair والذي لا يفرض على الجالس هيئة محددة بل يتيح له "الراحة والاسترخاء" فحسب.[120] فالتقدم يعني شعارات، والحداثة كانت العملة التي بدأت أشياء

الحياة اليومية في التوجه إليها والتي حددت الشعور بالحياة لجيل الشباب بل أيضًا طبقات عريضة من المجتمع بشكل متزايد.

والفكرة الأساسية التي كان يقف وراءها "جيل 68" والاتجاه الذي يسعى إليه الجميع هو التحرر من كل أشكال السلطة والخضوع والتقاليد والعادات والفروض المزعجة والتصورات الأخلاقية التقليدية. ولم يكن من الصعب التعرف على بذرة تلك الأيديولوجية، ومن ثم يجب أن نقر أنه في المقام الأول كانت هناك أهداف مثالية تجمع الشباب الناقد متمثلة في مزيد من الديمقراطية والشفافية والمشاركة. والحقيقة أن عددًا غير قليل كان يحلم بالاشتراكية وبعضهم بعنف ثوري وديكتاتورية (مؤقتة) يشير بشكل أكبر إلى مطلب التمييز بين المجموعات التأسيسية لليسار الجديد والحركة الاحتجاجية المتنامية لسنوات 68/1967.

كما أن السرعات كانت متفاوتة، ومن ثم وصلت التعبئة إلى ما هو أبعد من حدود بيئة المعارضة خارج البرلمان حتى طلاب الجامعات الكاثوليكية والإنجيلية توجهوا توجهًا مختلفًا وتمنى المتعلمون الكنسيون الحصول على قساوسة أكثر تسامحًا ومارسوا الديمقراطية في طوائفهم، وبدأ الشباب في منافسة أسلافهم في الوظائف وكانت هناك إشارات أولية في الأراضي السهلية أن حركة "68" ستكون بلا تداعيات سندًا لقاعدة الأحزاب وليس فقط في الحزب الاجتماعي الألماني.

بالتأكيد كانت الحدود الفاصلة بين الطبقات الأيديولوجية لحاملي الثورة ومحيطهم الأكثر اتساعًا والذي لم يكن بعيدًا "عن التأثر السياسي" غير واضحة غير أن الجاذبية الأخلاقية الاجتماعية التي ارتبطت بالحركة من منظور جزء لا يستهان به من أبناء الحرب وما بعدها استفادت من مطالب التحول الليبرالي في هذا الزمان والمكان وأقل من المبالغة في المثالية.

ويضاف إلى ذلك أنه على الرغم من اكتساب حريات جديدة خلال الثورة فإنه لم يكن من النادر تزايد عدد القيود، وأكثر مجال ظهر فيه ذلك بوضوح هو الجنس وكانت المطالب التي عاشت في مشروع جماعة "كيميونة 1" ببرلين والتي رفعت في مناطق أخرى بالطبع شعار "الحب الحر" والعلاقات الجنسية المتحررة بمثابة القمة المتطرفة لأخلاق

جنسية متغيرة بسرعة في عالم صناعي بالكامل نهاية فترة الستينيات (لم يكن الأمر مختلفًا في الشرق عن الغرب) وكتب بيتر بروجه الصحفي في "دير شبيجل" تحقيقًا صحفيًا مفصلا بعد زيارته لأعضاء جماعة كيميونة صيف 1967 ووضع اهتمام القراء في الحسبان؛ حيث ركز التحقيق على "الإخفاقات الجنسية" للمشروع: "لم تنتهِ التجربة المحببة من تبادل جسدي غير محدود كما تم ممارسته من دوائر التبديل الجنسية للمدنية الأمريكية بطريقة غير سياسية بالفعل على خير في جماعة كيموينة 1."[121]

وصاحب ركب انتصارات "حبوب منع الحمل" امتداد واسع للنقاش العلني عن الجنس في النصف الثاني من فترة الستينيات. استهدف جزء من تلك النقاشات التوعية الصحية والجزء الآخر تسلية مبتذلة وبعضها إباحية. كما تناولوا موضوع الجنس اجتماعيًا بشكل مكثف لم يكن معروفًا من قبل. بل إنه احتل "المرتبة الأولى في الموضوعات" في بعض وسائل الإعلام وظهر ذلك في حلقات لا حصر لها في الصحافة المصورة والنجاحات السينمائية الهائلة لأوسفالت كوليه بل وأيضًا مبادرات وزيرة الصحة الألمانية كيته شتروبيل (الفيلم التنويري "هيلجا" "Helga", عام 1967، وفيلم "أطلس علم الجنس" "Sexualkundeatlas") عام 1969) والتحول إلى الإباحية لبعض الصحف اليسارية مثل "konkret" والصور البذيئة بدرجات متفاوتة لم تخلُ جريدة مدرسية منها.

تمت ممارسة هذا الضغط الجديد في الأداء على المراهقين عندما ربط متخصصون في التربية الجنسية الذي ظهروا على الساحة مثل هيلموت كينتلر الصراع ضد الشروط القمعية الجنسية بالمطالبة بعمل أماكن مدرسية مخصصة للطلاب الراغبين في ممارسة الجنس، لكن ظل هذا الأمر بعيدًا عن دائرة النقاش مثل السؤال عن مدى احتقار المرأة الموجودة في الشعار الذي يكثر اقتباسه وهو "من يقضي ليلته مع المرأة نفسها فهو ينتمي إلى النخبة" غير أن الإجابة المعتدة بذاتها جاءت من الحركة النسائية الصاعدة في الوقت نفسه تقريبًا كالتالي: "امرأة دون رجل مثل سمكة دون دراجة." وذلك في الوقت الذي انشغل فيه رجال اتحاد الطلاب الاشتراكيين بحل الاتحاد.

وما قيل عن الحركة الاحتجاجية في الولايات المتحدة فيما يتعلق بتعاطي المخدرات،[122] كان يسري أيضًا على ألمانيا لكن مع بعض الاختلافات. كان المشهد الموسيقي والهيبز هما

أكثر النقاط أهمية، وانتقلت موضة الهيبيز إلى أوروبا صيف 1967م في موجة إنتاج الأسطوانات الدولية ذات التأثير الفائق عن طريق فيض الصور العالمية المصاحبة لموسيقى الروك والبوب. ورأت جريدة "شبيجل" الحاجة إلى توضيح الأمر في ألمانيا حيث ذكرت: "أنهم مراهقون وشباب في العشرين بشعر طويل ومثل المتسكعين في أوربا يرفضون الماء والنظافة والمدنية ويحبون العيش في رحلة المخدرات في عوالم بعيدة وغير واقعية."[123] وفي خريف العام نفسه احتلت أغنية سكوت ماكينوي بعد أغنية فريق البيتلز (كل ما تحتاجه هو الحب") ("All You Need Is Love") المركز الأول في قوائم الأغاني بألمانيا طوال شهرين كاملين، وحتى الصيف التالي تعلمت الصحافة في ألمانيا الغربية التمييز بين الهيبيز والمتسكعين؛ حيث لم تهمل الفارق عن عمد. وفي مقابل الصورة التي رسمتها وسائل الإعلام وأظهرتها كثيراً لم تكن العلاقة بين الاحتجاج السياسي المناهض للسلطوية والانطلاقات الثقافية الفرعية في بعض المناطق أكثر قوة من تلك العلاقة بين الحركة الاحتجاجية والتغيرات الثقافية اليومية الحادثة في فترة الستينيات. غير أنه يمكن القول إن الحركة الاحتجاجية "جزء دافع ومفرط من حديث ديناميكي لمجتمع ألمانيا الغربية وثقافتها السياسية" بالنظر إلى مطالبها الشاملة بالتكوين التي أعلنت صراحة أن الخاص صار سياسيًا ويحتاج إلى تغير حاد للمجتمع.[124] وبهذا المفهوم زادت سرعتها وفرضت المعارضة خارج البرلمان انسحاب شرعية مفاهيم ما قبل الديمقراطية عن السلطة والتدرج الهرمي ولم يكن ذلك في المدارس والجامعات فحسب بل في الأحزاب والكنائس ومجالس القساوسة والمستشفيات ودور الأيتام وحتى في الجيش، وزاد الاحتجاج من سرعة إزالة التصورات العتيقة للأخلاق والتقاليد أو باقتضاب: قوى الاحتجاج من التحول القيمي الحادث في المجتمع كله. وباسم الثور ساهم الثوار في تقدم الإصلاحات.

يبدو هذا منطقيًا لمن درس قليلا أسلوب الحياة والشعور بها لدى هؤلاء الذي أجبروا قادة اليسار الجديد على رؤيتهم بوصفهم موضوعًا ثوريًا جديدًا. كان الطلاب في جمهورية ألمانيا الاتحادية في منتصف الستينيات مجتهدين ومتواضعين وبإرادة طيبة من كل منظور وقبل كل شيء معتدلين وعملوا باعتدال من أجل دراستهم (يعملون يوميًا لمدة سبع ساعات وفي نهاية الأسبوع لا تتعدى ساعات العمل عن ست ساعات طبقًا لمعلومات المتخصصين في استطلاعات الرأي) ولم يشعروا أن المطالب مرتفعة للغاية كما لم يشعروا أنهم جزء

من "نخبة موهوبة حقيقية" واهتموا بإرضاء الذات ولم يبرروا معاملتهم بوصفهم أكاديميين "بمزيد من الاحترام" والتمتع بسمعة أفضل من آخرين".[125] وبالنسبة لنصف عدد الطلاب كانت سنوات الدراسة "وقتًا سعيدًا للغاية" وقد يكون سبب ذلك هو اعتقاد كثيرين بعدم ضرورة "إقامة علاقة ارتباط قوية" أثناء الدراسة واتضح بالفعل أن الأقل (41%) لم يكن لديهم علاقات عاطفية وثيقة وبالنسبة لكثيرين نجم عن ذلك مدى كبير من التسامح من منطلق برجماتي لكنه نظري؛ حيث اعتقد 16% أنه من الضروري أن تتزوج الفتاة وهي لم يلمسها أحد من قبل".

وإذا ما نظرنا إلى التدرج الهرمي للشخصيات المحبوبة من قبل الطالبات والطلاب في الحياة العامة فسيلفت الانتباه أن شخصيات الائتلاف الكبير المتأخر في يوليو 1966م حظيت بدرجات جيدة إلى حد ما ("أقدر للغاية"/ أقدر"). باستثناء فرانتس يوزيف شتراوس وصل وزراء المستقبل لمعدلات تصويت تصل إلى أكثر من 50% (في حين تأرجح العجوز آديناور بنسبة 88% وفريتس إرلير الذي يعاني من مرض شديد بنسبة 81%) غير أن الأمر الأكثر تشويقًا هو فشله في الحصول على تعاطف الطلاب بطريقة خاصة، وفي نهاية الجدول جاء هانز جلوبكه وتيودر أوبرلانر الذين حظيا بنسبة 2 أو 1% من التقدير. وفي منزلة القدوة وضع الطلاب (بعد كارل فريدريش فون فايتسزيكر وكونراد أديناور بيرتهولد بايتس وورودلف ماسباور ورودولف أوجشتاين وشارل ديجول) الفنان الترفيهي فولفجانج نويس بين برينس فيليب وهيرمان يوزريف آبس وكانت الرسالة واضحة وهي أن من تعرض للانتقاد بسبب تاريخه الأسود في السنوات الأخيرة فلا يمكن أن يضع في حسبانه أن يحظى بالتعاطف على العكس ممن صاغ هذا النقد على خشبة المسرح.

وبدت هذه النسب متسقة مع استطلاع رأي آخر جاء فيه أن 58% من الطلاب كانوا يقرأون "دير شبيجل" بانتظام بدرجات متفاوتة و42% منهم كانوا يقرأون جريدة "دي تسايت" واعتبروا التعويضات الموجهة إلى إسرائيل صحيحة. أما أكثر من نصف العينة فاعتقدت أن من يقول "شيئًا جيدًا" عن هتلر و"الرايخ الثالث" من الممكن أن يكون "مقبولا"، وأيد ذلك 44% من العينة خاصة فيما يتعلق بالقضاء على البطالة في حين أن 38% لم يقدروا على رؤية شيء جيد في عصر النازية.

طبقًا لمتوسط السكان[126] أشار كل ذلك إلى أن نقد "الماضي الذي لا يمكن التغلب عليه" بدأ يؤتي ثماره في الجيل الجديد. غير أنه قد اتضح أيضًا أن التقدم كان مثل الحلزون وفي نقطة ما تمكنت أنشطة الثورة من خلق أمل تحريضي ضئيل (كان يجب أن يظهر في نتائج استطلاع الرأي ومن الممكن قراءته بلا استثناء في الكتاب السنوي للرأي العام الذي أصدره معهد ألينسباخ عام 1967م) ومن المدهش أن عددًا قليلا من الطلاب كان يثق في ديمقراطية بون؛ حيث رأى طالب من كل اثنين صيف 1966 أن "النظام البرلماني لدينا يعمل بشكل جيد بوجه عام" في حين رأى 41% "أنه لا يعمل بشكل جيد" ولم يصدر 11% حكمًا وبعد مرور عام زاد الشك ورأى 43% من الطلاب أن النظام يعمل بشكل جيد في حين رأي 48% العكس صحيحًا.[127]

وبمفهوم ترحاب محتمل لمواقف المعارضة خارج البرلمان كان من المهم أكثر هو كيف تفاعل الطلاب مع مقولة: "يجب أن يثق المواطنون أكثر في حكومتهم في أنها تنفذ القوانين وتحافظ على مصالح الجميع." جملة مثل تلك كانت تنم عن عقلية الأتباع؛ حيث رفضها 79% من الطلاب.[128] وكان هذا بلا شك تعبيرًا عن الغياب الحالي لسمعة المستشار إيرهارد وعلامة على شك مشترك بسبب الحكومة غير أنه أظهر بوضوح مطالب الطلاب التحررية بأسلوب العصر والتي تمثلت في المطالبة "بمزيد من الديمقراطية" وخاصة "من أسفل" ومشاركة وشفافية. وتطلب الأمر وقتًا قبل أن تصل إشارات من هذا النوع إلى "سفينة الفضاء بون" التي كان يسخر منها المتهكمون وتحدثت عنها الصحافة بشكل نقدي. في الأساس هزت القلاقل في عيد الفصح عام 1968م الطبقة السياسية في جمهورية ألمانيا وفي الوقت نفسه أظهرت ردود الفعل على "الثورة" (جريدة دير شبيجل)[129] لتلك الأيام الفروق العقلية والثقافية المتزايدة مثل السابق بين المعسكرات السياسية التي انضمت قصرًا إلى الائتلاف الكبير مؤقتًا. لكن ليس دومًا تتماهى الحدود بين خطوط الأحزاب.

النتائج وألحان الوداع

النهاية السريعة للثورة

في ليلة الاعتداء تلقت جريتشن دوتشكه في مستشفى برلين فيست إند برقية ورد بها: "أشعر بالغضب البالغ بسبب الاعتداء على زوجك. فربما نحن الألمان مختلفون في الآراء السياسية غير أنه لا يجوز في بلدنا أن نتعامل مع اختلافات الآراء من خلال العنف الوحشي. وأتمنى من قلبي أن يتماثل زوجك للشفاء التام."[130] كان كورت جيورج كيسنجر في نزهة في الغابة قبل احتفالات عيد الفصح في ولاية شفابن عندما وصل إليه خبر الاعتداء على رودي دوتشكه. غير أن تعاطفه الذي عبر عنه بتلقائية في برقية أملاها وهو في السيارة تسببت في انتقادات لمستشار الائتلاف الكبير من جميع الجهات في الأيام اللاحقة. وبسبب أن متحدثه قرأ بالخطأ يوم الخميس المقدس أمام كاميرا التلفزيون وعرفت "دير شبيجل" فيما بعد أن المرأة الموجه إليها الخطاب قد سلمته إلى أحد الرفقاء دون أن تفتحه، وقد قام بدوره بتمزيقه على الفور، أظهر من وجهة نظر فرانتس يوزيف شتراوس وممثلين آخرين للخط المتشدد مدى عدم الحنكة التي تصرف بها "ملك اللسان الفضي".

لكن جاء الانتقاد أيضًا من الجانب الديمقراطي الاجتماعي، حيث وجه القس ألبيرتس المتحدث المفوه للطلاب كلمات قاسية للمستشار الألماني اتهمه فيها بالنفاق ("بالنسبة لبعض الناس فإن دوتشكه المصاب هو دوتشكه جيد") وظهر جوستاف هاينيمان على حساب كيسنجر بجملته المتداولة كثيرًا: "من يشير بالسبابة باتهامات عامة إلى مؤسس أو مؤسسين محتملين فعليه التفكير أن في اليد الممدود بها السبابة ثلاثة أصابع أخرى تشير إليه." على الجميع أن يسألوا أنفسهم وكذك وزير العدل الألماني من وجهة نظر بروتستانتية ما الذي قدموه وأدى إلى "تفاقم التوجه المناهض للشيوعية؛ ليصبح محاولة اغتيال وتحويل التظاهر إلى أعمال عنف تدميرية وصلت إلى حد إضرام الحرائق."[131]

لم يكـن هنـاك أي مناسـبة في تلـك اللحظـة لهـذه التحذيـرات. ذات مـرة وبغـض النظـر عـن الهيـكل الحـزبي لحـزب الاتحـاد المسـيحي الاجتماعـي الـذي طالـب بالانتقـام ("القضـاء

على الديمقراطية"[132]) لم يذكر في وسائل الإعلام انتقادات وكذلك بين الأوساط الشعبية ظلت المطالبات السلطوية محدودة. وطبقًا لاستطلاع رأي سريع قامت به "دير شبيجل" بعد عطلة عيد الفصح فإن 80% من سكان برلين الغربية قد تناقص "تعاطفهم مع الاحتجاجات الطلابية" في الأسبوع الأخير. غير أن 50% بالضبط ممن هم في الفئة العمرية بين 16 و30 عامًا رأوا هذا الاحتجاجات سلمية، و 86% من هذه الفئة العمرية رأت أن "استخدام العنف عن طريق الطلاب المحتجين" أمر خاطيء.[133]

ربما حاول رودولف أوجشتاين أن يواكب الاتجاه السائد عندما صرح لـ "دير شبيجل" التي ظلت متأرجحة بين الطرفين إلى حد ما بمسار واضح بقوله: "جاءت تصرفات الشرطة عنيفة ومخزية" وهذا ما لاحظه بنفسه في هامبورج. لكن دون كلمة الاختلاف: "القتيلان في عطلة عيد الفصح يحسبان على الحركة الطلابية، وهذا أمر لا محل للشك." وهذه نهاية "فهم عمليات التعلم للحركة الطلابية وتكتيك حرب العصابات" الذي تنتهجه." وحسب قوله يجب التوقف عن "المسار الطويل المتوجه إلى حرب أهلية، والثورة المتوجهة إلى الدمار؛ لأن "المعارضة العنيفة خادعة". وبين المطالبة وتفسيرها كانت هناك صيغة شائقة كما بدت حيث تحدث أوجشتاين قليلا في هيئة تحريره بقوله: "لا يجب أن ينظر الطلاب الكبار إلى الأمر على أنه عار أن يُخدعوا بتقدير خاطيء من البداية." وكما أن الأمور المطلقة فريدة للغاية استمتع أوجشتاين بمذاق الخطأ الذي اكتشفه مرة أخرى بقوله: "ما بدأه أصحاب الأفكار الثورية من الطلاب كان له معنى فحسب عندما أرادوا أن يعترفوا لأنفسهم أن "فاشية" جديدة ليست بالضرورة قادمة لكنها الأقرب إذا ضخم "عدم النظام" المتنامي من المطالبة بالرجل القوي. ولا يمكن بدء مملكة الحرية إلا بالقضاء على الفاشية المترسخة. إنها عملية مليئة بالمغامرات."[134]

كان هذا في الأساس بداية لفقدان الثورة لجاذبيتها وسحرها. كانت المقالة الافتتاحية لأوجشتاين التي حظيت بملايين القراءة[135] والتي انتقد فيها بشدة "الجمود المؤسسي" للائتلاف الكبير بمثابة نهاية ملاطفة الثورة التي انتهجها الكثيرون في المعسكر اليساري الليبرالي وفي وسائل الإعلام منذ شهور. لكن قبل ذلك كان يبدو الأمر كما لو أن الرغبة في الاحتجاج تكتسب أصدقاء جددًا دومًا، وكان من الممكن استشعاره في الكون كله؛ لأنه لم تكن مدينة براغ الربيعية وحدها هي من تحتفل "بالشيوعية الجديدة" عندما استيقظ

الطلاب الفرنسيين وهم آخر الطلاب في غرب أوروبا وأوشكت القراءة الثالثة لقوانين الطوارىء في بون.

وفي صباح يوم الحادي عشر من مايو الموافق يوم سبت وقفت باريس مشدوهة أمام آثار أسوأ ليلة من الحظر حتى تلك الفترة. وفي الوقت نفسه خرج قرابة سبعين ألف متظاهر في مسيرة من يمين نهر الراين إلى بون وكان قد دعا إليها مجلس أمناء "طوارىء الديمقراطية" بلافتات عليها ألوان الأسود والأحمر والذهبي ("أخرجوا بون من حالة الطوارىء!") لكن كان يجب إغفال أن المطالبة بالإضراب العام التي طالب بها اتحاد الطلاب الاشتراكيين في شارع بيتهوفين آليه المزدحم لم تسفر عن شيء قبل المظاهرة الكبرى في عاصمة جمهورية ألمانيا الاتحادية؛ حيث دعا اتحاد النقابات الألمانية في اليوم نفسه إلى فاعلية منفصلة في دورتموند. على الرغم من ذلك ظلت المعارضة خارج البرلمان والمتعاطفون معها تدق الطبول بعصبية مدفوعة بلا شك من الأخبار القادمة من فرنسا.

في ميونيخ على سبيل المثال المدينة التي كان ينظر إليها قليلا باعتبارها من قلاع الثورة، دخل طلاب أكاديمة الفنون التشكيلية في إضراب مدعومين من رئيس الأكاديمية وانضموا بطريقتهم إلى الاحتجاج على قوانين الطوارىء. وبدلا من ملء حافظات العمل رسموا شفافيات كبيرة ورائعة. ثلاثة منها على الرغم من كونها من الطراز التقليدي وجدت مكانها بالقرب من الأكاديمية فوق بوابة النصر في شارع لودفيج شتراسيه. أثناء ما عبرت اللوحة الوسطى عن موضوع "إضراب ضد الطوارىء" كان من الممكن رؤية صليب معقوف وكلمات "مرة أخرى" على اليمين وعلى اليسار شعار "لا نريد عام 1933 من جديد".[136] كانت هذه اللوحات ليست مجرد لعبة ساخرة بل حولت محور الرؤية الذي يربط بوابة النصر بشارع فيلدهيرر أليه الواقع جنوبًا على بعد مائة متر فقط إلى محور له مغزى تاريخي معاصر متمثل في حاضر جمهورية ألمانيا الاتحادية إلى العودة إلى بدايات حركة هتلر.

ومرة أخرى عاد في تلك الأيام ماضي النازية الملموس في جميع أنحاء البلاد وأقل منه الاتهام بالفاشية المجردة لتصبح أداة التحريض. وحدث الأمر نفسه في فرانكفورت الواقعة على نهر الماين؛ حيث دعا هانز يورجن كرال مجددًا لفكرة الإضراب العام لكن هذه المرة

دون أن يكون دوتشكه إلى جانب اتحاد الطلاب الاشتراكيين قبل التصويت الحاسم في البرلمان الألماني (البوندستاج).[137] كان السيناريو الذي رسمه لهذا الهدف أمام 15 ألف مستمع لمظاهرة كئيبة للغاية ("هذه الدولة مستعدة أن تحول نفسها إلى قائد فاشي") غير أنه من منطق الاختصار المتداول على ألسنة الكثيرين "قوانين النازية"NSGesetze فإن الحرفين NS يشيران إلى الطواريء والنازية ومن الحرص الفكري لتلميذ أدورنو كان لا يمكن الشعور بأي شيء في محاولة كرال المتمثلة في الفوز على النقابيين فوزًا مجازيًا: "الديمقراطية في ألمانيا في نهايتها. [...] علينا أن نخلق من خلال أعمالنا المشتركة قاعدة كفاح عريضة للمعارضة ضد التطور الذي من الممكن أن ينتهي إلى الحرب أو معسكرات الاعتقال. وكفاحنا ضد الدولة المتسلطة اليوم سيمنع فاشية الغد."[138]

ولم يبدُ أن أحدًا يتساءل عن نهاية الديمقراطية والمعارضة والفاشية ومعسكرات التعذيب والحرب في ميدان روميربيرج مثلما كانت هذه الخيالات عن الثورة المضادة مناسبة لحقيقة أن في تلك الأسابيع فحسب تمكن طلاب فرانكفورت متسلحين بالسلالم والمواد اللاصقة وأوراق اللافتات في وضح النهار تحويل اسم جامعة يوهان فولفجانج جوته إلى اسم جامعة كارل ماركس دون أن يتدخل حارس البوابة ناهيك عن الشرطة في الأمر. وتشوهت الرؤية للمجتمع الذي عاشوا به ورؤيتهم للواقع البوليسي لجمهورية ألمانيا الاتحادية في ربيع عام 1968 بالنسبة للبعض بالفعل.

إن المعايير لم تنهر بالنسبة للشباب المتمرد فحسب حيث ظهر مدى تأجيج وسائل الإعلام للموقف خاصة كل نظرة تقريبًا في جريدة "دير شبيجل". حيث حدث هناك لعب لعبة الكلمة المرغوب فيها نهاية يونيو مرة أخرى على الرغم من كل خيبات أمل النشر: بعد عنوان مايو عن "الثورة الفرنسية" ازدان الغلاف بصورة حدث اتحاد الطلاب الاشتراكيين في الاستوديو الذي يظهر به عدد من المتطوعين براية حركة تحرير جنوب فيتنام وصور بالحجم الكبير لمثلهم العليا المقدسة. علامة استفهام صغيرة في العنوان تركت انطباعًا بأن الوضع أوشك على النهاية بغض النظر عن التصوير الملحمي. حيث وردت عبارة: "اتحاد الطلاب الاشتراكيين – ثورة في ألمانيا؟"[139]

في الحقيقة سقطت قطعتي النرد ففي بون كما في باريس في فترة ما بعد الظهيرة

للثلاثين من مايو أقر البرلمان الألماني قانون الطوارئ بأغلبية ساحقة وإعلان شارل ديجول رئيسًا لفرنسا في الإذاعة. بذلك انتهى شهر مايو في باريس من ناحية التقويم وفي الخلفية اتضح أن المعارضة خارج البرلمان تخطت ذروتها مع الهزيمة أمام بون. فحتى أشد "خصوم حالة الطوارئ" صمتوا بشكل يدعو للدهشة. وفي أثناء ما فرق الائتلاف الكبير المحتجين ازدادت في الوقت نفسه علامات أن تركيبة الأفيال في بون سوف تنتهي بعد الانتخابات البرلمانية التالية.

ومع نهاية الفصل الدراسي تراجعت الأعمال الطلابية في كل مكان تقريبًا بالجمهورية الاتحادية على الرغم من أن الصيف كان ساخنا وحزينا على المستوى الدولي حيث شهد يوم الخامس من يونيو في لوس أنجلوس الهجوم على روبرت كيندي الذي كان يمثل الأمل للديمقراطيين وازدادت أعمال العنف في أماكن الجيتو في المدن الكبرى في أمريكا الشمالية والثورة في مكسيكو سيتي مقر الألعاب الأوليميبة حيث استلم اثنان من الأمريكان السود ميدالياتهم بقبضة ممتدة في أكتوبر، وبآمال التخريب التي قام بها الطلاب في زيورخ والاحتجاجات الطلابية الدموية في مونت فيديو التي اشتعلت بسبب رفع أسعار التذاكر المحلية الأمر الذي أضحى توجهًا جماهيريًا في جمهورية ألمانيا الاتحادية بعد ذلك وفي 21 أغسطس ساد التوتر في العالم بسبب غزو قوات حلف وارسو لجمهورية تشيكوسلوفاكيا الأمر الذي تسبب في احتجاج تلقائي في كل المدن الألمانية الكبرى تقريبًا وخاصة من جانب اليساريين اللاسلطويين الذي أثبتت لهم النهاية الدموية لتجربة براغ ما كان يُعرف آنفًا من أن أعداء الاشتراكية الحقيقية وهما الإمبريالية والستالينية يقفان خلف جانبي الستار الحديدي.

ولا يجب أن نبخس من تقدير الإحالة الذاتية "لحركة 68" بعيدًا عن كل تأكيد له طابع دولي. وعلى الرغم من ذلك تعد الآمال المحطمة في شيوعية محطمة في براغ جزءًا من الأسباب على أن ما بدأ يحدث صيف 1968م الذي لم يضعه أحد في الحسبان قبل بضعة أسابيع في جمهورية ألمانيا الاتحادية وهي نهاية الحركة.

وبعد عام تقريبًا من تعبئة مستمرة خرت قوى النشطاء؛ حيث ذكرت جريدة "دي تسايت": "تعب المتمردون."[140] وصاحب روتين إضراب محدد وبعض المظاهرات نظرة

من بُعد كما لو أنها أمور اعتادوا على مشاهدتها وقد شوهدت من قبل. وبالنسبة للمتمردين الأقل توجها أيديولوجيًا ساد الملل خاصة في إجازات الفصل الدراسي ولم يعد من الممكن التفكير في فاعليات كبيرة. في الوقت نفسه ظهرت تحديات جديدة وعوامل جذب خارج الجامعات؛ حيث وجدت جماعات كيميونة 1 و2 اللتان لم يكن لهما دور كبير محاكاة لهما وامتصوا طاقات في الإقليم حيث بحثت المجموعات الشابة في كثير من المسارح الارتباط بروح العصر ووجدوا أنفسهم في التعاون مع بعض الطلاب.[141] كما حاول بعضهم، الذي كانوا يكتبون منشورات ودعوات إضراب، أن يصبحوا ناشرين صغارً حيث افتتح محبو الكتب والموهوبون في الأعمال التجارية محلات للكتب الثورية. واتضح بعض الشيء لجزء كبير من أتباع الثورة إلى أين تتوجه الرحلة في السنوات التالية فقد بدا أن المسار متوجه إلى أرض متعددة الثقافات الفرعية البديلة لكنها ثقافات ذات طابع أكاديمي وفني.

وبهذا المعنى أضحت الأيام المفرحة لمعرض فرانكفورت الدولي للكتاب 1968 بمثابة حفلة وداع حتى ولو لم يبدُ ذلك لأحد، فعلى الرغم من تأييد من شعر بنفسه تقدميا (تقريبا في كل شيء) "موت الأدب" بشدة وبحماس بالغ[142] فإنه قد تجمعت أشكال من إساءة الفهم التي بدأت يتضح خلفها ملامح الأعمال المهنية المستقبلية فمن ناحية لم يُستأنف "الكفاح الثوري" في مجال الثقافة فحسب بل نشأت معرفة من خبرات الشهور الفائتة حضور "ثورة ظاهرية" من ناحية أخرى، في الوقت الذي سقط فيه كثير من أتباع الحركات الثقافية إلى الهاوية الإرهابية انضم أصحاب المعرفة إلى الكيانات الفكرية بوصفهم أباء أو علماء.

كان يورجن هابرماس أسرع من كثيرين كالعادة في صياغة ضرورة إعادة التوجيه في مؤتمر الطلاب والتلاميذ لاتحاد الطلاب الألمان في مطعم جامعة فرانكفورت حيث قال هابرماس بمناسبة شغل منصب رئاسة جامعته التي تذكرت أحداث جامعة السربون: "عاش الوعي الخاطيء للثورة من ضعف المفكرين الذين يميلون في الأوقات الأكثر هدوءًا إلى استخدام التشويه المهني في تقدير الأمور déformations professionelles لكنهم في الأوقات المفعمة بالحيوية يمثلون فضيحة حقيقية عندما يخرجون من ظلمات سيكولوجيا فردية ويتحولون إلى العنف السايسي" ونتج عن ذلك نمط معروف باسم "المحرض" الذي فقد الصلة بالواقع لكنه ما زال يعرف "واقع رد فعل الجماهير"

"ويعيش من حالات رضاء نرجسية قصيرة المدى"، هذا النمط "لمراقب" محصن ضد الخبرة الذي يختم "كل ضبابية للوعي بأرثوذكسية ذات كلمات قاسية" يتحول في النهاية إلى نمط المخادع الصغير في بلاط الثوار المزيفين، هذا النمط الذي جعل من نفسه شاعر الثورة بسرعة لأنه كان عليه أن يقتبس عبارات استعارية لا تتمتع بمصداقية منذ وقت طويل من الاستخدام اللغوي لفترة العشرينيات لقصائد بلا أي فائدة لعصره."[143] شعر كل من أوسكار نيجت المساعد الخاص لكرال وإنسينسبيرجر أنهم المقصودون بهذه الصفات.

كان هناك قرابة 300 ألف طالب في جمهورية ألمانيا الاتحادية عام 1968 كان نصفهم تقريبا في الشوارع طوال فترة الصيف أو شاركوا في الاحتجاجات من وقت لآخر.[144] ومع بداية الفصل الشتوي 68/1967 كان لا يمكن إغفال أن خريف الثورة قد بدأ. وظهر ذلك في الخلافات المتنامية داخل اتحاد الطلاب الاشتراكيين الذي حُل تنظيميًا في ربيع 1970 غير أن التفكك الفكري كان قد بدأ قبل ذلك بفترة طويلة وتمثل ذلك في الانقسام الذي امتد على مستوى العالم أكثر من مجرد الصراع الأساسي المعروف بين التقليديين واللاسلطويين، وتعلق الأمر في النهاية بالبحث عن شركاء تحالف سياسي حول مسألة العنف. واستمر التصعيد بلا أي مردود تقريبًا حيث لا تلقى الاتهامات في الأساس بسبب ديناميكة داخلية للحركة. وشارك بها في النهاية أقل نسبة من عشرات الآلاف الذين حملوا الاحتجاج حتى الآن وبهذا المفهوم انزلق "معركة طريق تيجيل" المستعدين للعنف يوم الرابع من نوفمبر 1968 إلى نصر تقليدي باهظ الثمن.

بعد مرور بضعة أيام قليلة على الحكم في قضية حريق المتجر بفرانكفورت التي قال بها فريتس تويفل مدعوما بتصفيق من أولريكه ماينهوف Ulrike Meinhof بطريقة جديرة بالاهتمام أنه من الأفضل "إضرام النيران في متجر للسلع عن تشغيله"[145] كان الأمر يتعلق بحظر ممارسة المهنة لهورست مالر أمام المحكمة الشرفية لغرفة النيابة العامة ببرلين الذي دافع عنه تويفل وكثير من النشطاء الآخرين في المعارضة خارج البرلمان (بنجاح إلى حد ما) وخلفية تلك الدعوى التي رفعها أكسيل شبرينجر Axel Springer مطالبًا فيها بتعويض عن الأضرار بقيمة نصف مليون مارك ألماني ضد هورست مالر بعد أحداث الشغب في عيد الفصح. في الوقت الذي انتصر فيه المدعى عليه على محاكمة

المحكمـة الشرفيـة بدعـم مـن المحامـي البـارز يوزيـف أوجشـتاين Josef Augstein كافـح مـن أمـام مبنـى المحكمـة قرابـة ألـف مدافـع مـن دائـرة اتحـاد الطـلاب الاشـتراكيين بقيـادة كريسـتيان سـيملر وبدعـم مـن جماعـة مـن قائـدي الدراجـات البخاريـة ضـد 400 شرطـي مسـلحين بأسـلحة خفيفـة حيـث وصـل عـدد قطـع الحجـارة المسـتخدمة إلى 2371 قطعـة مـن طـوب الرصيـف حسـب مـا قالـه صحفـي جريـدة "دي تسـايت" عقـب أحـداث أكـثر حـروب الشـوارع دمويـة في برلـين الغربيـة بعـد الحـرب العالميـة لكـن لحسـن الحـظ لم يمـت أي مـن رجـال الشرطـة المصابـين وعددهـم 130 مصابًـا.[146]

قد تكون المواجهة الشرسة تفريغًا لشحنة الكراهية من رجال الشرطة في برلين بعد مقتل بينو أونيزورج[147]، عبّر أستاذ اللاهوت هيلموت جولفيتسر الذي كان صديقًا مخلصًا لدوتشكه والمعارضة خارج البرلمان تعبيرًا سياسيًا مهمًا وليس دينيًا عندما صرح لاتحاد الطلاب الاشتراكيين بعد أيام من الأحداث في القاعة الرئيسة بجامعة برلين الحرة قائلا: "من يرد تدمير الحركة الطلابية [...] فعليه مواصلة استكمال هذه الأفعال."[148] لكن تحذير الرفقاء جاء بعد فوات الأوان مثل "الصفعة" التي وجهتها بيآتيه كلارسفيلد Beate Klarsfeld للمستشار الألماني كورت جيورج كيسنجر بعد مرور يومين في برلين في مؤتمر الحزب الديمقراطي المسيحي.[149]

على الرغم من الإعجاب الشديد بهجومها الذي سبق وأن أعلنته مقدمًا قبل نصف عام على المستشار الألماني للائتلاف الكبير من جميع الجهات ومن جمهورية ألمانيا الديمقراطية أخيرًا وليس آخرًا فإن الصفعة الموجهة ضد كيزنجر ارتبطت بغضب ذي طابع أخلاقي من تابع الحزب السابق والموظف بوزارة الدعاية بالرايخ الثالث وهو الأمر الذي لم يكن من الممكن الإفصاح عنه. وكانت الآثار الدعائية قوية للغاية، وانتقلت إلى برلين الشرقية لكن الحجج التي حاولت أن تقنع بها من آمنت حقًا بأن كيزنجر "أخطر وأكثر أتباع النازية تجسيدًا لها وأنه من الذين سيفسدون الشعب الألماني مجددًا" كانت ضعيفة للغاية كما ضعف اهتمام الجيل أيضًا الذي انتمت إليه الألمانية بيآتيه كلارسفيلد المتزوجة من يهودي فرنسي لأنها أرادت أن تكون مؤثرة هناك على وجه الخصوص في الألمان الشباب المتمردين لكن بيآتيه كلارسفيلد البالغة من العمر 29 عامًا ابتعدت عن المشهد منذ ربيع عام 1968. وهذا الأمر جعل نقدها غير مرتبط بحياة الأفراد "السود" بل مرتبطًا ببنية

"نظام" باق لا محالة. لم تعد الدوافع الأخلاقية والغضب من العوار الملموس والتسويف في مناقشة أحداث الماضي التي كانت من الأمور المهمة منذ بداية الثورة وفي مرحلتها الأولى تلعب أي دور كبير. وبهذا المفهوم صارت "حركة عام 68" جزءًا من الماضي.

لم يكن لفوز جوستاف هاينيمان Gustav Heinemann بمنصب رئيس ألمانيا الاتحادية في الخامس من مارس 1969م بفارق ضئيل والإمكانية القاصرة في تشكيل ائتلاف ليبرالي اجتماعي بعد الانتخابات البرلمانية في أكتوبر تداعيات مباشرة على الحركة الطلابية أو أسباب لنهايتها. على الرغم من ذلك فإن هناك علاقات بتلك الأمور. لم يكن تغيير السلطة في بون هو النتيجة الوحيدة للأعداد الانتخابية بل تعبير عن تحول ثقافي سياسي مهم يعد احتجاج الجيل الصغير جزءًا منه بكل تأكيد.

في ربيع 1969 ظهر تعبير"أدورنو كمؤسسة صار ميتًا"[150] وذلك قبل بضعة شهور قليلة من الوفاة المبكرة للفيلسوف أدورنو في جبال سويسرا. وفي الحقيقة ماتت الثورة وبالطبع دون أن تصبح مؤسسة شبرينجر بلا موارد ودون أن تتحول ألمانيا إلى ديمقراطية مجالس. على الرغم من ذلك صارت جمهورية ألمانيا الاتحادية على شفا التحول إلى جمهورية أخرى وليس المقصود بذلك في المقام الأول الإرهاب الذي اتضحت ملامحه والذي تكمن بداياته في الحركة الاحتجاجية، بل المقصود بذلك "تغيير مجتمعي" يشمل جميع مجالات الحياة تقريبًا. وكان على المعسكر المتحفظ التحذير منه بلا توقف لمدة 15 عامًا. ومثل معظم النقاد أغفل كثير من الداعمين هذا التقدم المتواصل في أن ما حدث ليس مسارًا ألمانيًا منفصلا بل مسارًا كبيرًا للتغيير الذي تحركت فيه المجتمعات الصناعية في الغرب والشرق بدرجات متفاوتة.

1 - انظر كتاب:

Hannah Arendt/Karl Jaspers: Briefwechsel 1926–1969 hrsg. von Lotte Köhler und Hans Sa-.ner. München/Zürich 1985, S. 596

2 - انظر إلى المقارنة التي عقدها كريستيان يانسن عن الإرهاب في إيطاليا وجمهورية ألمانيا الاتحادية في كتاب:

Christian Jansen: Brigate Rosse und Rote Armee Fraktion. ProgagonistInnen, Propaganda und Praxis des Terrorismus der fruhen siebziger Jahre, in: Oliver von Mengersen u. a. .(Hrsg.): Personen, Soziale Bewegungen, Parteien. Heidelberg 2004, S. 483–500

3 - انظر مقال:

Ulrich Herbert: Legt die Plakate nieder, ihr Streiter fur die Gerechtigkeit. Hier gibt es, was ihr fordert: Schon vor der Revolte von 1968 traumte die westdeutsche Gesellschaft von der .Emanzipation

الصادر في جريدة "فرانكفورتر ألجيماينه تسايتونج" بتاريخ 21.1.2001، ص 48.

ومقال:

,Drei politische Generationen im 20. Jahrhundert

الصادر في كتاب:

in: Jurgen Reulecke (Hrsg.): Generationalitat und Lebensgeschichte im 20. Jahrhundert. ;Munchen 2003, S. 95–114, hier S. 113

وكتاب:

Wilfried Mausbach: Wende um 360 Grad? Nationalsozialismus und Judenvernichtung in der .≫zweiten Grundungsphase≪ der Bundesrepublik, in: Hodenberg/Siegfried, 1968, S. 15–47

4 - يؤمـــن هاينـــز بوديـــه في كتابـــه Das Altern einer Generation, بإمـــكان تحديـــد دقيـــق

للسنوات من عام 1938 حتى عام 1948.

5 - انظر إلى رسالة الدكتوراه:

Stephan Alexander Glienke: Die Ausstellung ≫Ungesuhnte Nazijustiz≪ (1959–1962). Zur Geschichte der Aufarbeitung nationalsozialistischer Justizverbrechen. Diss. phil. Hannover 2006.

6 -انظر إلى كتاب:

Waldmann, Entwicklung, S. 199–216;

وكتاب:

.Schwan, Politik, bes. 124–163

7 - انظر إلى خطابات هانا آرندت:

Hannah Arendt/Heinrich Blucher: Briefe 1936–1968, hrsg. Von Lotte Kohler. Munchen/: .Zurich 1996, 28.5.1961, S. 543 f

8 - قدم هيرمان لوبيه عام 1983 تفسيراً مقبولا في مقال:

Hermann Lubbe: Der Nationalsozialismus im deutschen Nachkriegsbewustsein

الصادر في:Historische Zeitschrift 236 (1983), S. 579–599.

9 - انظر كتاب:

Hans-Ulrich Thamer: NS-Vergangenheit im politischen Diskurs der 68er-Bewegung, in: ;Westfalische Forschungen 48 (1998), S. 39–53, hier S. 47

انظر كتاب:

Karl Christian Lammers: Die Auseinandersetzung mit der ≫braunen≪ Universitat. Ringvorlesungen zur NSVergangenheit an westdeutschen Hochschulen, in: Schildt u. a., .Zeiten, S. 148–165

10 - انظر مقال: Hartmut Hausermann: Versagen ohne Konsequenzen,

الصادر في جريدة FUSpiegel ، عدد 49 الصادر في يناير 1966، ص 6-7، الاقتباس المذكور هنا من ص 7.

11 - انظر كتاب:
Freie Universitat Berlin: Universitatstage 1966. Nationalsozialismus und die deutsche Uni-
.versitat. Berlin 1966, S. 5

12 - انظر كتاب:
Rolf Seeliger, Braune Universitat. Deutsche Hochschullehrer gestern und heute. Bde. 1–6.
.Munchen 1964–1968

13 - انظر أيضًا كتاب:
dazu Norbert Frei (Hrsg.): Karrieren im Zwielicht. Hitlers Eliten nach 1945. Frankfurt am
;Main/New York 2001, S. 334
للمزيد عن فضيحة لوبكه بوصفها دافعًا لتعبئة الطلاب انظر كتاب:
.Cohn-Bendit/Mohr, Revolution, S. 10

14 - مثال على ذلك كان نقد طلاب هايدلبيرج عام 1968 الموجه إلى المؤرخ فيرنر كونتسيه المتعلق بعلاقته بماضي النازية انظر كتاب:
.Hildebrandt, Studenten, S. 162–177.

15 - انظر الصورة الواردة في كتاب فراي عن النخبة (كما في الهامش رقم 14) وضع بيتر بيندر الصورة الاستعارية لهتلر ووصفه بأنه من ألمانيا الغربية

16 - انظر كتاب: Klaus Rainer Rohl: Funf Finger sind keine Faust. Koln 1974,

17 - انظر كتاب: Hubertus Knabe: Die unterwanderte Republik. Stasi im Westen. Berlin 1999,
.S. 182–233
ومقال:
Wolfgang Kraushaar: Unsere unterwanderten Jahre. Die barbarische und gar nicht schone
,Infiltration der Studentenbewegung durch die Organe der Staatssicherheit
الوارد في جريدة "فرانكفورته ألجيماينه تسايتونج بتاريخ 7.4.1988، ص 45.

18 - انظر كتاب:
Ernst Nolte: Der Faschismus in seiner Epoche. Action francaise, italienisch-
er Faschismus, Nationalsozialismus. Munchen 1963; Die faschistischen Be

wegungen.Die Krise des liberalen Systemsund die Entwicklung der Faschismen.Munchen .1966

19 - انظر كتاب:Thamer, NS-Vergangenheit ص 49-50 (كما في هامش رقم 9)
كان المجلد الذي أصدره الناشر فولفجانج أبيندروت بعنوان:
Wolfgang Abendroth (Hrsg.): Faschismus und Kapitalismus. Theorien uber die sozialen Ursprunge und die Funktion des Faschismus. Frankfurt am Main/Wien 1967.
نتيجة أعمال ماربورج وصدر منه عدة طبعات.

20 - انظر كتاب:
Wolfgang Fritz Haug: Der hilflose Antifaschismus. Zur Kritik der Vorlesungsreihen uber Wissenschaft und NS an deutschen Universitaten. Frankfurt am Main, 2.Aufl. 1968, S. 144 f. bzw. 149.

21 - انظر إلى ورقة بخط اليد عام 1967 تقريبًا الواردة في
in: Bentz, Protest, S. 43; zit. nach Mausbach, Wende (wie Anm. 3), S. 29.

22 - لم يكن مصطلح "حركة عام 68" متداولا في نهاية فترة السبعينيات ولم يستخدم إلا في سياق السنة الخامسة عشر للأحداث. ومن أوائل الكتب الصادرة عن الحركة كتاب:
Jari Pekka Cuypers: Die 68er. Geschichts-Comic uber Lust & Frust der Linken.Hamburg 1981.

23 - انظر كتاب:Otto, Ostermarsch, ص 51-64.
وكتاب Rolke, Protestbewegungen,ص 172-194

24 - مطبوع في الجريدة الطلابية بفرانكفورت الصادرة بتاريخ 5.6.1958.
Frankfurter Studentenzeitung, 5.6.1958, zit.nach Kraushaar,Frankfurter Schule,Bd.2, S.104 ff., hier S.106.

25 - انظر كتاب:
Mario Krebs: Ulrike Meinhof. Ein Leben im Widerspruch. Reinbek 1988, S. 32–48.

26 - انظر كتاب:

.Otto, Ostermarsch, S. 65–101; Rolke, Protestbewegungen, S. 199–216

27 - انظر كتاب: Fichter/Lonnendonker, SDS.ص 104-105.

تم إقرار عدم اتساق عضوية اتحاد الطلاب الاشتراكيين مع الانتماء الحزبي من جانب مجلس الحزب الديمقراطي الاجتماعي في أكتوبر عام 1961. للمزيد انظر نفس المرجع السابق ص 111 وما يليها.

28 - انظر كتاب:

Horst Ehmke: Mittendrin. Von der Grosen Koalition zur Deutschen Einheit. Berlin 1994, S. ;.24 f

وكتاب:

.Ralf Dahrendorf: Uber Grenzen. Lebenserinnerungen.Munchen 2002, S. 116–118

29 - انظر كتاب:

Elisabeth Lenk: Die sozialistische Theorie in der Arbeit des SDS, in: neue kritik 13 (1962), S. .7–11, hier S. 11

انظر كتاب:

Gilcher-Holtey, 68er, S. 18–22 (der SHB fungiert hier irrtumlich als ≫Sozialistischer≪ .(Hochschulbund

الذي يسرد التشابه الممنهج للاتحادين الشقيقين ونصوص هايدن ولينك.

30 - للمزيد انظر كتاب: Albrecht u. a., Grundung, bes. S. 92–131.

31 - مطبوع في

Abgedruckt in: Theodor W. Adorno: Eingriffe. Neun kritische Modelle. Frankfurt am Main .1963; zum Kontext Claussen, Adorno, S. 397 ff., Zit. S. 396

32 - هذه البيانات واردة حسب ما هو موجود في كتاب: Alex Demirovic, Bodenlose Politik – Dialoge .uber Theorie und Praxis, in: Kraushaar, Frankfurter Schule, Bd. 3, S. 71–98, hier S. 95

33 - انظر كتاب: Schneider, Demokratie ص 90 على وجه الخصوص.

34 - انظر إلى Kraushaar, Frankfurter Schule, Bd. 1, S. 220 f.

35 - انظر Blatter fur deutsche und internationale Politik 5 (1965), S. 464; derAppell ist abgedruckt in: Otto, Opposition, S.297–300, Zit. S. 299.

36 - انظر Miermeister/Staadt, Provokationen, S. 150 ff.

37 - جريدة دي تسايت الصادرة بتاريخ 9.9.1966، الاستشهاد المشار إليه على عهدة Chaussy, Dutschke, S. 143.

38 - مقولة دوتشكه إلى أحد زملاء المدرسة السابقين في لوكينفالده بتاريخ 20.12.1961
الاقتباس مأخوذ من كتاب Chaussy, Leben ص 36.

39 - Dutschke, Tagebucher, S. 17 bzw. 20, Hervorhebung im Original.

40 - انظر إلى الوثيقة المؤثرة لفرانك بويكلمان:
Frank Bockelmann u. a.: Subversive Aktion. Der Sinn der Organisation ist ihr Scheitern. O.O. 2002.

41 - انظر Kraushaar, Frankfurter Schule, Bd. 2, Dok. 84, S. 176.

42 - نفس الوثيقة رقم 85، ص 179.

43 - تذكر فولفجانج ماتياس الذي قابل تشومبي حسب ما قاله دوتشكه أنه كان يُبحث "في القمامة" عن الطماطك بلا جدوى لكن لم يُعثر على أي منها ولم يُتمكن من شرائها، انظر:
Theater als ≫Aktion≪, in: Gilcher- Holtey, 1968, S. 231.

44 - انظر Dutschke, Vom Antisemitismus zum Antikommunismus, in: Bergmann u. a., Rebellion, S. 63, Hervorhebung im Original.

45 - وكذلك عنوان كتاب: Dutschke, Geschichte ist machbar.

46 - المرجع السابق، ص 64.

47 - انظر: Chaussy, Leben, S. 95–98.

48 - انظر على سبيل المثال:

Gunter Amendt: Die Studentenrevolte in Berkeley, in: neue kritik 28 (1965), S. 5 ff.; Michael Vester:Die Strategie der direkten Aktion, in: neue kritik 30 (1965), S. 12–20.

49 - انظر: Freie Universitat Berlin 1948–1973, Teil IV, S. 19–29; vgl. auch Uwe Bergmann: Das "Kuby-Krippendorff"- Semester 1965/66, in: ders. u. a., Rebellion, S. 15–18.

50 - انظر إلى وثيقة رقم 381: Freie Universitat Berlin 1948–1973, Teil IV, S. 199.

51 -انظر Fichter/Lonnendonker, SDS, S. 137.

52 - انظر: Ludwig von Friedeburg: Jugend in der modernen Gesellschaft. Koln/Berlin 1965, S. 18; vgl. auch Gunter C. Behrmann: Zwei Monate Kulturrevolution, in: Albrecht u. a., Grundung, S. 319.

53 - انظر: Jurgen Habermas/Ludwig von Friedeburg/Christoph Oehler/ Friedrich Weltz: Student und Politik. Eine soziologische Untersuchung zum politischen Bewustsein Frankfurter Studenten. Neuwied 1961, S. 230ff.

54 - انظر: Kraushaar, Frankfurter Schule, Band 1, S. 218.

55 - انظر:

Frantz Fanon,Von der Gewalt, in:Kursbuch 2 (1965), S. 1–55; der Aufsatz von Enzensberger ebenda, S. 154–173.

56 - انظرFichter/Lonnendonker, SDS, S. 138.

57 - انظرFreie Universitat Berlin 1948–1973, Teil IV, S. 60.

58 - نسخة أصلية محفوظة في كتاب: Freie Universitat Berlin 1948–1973, Teil IV, S. 55.

59 - انظر: Freie Universitat Berlin 1948–1973, Teil IV, S. 67.

انظر أيضًا إلى كتاب: Friedrich C. Delius: Alles war anders, in: SZ an Pfingsten, 30./31.5.1998, S. II بوصفه نصًا مهمًا عن قدرة الذكريات المادية على التحمل.

60 - انظر وثيقة: Freie Universitat Berlin 1948–1973, Teil VI,Dok. 477, S. 264 f.

61 - Das Folgende nach der anschaulichen Darstellung bei Chaussy, Leben, S. 148–162; Rolke, Protestbewegungen, S. 262.

62 - انظر Freie Universitat Berlin 1948–1973, Teil IV,Dok. 616, S. 375.

63 - انظر Enzensberger, Jahre, S. 105.

64 - لمزيد من المعلومات عن السيرة الذاتية انظر كتاب: Kunzelmann,Widerstand, S. 63 ff.

65 - انظر: vgl. insgesamt Dagmar Herzog: Die Politisierung der Lust. Sexualitat in der deutschen Geschichte des 20. Jahrhunderts. Berlin 2005, S. 218–222.

66 - انظر على سبيل المثال كتاب: Kraushaar, 1968.

67 - انظر كتاب:

Heinrich Albertz: Blumen fur Stukenbrock. Biographisches. Hamburg 1983, S. 245; zum Folgenden auch Schuster, Albertz, S. 199–226; Soukup, Ohnesorg.

68 - عن هذه الموضوع وما يليه انظر التوصية الختامية للجنة تقصي الحقائق ليت النواب ببرلين الصادر بتاريخ 3.7.1968. والمطبوعة في كتاب:

Freie Universitat Berlin 1948–1973, Teil V, Dokument 721, S.176 f.;

انظر: auch Sebastian Scheerer:Deutschland: Die ausgeburgerte Linke, in: Angriff auf das Herz des Staates, Bd. 1, hier S. 262–266; Lonnendonker u. a., Revolte, S. 333–336; Kursbuch 12 (1968) (»Der nicht erklarte Notstand. Dokumentation und Analyse eines Berliner Sommers«); sowie die detailreiche Schilderung in: Der Spiegel, 12.6.1967, S. 41–46 (»Knuppel frei«).

69 - قال ألبيرتش لاحقًا: " ربما تسببت هذه الجملة في اندلاع كل شيء لاحق." انظر كتاب: Blumen, S. 246.

70 - انظر: Nevermann, 2. Juni, S. 15.

71 - انظر: Albertz, Blumen, S. 246.

72 - رأت غرفة العقوبات الكبرى الرابعة عشر لمحكمة برلين الفعل في حكمها الصادر بتاريخ 22.11.1967 على أنه "مخالغ للقانون بوضوح" لكنها أطلقت صراح كوراس بسبب "عدم القدرة الموضوعية لفعل مادي ملوس".

73 - سأل اتحاد الطلاب الشيوعي:" كم شخص يجب أن يتبعوه؟" انظر إلى:
HIS, Mappe: Allgemeine Politik, Attentat Benno Ohnesorg, Berlin 1967, Flugblatt, 3.6.1967.

74 - نفس المصدر السابق.
منشور غير محدد التاريخ بعنوان لجنة تقصي حقائق في جامعة برلين الحرة" الوارد في
Freie Universitat Berlin 1948–1973, Teil V,
Dok. 729, S. 179.

75 - انظر جريدة بيلد بتاريخ 3.6.1967، ص 1.

76 - انظر:

Kai Hermann:Wie sich das anbahnte, in: Die Studenten und die Obrigkeit, Sonderdruck Die Zeit, 16.6.1967; vgl. auch Sonderdruck Der Spiegel, 12.6.1967; beides in: HIS,Mappe: Allgemeine Politik, Reaktionen auf 2. Juni Ereignisse, Berlin 1967.

77 - انظر الإعلان الصحفي بتاريخ 4.6. 1967 للجماعة الطلابية في جامعة برلين الحرة بعنوان "لا نصدق كذب الشرطة التي رأت القتل على أنه وسيلة للدفاع[...]، نؤكد على عدم وعينا[...] بالنظر إلى معظم التقارير في وسائل الإعلام ببرلين. ونتمنى أن يقول الصحفيون الحقيقة." انظر
HIS, Mappe: Allgemeine Politik, Attentat Benno Ohnesorg, Berlin 1967; spatere Fassung in: Freie Universitat Berlin 1948–1973, Teil V, Dok. 727, S. 178.

78 - انظر إلى وثيقة الطائفة الطلابية الإنجيلية بتاريخ 6.6.1967:" ما يجب أخفاؤه هنا ومن يجب تضليله؟ نطرح سؤال ألا يهتم الجميع بضرورة حل تركيز كل الجرائد من سيطرة مؤسسة شبرينجر." انظر: -HIS,Map pe: Allgemeine Politik, Attentat Benno Ohnesorg, Berlin1967; Baus, Studentenbewe-gung, S. 71–92.

79 - انظر إلى القرار الصادر بتاريخ 4.6.1967 الوارد في وثائق جامعة برلين الحرة:
Freie Universitat Berlin 1948– 1973, Teil V, Dok. 740, S. 182 f.

80 - انظرNevermann, 2. Juni; Zit. Bracher S. 44.

81 - يقدم مونيدمان مثالا جليا في شكل ذكريات طالب من هايدلبيرج:Mundemann, 68er, S. 91

82 - انظر:Chaussy, Leben, S. 170 f.;
وأيضًا قصة الكاتب أوفيه تيم: Uwe Timm: Der Freund und der Fremde. Eine Erzahlung. Koln 2005.

83 - انظر Dutschke, Geschichte, S. 76.

84 - انظر Habermas, Protestbewegung, S. 148;
الاستشهاد التالي ص 148 149-، الحذف الذي قام به هابرماس بين قوسين دائريين، أما ما حذفته أنا فبين قوسين معقوفين.

85 - في يومياته أظهر ابتعاده عن كلمة الفاشية اليسارية بما يدعو إلى الدهشة حيث ذكر: تقلص الاتهام "بتحريض" مقصود للطلاب ..." وواصل دوتشكه قوله: تشرفني تهمة الأيديولوجية التطوعية ..."، انظر مذكرات دوتشكه، ص 45.

86 - انظر جريدة دير شبيجل الصادرة بتاريخ 10.7.1967، ص 29-33، والاستشهاد التالي. كتبت الجريدة عن موت اونيزورج بعنوان " طلاب برلين المتمردون" بتاريخ 5.6.1967، ص 46-59.

87 - انظر: Axel Schildt: Nachwuchs fur die Rebellion – die Schulerbewegung der spaten 60er Jahre, in: Reulecke, Generationalitat S. 229–251.

88 - انظر Kraushaar, Frankfurter Schule, Bd. 1, S. 267.

89 - انظر Fichter/Lonnendonker,SDS, S. 172–179; Rabehl, Repressive Toleranz, S. 144 f.

90 - انظر Siegfried, Time, S. 494 ff.

91 - انظر Dutschke, Geschichte, S. 89–95, hier S. 94.; هذا النص قائم على تفريغ لشريط صوتي للنص الضائع.

92 - انظر Fichter/Lonnendonker, SDS, S. 175.

93 - انظر neue kritik 44 (1967), zit. nach Otto,Opposition, S. 256f.

94 - انظر إلى جدول محاضرات الجامعة الناقدة, zit. nach Fichter/Lonnendonker SDS, S. 180.

95 - الاستشهاد مأخوذ من كتاب: Rabehl, Ende, S. 226.

96 - انظر إلى العرض الواف الذي قدمه راينهارد كال في جريدة تجيس تسايتونج: Reinhard Kahl: Eine Parole, die Geschichte lostrat, in: taz, 8./9.11.1997, S. 6.

97 - انظر Freie Universitat Berlin 1948–1973, Teil V, S. 54.

98 - انظرDiskus 17 (1967), S. 4; zit. nach Kraushaar, Frankfurter Schule,Bd. 2, S. 324.

99 - انظر إلى مقال: (>>Schwierigkeiten beim Aufrechtgehen<<); الصادر بتاريخ 19.2.1968، ص 30-33،

ومقال (>>Heiterkeit in die Revolutionbringen<<). الصادر بتاريخ 4.3.1968، ص 38-57.

100 - انظر إلى جريدة دير شتيرن في أعدادها الصادرة في, 7.5., 2.7., 27.8. 24.9.1967.

101 - انظر Joachim Fest: Begegnungen. Uber nahe und ferne Freunde, Hamburg 2004, S. 249–270.

102 - ظهر النص في البداية كمنشور فولتير(Voltaire Flugschrift 17 1968); طبع في نص موجز في:
.Freie Universitat Berlin 1948–1973, Teil V, S. 440–443 :

103 - انظر: Kraushaar, Frankfurter Schule, Bd. 1, S. 287.

104 - انظر إلى تقرير هيئة الاستعلامات للحكومة الاتحادية الصادر بتاريخ 3.1.1968، ص 1.

105 - انظر إلى:

Gassert, Kiesinger, S. 619 f.;Willy Brandt: Berliner Ausgabe,Bd. 4 bzw. Bd. 7, S. 399–402 (Interview, 15.11.1967) bzw. S. 143–147 (Interview, 26.4.1968).

106 - انظر: Kraushaar, Frankfurter Schule, Bd. 1, S. 298.

107 - انظر إلى Kraushaar, Frankfurter Schule, Bd. 1, S. 298 ff.

108 - انظر جريدة "دي تسايت" الصادرة بتاريخ 19.04.1968 Die Zeit, 19.4.1968.

109 - انظر كتاب: Koenen, Jahrzehnt, S. 128.

110 - انظر إلى كتاب: Siegfried, Time.

111 - انظر إلى: Christoph Klesmann: 1968 – Studentenrevolte oder Kulturrevolution?, in: Manfred Hettling (Hrsg.): Revolution in Deutschland? 1789–1989. Gottingen 1991, S. 90–105,
انظر أيضًا كتاب:
.Marwick, Sixties, der von einer ganzen Reihe kultureller "Revolutionen"spricht

112 - انظر إلى ملخص حول هذا الموضوع في كتاب:
Doering-Manteuffel: Eine neue Stufe der Verwestlichung? Kultur und Offentlichkeit in den 60er Jahren, in: Schildt u. a., Zeiten, S. 661–672.

113 - انظر إلى
,Gerhard Furmetz (Hrsg.): Schwabinger Krawalle. Protest

.Polizei und Offentlichkeit zu Beginn der 60er Jahre. Essen 2006

114 - انظر إلى التقدير المعاصر المهم الذي كتبه كوسيل الوارد في كتاب: Gammler, Zit. S. 88.

115 - انظر:

Hobsbawm, Zeitalter, S. 406–414; Jakob Tanner: "The Times They Are A-Changin’".
انظر إلى Gilcher-Holtey, 1968, S. 207–223, hier S. 211.عن ديناميكية الثقافة الفرعية لحركة عام68.

116 - انظر إلى كتاب Ruppert, 1968. الذي تناول عالم السلع في تلك السنوات

117 - انظر إلى تقرير الدستور لراينهارد كال بتاريخ 18.6.1967 الصادر في كتاب: Siegfried, Jugendkultur, S. 619.

118 - المرجع السابق ص 608.

119 - انظر إلى العرض الذاتي والتفسير الذاتي المهمين بعد أحداث عيد الفصح في جريدة دير شبيجل الصادرة بتاريخ 29.4.1968، ص 86، بعنوان: ("Karl Marx und der SDS").

120 - انظر إلى

Wolfgang Ruppert, Konsumwelt, in: Schildt u. a., Zeiten, S. 763;1968.
انظر إلى المقال الصادر بجريدة دير شبيجل بتاريخ 2.10.1967، ص 154-170 بعنوان: "Die ubertriebene
,"Generation. Jugend 1967
حيث تعد هذه الحكاية نظرة شاملة وتفسير معاصر للأحداث.

121 - انظر مقال جريدة دير شبيجل في عددها الصادر بتاريخ 24.7.1967، بعنوان:
("Lieber Fritz! Wem soll das nutzen?").
ص 33 ومايليها، الاستشهاد من ص 37

122 - انظر المرجع أعلاه ص 57-63.

123 - انظر جريدة دير شبيجل بتاريخ 28.8.1967، ص 88-89 بعنوان "صيف الحب"
124 -انظر إلىAxel Schildt:Vor der Revolte. Die sechziger Jahre, in: APuZ B 22–23 (2001), S. 13.

125 - هذه البيانات وفقًا لاستطلاع رأي مائة طالب من جامعات ومعاهد عليا فنية في جمهورية ألمانيا الاتحادية وبرلين الغربية طبقًا لما جاء في كتاب:

Elisabeth Noelle/Erich Peter Neumann (Hrsg.): Jahrbuch der offentlichen Meinung 1966–1967. Allensbach/Bonn 1967, S. 352–369.

126 - وافقت نسبة 55% من سكان ألمانيا الاتحادية عام 1968 على المقولة في أن الاشتراكية القومية "كانت فكرة جيدة لكن نُفذت على نحو سيء." انظر كتاب:

Werner Bergmann/Rainer Erb: Antisemitismus in der Bundesrepublik Deutschland. Ergebnisse der empirischen Forschung von 1946–1989. Opladen 1991, S. 252.

127 - انظر: Elisabeth Noelle/Erich Peter Neumann (Hrsg.): Jahrbuchder offentlichen Meinung 1968–1973. Allensbach/Bonn 1974,S. 459.

128 - وافق 16% على المقولة في حين بلغت نسبة من رفضوا التعليق إلى 5%، انظر:

Noelle/Neumann, Jahrbuch 1966–1967 (wie Anm. 125), S. 352–369

129 -انظر إلى مقال "طلاب على الحواجز" بتاريخ 22.4.1968 المتصدر صفحة غلاف جريدة دير شبيجل، انظر أيضًا إلى مقال "الثورة. نهاية أسبوع ضائعة" الصادرة في نفس العدد من الجريدة ص 25-28 .

130 - انظر: Gassert, Kiesinger, S. 616

131 - نفس المصدر السابق ص 619.

132 - انظر Bayernkurier, 20.4.1968, S. 1.

133 - انظر جريدة ددير شبيجل 22.4.1968, S. 28.

134 - انظر Rudolf Augstein: Knuppel frei? in: Der Spiegel, 22.4.1968, S. 22.

135 - سابقًا كانت جريدة "دير شبيجل في متناول قرابة 6 مليون قاريء(مثل اليوم).

136 - انظر: Stefan Hemler: Munchen ’68 – war da was? Uberlegungen

zur Erforschung der Studentenbewegung anhand bedeutsamer Marginalien, in: 1999, 13 (1998) 2, S. 117–136, hier S. 127

137 - انظر إلى التوصيف العاطفي والتفصيلي لكرال في كتاب Koenen, Jahrzehnt, S. 141–145

138 - انظر

Hans-Jurgen Krahl: Konstitution und Klassenkampf. Zur historischen Dialektik von burgerlicher Emanzipation und proletarischer Revolution. Schriften, Reden und Entwurfe aus en Jahren 1966–1970. Frankfurt am Main 1971, S. 149 bzw. 151.

139 - انظر جردية دير شبيجل 24.6.1968.

140 - انظر إلى مقال جريدة دي تسايت بتاريخ 7.6.1968.

بعنوان:(«Das Fazit einer Demonstrationswoche –Die Rebellen sind mude»)

141 - انظر إلى مقال جريدة دير شبيجيل في عددها الصادر بتاريخ 10.6.1968، ص 113-118

بعنوان: ("Theater. Politisierung. Thriller mit Teufel")

142 - انظر النص المؤثر عن الذكريات في كتاب:

Friedrich Christian Delius: Wie scheintot war die Literatur? Kursbuch 15 und die Folgen.

بمناسبة افتتاح معرض:

Gedanken beim Wiederlesen des legendaren"Kursbuch 15", in: Frankfurter Rundschau, 6.2.1999, S. 3.

143 - انظر

Jurgen Habermas: Die Scheinrevolution und ihre Kinder, in: ders., Protestbewegung, S. 198 f.,Hervorhebungen im Original.

144 - انظر

Max Kaase: Die politische Mobilisierung von Studenten in der BRD, in: Al

.lerbeck/Rosenmayr, Aufstand, S. 155–177, hier S. 174

145 - الاستشهاد مأخوذ من : Kraushaar, 1968, S. 273.

146 - جريدة "دي تسايت: في عددها الصادر بتاريخ 8.11.1968، وجريدة "دير شبيجل" بتاريخ 11.11.1968، ص 67-72.

147 - حسب التفسير الوارد في كتاب: Fichter/Lonnendonker, SDS, S. 198.

148 - انظر كتاب: Freie Universitat Berlin 1948–1973, Teil V, S. 116.

149 - لمزيد من التفاصيل انظر: Gassert, Kiesinger, S. 631–659.

150 - انظر مقال Hans-Klaus Jungheinrich: Adorno als Institution ist tot: الصادر في جريدة "فرانكفورتر روندشاو: بتاريخ 24.04.1969، ص 13.

انظر مقال: Tanja Stelzer : Die Zumutung des Fleisches الصادر في جريدة "تاجيسشبيجل" بتاريخ 7.12.2003 الذي يفسر ما يعرف باسم "هجوم نساء عاريات الصدر" على أدورنو.

الفصل الثالث

احتجاج في الغرب

"لقد وضع الشباب العالم الكائن بين مدن براج، وبرلين، وبيركلي، وستوكهولم، وباريس، وطوكيو بين شقي الرحى، وهو ما كان الناس يخشونه من قديم الأزل وما حاولوا إخفاءه تحت عباءة الاشتراكية الشمولية والديمقراطية الرامية إلى المساواة: مما يهدد بأن يعيق أحلام أناس في الحياة اليومية السياسية."

بيتر هيرتلنج: "الشهر Der Monat"، أغسطس 1968[1]

ليس العام بمؤشر بوصلة، ولكن حيثما يوجد الغرب يصبح عام "68" واضحًا. ليس تعداد، حتى وإن كان العد مطولا، فلا بد وأن اكتماله أكيد: أمستردام، وبروكسل، وبرشلونه، ومدريد، وميلانو، وتورينو، وروما، وأثينا، واسطنبول، وأنقرة، وبلجراد، وتل أبيب، وفيينا، وزيوريخ، ولندن، وستوكهولم، وكوبنهاجن، بل وكذلك طوكيو، ومكسيكو سيتي، وريو دي جانيرو، ناهيك عن مسارح الأحداث الكثيرة في فرنسا، وألمانيا، والولايات المتحدة الأمريكية. – فالغرب – المعروف بأنه منطقة الحرية المشروعة أو على الأقل الإمكانية المسموح بها للناس للاحتجاج، بدت بعيدة إلى ما لا نهاية في هذا العام، أبعد كثيرًا من كل مواثيق قراراته السياسية والجغرافية.[2] إنها لحظة تاريخية إذ بدا الأمر كما لو أن الغرب ممكن أيضا في الشرق: وراء الستار الحديدي.

ولكن ماذا يعني هذا كله؟ هل ينبغي تعريف الغرب مجددا في ركب الثورة؟ ماذا كانت النقاط المشتركة للاحتجاجات على الإطلاق إلى جانب توازي الأحداث الكثيرة؟ هل كان هناك ذلك الموضوع الأكبر، السبب الأكبر؟

هذه الأسئلة ليس بالإمكان معالجتها هنا[3] حتى وإن أجهدنا أنفسنا – لأن ذلك يعني: أن نقارن ونحلل من كل الجوانب بشكل منظم. ربما تمنحنا النظرة إلى بعض الدول والتراكيب التي لاحت بها الاحتجاجات دليلاً واضحًا عن موضع الإجابات. لنبدأ بالبحث عند النهاية الشرقية للغرب. هناك، لاسيما في اليابان، نشأت في الستينيات حركة احتجاجات حملت معظم الملامح الغربية – ورغم ذلك فقد اتبعت قواعد خاصة للغاية، في علاقتها بالعنف على وجه التحديد.

اليابان

عن فحوى العنف لثورة غامضة

في مهد الحركة الطلابية الواسعة بشكل غير معتادة بل العنيفة بطريقة غير معتادة، والتي كان من المفترض أن تكون سمة مميزة لليابان، نجد صاحب الفكرة أو العقل الذي لا يقل غرابة عما سبق: لاسيما سلطة احتلال الحلفاء تحت إمرة قائدها الأمريكي الجنرال دوجلاس ماك أرثر، تلك السلطة التي لم تكتف عام 1945 برفع حظر الحزب الشيوعي الياباني (KPJ)، بل سمحت في سبتمبر عام 1948 بتأسيس تحالف ياباني عام للإدارة الذاتية للطلاب (تسين نيهون جاكوسي جيشيكاي سورينجو،Zen Nihon Gakusei Jichikai Sorengo واختصارها تسينجاكورن). وهكذا وبضربة واحدة أصبح عشرات الآلاف من طلاب الجامعات العامة القليلة والجامعات الخاصة الكثيرة عددها بالبلاد تضمهم رابطة كبرى. اتخذ تحالف تسينجاكورن اتجاه الحزب الشيوعي الياباني ويُقال إنه مارس تأثيرًا لا يستهان به على التطور السياسي في مؤسسات التعليم العالي.[4]

وقد نتج عن ذلك التعاطف الذي نشأ بين شباب الطلاب اليابانيين وكثير من المثقفين الأكاديميين في الحركة الشيوعية – كما كان الحال قبل الحرب العالمية الثانية – خاصة من جانب المعارضين منهم للشوفينيه والإمبريالية التي اتسم بها النظام العسكري القيصري. ذلك النظام الذي أصدرت ضده المحكمة العسكرية الدولية في طوكيو أحكامها بعد ذلك بعدة أسابيع، تحديدًا في بداية نوفمبر 1948. ولم تكسر هذه المحاكمات تأثير الصفوة قبل الديمقراطية تماما، بل على العكس فقد خدمت التدخلات المنظمة المتزامنة من المنظور الشيوعي التوغل الرأسمالي للبلاد في المقام الأول؛ لذا أصاب الفتور العلاقة بين الحزب الشيوعي الياباني والأمريكان والتي وصفها بعضهم في البداية بأنها زواج عن حب ومنذ بداية الخمسينيات سادت عداوة معلنة من الشيوعيين تجاه "الاحتلال الإمبريالي".

غير أن وحدة التسينجاكورن الشيوعيين قد انهارت بدورها على خلفية انطباع التخلص من الستالينية في الاتحاد السوفيتي من ناحية والثورة الفاشلة في المجر من ناحية أخرى. وقبل نهاية العقد انشق المشهد الطلابي الراديكالي اليساري؛ حيث وقف جناح استمر في

ولائه للحزب الشيوعي الياباني في مواجهة مجموعات ناشطة. ونظرًا لوقوع مقر الحزب الشيوعي الياباني في حي يويوجي في طوكيو، فقد أصبح هؤلاء يمثلون الجبهة المناهضة للتسينجاكورن (تكتل تسينجاكورن المناهض لتكتل يويوجي): رابطة الشيوعيين (كيوساندو Kyosando)، ورابطة الطلاب الاجتماعيين (شاجاكودو Shagakudo)، فضلًا عن المجموعة العنيدة (كاكوكيودو Kakukyodo) التي لم تكن تتبع تسينجاكورن في البداية فقط بل اكتسبت تأثيرًا على التحالف. وبالمقارنة بأوروبا والولايات المتحدة فقد كان اليسار الطلابي في اليابان قد بدأ مبكرا للغاية.

ومنذ عام 1959 برز هناك موضوع التطابقية المعتاد: لاسيما الكفاح ضد اتفاقية التعاون الأمني المشترك بين الولايات المتحدة الأمريكية واليابان، والتي تمنح الولايات المتحدة الحق في مواصلة حشد قوات قتالية في البلاد والتوسع في إقامة قواعد جوية استراتيجية مهمة (خاصة في أوكيناوا) (وذلك في مواجهة استمرار ضمان المساندة العسكرية في حال الهجوم على اليابان). أما حركة المعارضة الموجهة ضد ذلك والتي تزعمها إئتلاف يساري عريض فقد انضمت في قطاعات كبير منها إلى النقابات. غير أن تكتل التسينجاكورن هو الذي جعل المعارضة متطرفة وسعى إلى إلغاء المعاهدة في يناير عام 1960. وقد تصاعد حنق الطلاب جراء كَوْن المفاوضات التي أُجريت مع الولايات المتحدة الأمريكية ممثلة في شخص نوبوسوكه كيشي رئيس الوزراء، وهو ذاته الشخص الذي ظل محبوسًا في السجن حتى عام 1948 بسبب ارتكاب جرائم حرب (من الدرجة الأولى) عندما كان عضوا في وزارة الحرب بقيادة هيديكي توجو، على الرغم من أنه لم يُدَنْ أبدًا.

بلغت المظاهرات الجماهيرية ذروتها قُبَيل توقيع الإمبراطور للاتفاقية في الثاني والعشرين من يونيو عام 1960 بناءًا على قرار مجلس النواب (كان كيشي قد استقال في هذه الأثناء). فلقيت طالبة مصرعها أثناء مهاجمة مبنى البرلمان، الذي كان قد تعرض للهجوم قبل ذلك في الخريف. وأدرك المتحدث الإعلامي باسم البيت الأبيض هو الآخر حساسية الموقف عندما وضعه طلاب تكتل تسينجاكورن في حرج شديد في مطار طوكيو. وعلى الرغم من أن الرئيس الأمريكي أيزنهاور ألغى زيارته التي كان مُخطَّطًا لها لليابان، فإن هذه النجاحات الرمزية التي أحرزتها المعارضة اليسارية المتطرفة، التي أرادت بدورها إبعاد الدولة عن أمريكا، لم تغير بالطبع أي شيء آخر في الوقائع التي أخرجت

حزب الليبراليين الأحرار الحاكم في البرلمان إلى النور بمساعدة انسحاب الحزب الاشتراكي، لا سيما وأن تلك النجاحات لم تقِ المجموعات الطلابية من الاستمرار في التصدع حينها والتناحر فيما بينهم على المدى البعيد.

لهذا كان الأمر في الأساس نوعًا من إعادة البعث الذي نجح الطلاب اليساريون في تحقيقه عندما بدأت المعارضة تتشكل منذ ربيع عام 1965 في اليابان هي الأخرى لتناهِض الحرب الأمريكية التي شبَّت على مرمى حجر من وطنهم – في فيتنام. إلى جانب ذلك تحرَّك أعضاء الحزب اليساري التقليدي الياباني أسرع من نشطاء تكتل تسينجاكورن، وتحديدًا بشكل متوازٍ فعليًا مع ظهور انتقاد الحرب في الولايات المتحدة الأمريكية، فكتب من في الحزب من نقابيين وعلماء ومؤلفين مذكرات احتجاجية وأسسوا أول لجنة مناهضة للحرب. وسرعان ما انضمت إليهم بعد ذلك منظمتان جديدتان كانتا على ارتباط غير وثيق بتكتل تسينجاكورن المناهض لتكتل يويوجي: لجنة الشباب المناهضة للحرب والتي أطلقها الحزب الاشتراكي (هانسين سينن إنكاي، واختصارها: هانسين) والرابطة المدنية من أجل السلام في فيتنام (بيتونامو ني هيوا أو شيمين رينجو، واختصارها: بِهيرِن).

لم تكن بِهيرِن منظمة عضوة تقليدية، بل كانت حركة ذات توجهٍ عملي، ليس لها أي أيديولوجيا مُلزِمة أو تدرجات في المراتب بداخلها أو حتى قيادة احترافية.[5] لهذا كان يحق لأي جماعة محلية أن تحمل اسم هذه المنظمة ما دامت قد انتهجت ثلاث نقاط: السلام في فيتنام، والحكم الذاتي لفيتنام، وإنهاء الدعم غير المباشر (والمربح لليابان اقتصاديًا) المُقدَّم من إدارة الحرب الأمريكية (وخصوصًا عبر قاعدة العبور في أوكيناوا). شَكَّلَت بِهيرِن المنظمة اليابانية الأولى من نوعها لحزب اليساريين الجدد؛ إذ تشابهت في تقديرها للجهود الفردية مع الحركات الناشئة المناهضة للفاشية في الغرب. لهذا لم يكن من المفاجئ أن ألقى كارل أوجلسبي Carl Oglesby ، الذي كان الرئيس الجديد للمنظمة الأمريكية "طلاب من أجل مجتمع ديمقراطي" Students for a Democratic Society، خطابًا في أول ندوة بطوكيو يوم الخامس عشر من أغسطس عام 1965 الذي يحمل أهمية رمزية؛ إذ يوافق الذكرى السنوية الـ 20 لاستسلام اليابان.

ظهر في تعامل بِهيرِن مع الإعلام وفي فهمها للرأي العام كيف تحرر أسلوبها بقوة

من أعمال العنف التي اضطلع بها تكتل التسينجاكورن المتطرف وكيف فضَّلت على ذلك اتباع أسلوب المناظرات الذي انتهجته حركة السلام الأمريكية – بما في ذلك بيان نشره اليابانيون في نوفمبر عام 1965 في صحيفة "نيويورك تايمز – New York Time" (تبعه تصريح آخر في بداية شهر أبريل عام 1967 في صحيفة "واشنطن بوست – Washington Post").

تطور التبادل بشكل مكثَّف في المقابل؛ إذ صار أكثر سهولة، فأصبح بمقدور النشطاء الأمريكيين في أثناء زياراتهم لليابان الرجوع إلى العلاقات التي كوَّنها عدد كبير من أتباع بِهيرِن في أثناء دراستهم بالولايات المتحدة الأمريكية. كان الحال مشابهًا فيما يتعلق باتجاه الضغط: إذ تمحور اهتمام حزب اليساريين الجدد الياباني حول التظاهر ضد سياسة الحكومة الأمريكية بشأن الحرب استنادًا إلى مبادئ الليبرالية الأمريكية، وليس ضد طريقة الحياة الأمريكية The American way of life. فكان شعارهم "مع أمريكا ضد أمريكا".

على غير المتوقع انساق جناح تسينجاكورن المناهض لتكتل يويوجي، ودخل إلى جانب شباب هانسين في خريف عام 1967 في معركة حقيقية مع الشرطة راح ضحيتها طالب للمرة الأولى منذ عام 1960. في حين شكلت "واقعة هانيدا" (التي سُميت نسبة إلى المطار الذي غادر منه رئيس الوزراء إيساكو ساتو في رحلته المثيرة للجدل إلى جنوب شرق آسيا) نقطة تحول، فكانت حدثًا ملحوظًا مؤقتًا توازى مع تفاقم حدة الاحتجاجات المناهضة لحرب فيتنام في جمهورية ألمانيا الاتحادية والولايات المتحدة الأمريكية، بل وأيضًا في إيطاليا وإنجلترا. حرص عندها تكتل تسينجاكورن، الذي كان مستعدًا لممارسة العنف، على مواصلة تأصيل هذا المزاج في الدولة في أقصر وقت. فوصل بأحد مناهضي الحرب، وكان في الثالثة والسبعين من عمره، أن أشعل النار في نفسه أمام منزل رئيس الوزراء يوم الحادي عشر من نوفمبر عام 1967 ، واندلعت أعمال الشغب مجددًا بالمطار في اليوم السابق لرحلة ساتو إلى الولايات المتحدة ("واقعة هانيدا الثانية").

استمرت الاشتباكات العنيفة بعدها بشهرين في مرفأ ساسِبو الواقع بجنوب اليابان حيث وصلت حاملة الطائرات الأمريكية "إنتربرايز – Enterprise" القادمة من خليج

تونكين والتي كانت حتى حينها تعمل بالطاقة النووية دون غيرها. وتسببت الأخبار التي أذيعت في التلفاز عن الصراع الدموي بين أعضاء تسينجاكورن الذين ارتدوا الخوذ وبنوا المتاريس وبين رجال الشرطة في إثارة اضطرابات دامت لأيام في اليابان بأكملها؛ إذ تظاهر في طوكيو وحدها 25000 شخص أغلبهم من الشباب؛ بل ونجحت مجموعة من الطلاب في الاعتصام داخل وزارة الخارجية. وقيل بالاستناد إلى الصور التي تعود إلى تلك الفترة أنهم شكلوا حافزًا للراغبين في الاحتجاج في جمهورية ألمانيا الاتحادية أن يخرجوا "بالآلاف" ليذهبوا إلى المتاجر المتخصصة كي يتزودوا بخوذ عمال البناء.[6]

عند النظر من حين لآخر إلى عام "68" في اليابان من الغرب: نجد أن الأحداث في الشرق الأقصى أكدت أن المظاهرات، التي ثارت تقريبًا في كافة أنحاء العالم حين ذاك ضد حرب فيتنام، كانت تتبع دافعًا أخلاقيًا مشتركًا؛ فإلى جانب الأسباب الوطنية الخاصة بكل دولة والدوافع المناهضة لأمريكا - زادت أو نقصت، وجدت الوحدة الضبابية للقيم التي اشترك فيها أطفال الحرب وأطفال ما بعد الحرب وسيلة للتعبير عن نفسها في هذه المظاهرات؛ إذ رغبت أجيالهم بسذاجة في اتباع نهج داع للسلام، وفردي، بل وغير سياسي في نهاية المطاف، غير أنهم أخذوا الافتراضات التي نشرها آباؤهم بعد عام 1945، على محمل الجد: لا حرب بعد الآن، ولا فاشية بعد الآن.

بخلاف ما حدث في أوروبا، استمر تصاعد عنف الاحتجاج المناهض لحرب فيتنام في اليابان بسبب تدخل تكتل تسينجاكورن العسكري منذ خريف عام 1968. وفي العام التالي، لما بقيت مساءلة تجديد معاهدة الأمن الأمريكية اليابانية (اتفاقية التعاون الأمني بين أمريكا واليابان) والمفاوضات حول إعادة أوكيناوا معلقة، كانت بالكاد هناك مظاهرة لم تصحبها اشتباكات؛ إذ نزل ما يقرب من نصف مليون شخص إلى الشوارع في أكتوبر عام 1969؛ بل إن هذا العدد ازداد مجددًا، فقارب ثلاثة أرباع مليون شخص في جميع أنحاء البلاد يوم 23 من يونيو عام 1970 احتجاجًا على توسيع عمليات القصف على كمبوديا.

في ذلك الوقت تجاوزت الثورة المندلعة في الجامعات ذورتها، وهي الثورة التي صاحبت الاحتجاج المناهض لحرب فيتنام في اليابان هي الأخرى. غير أنها حتى ذلك الحين فاقت

في بروزها كل ما كان يحدث في الجامعات الأوروبية والأمريكية في الوقت ذاته حتى غطّت عليه: سواء في مدى المشاركة أو في درجة العنف.[7] ويرجع السبب الأساسي وراء ذلك إلى درجة التنظيم العالية التي اتسمت بها الكتلة الطلابية اليابانية؛ إذ انضم في نهاية الستينيات ما يقرب من نصف الطلاب المقدر عددهم بـ 1,5 مليون إلى تكتل تسينجاكورن اليساري المتطرف[8]، الذي أدَّى انقسام أفراده المتساوي نوعًا ما إلى معسكرين متعاديين فكريًا إلى نشوء صراعات مربكة غالبًا، ولا مثيل لها في أي مكان آخر: ففي اليابان لم يقف الطلاب فقط ضد ممثلي الحكومة، بل وقف الطلاب اليساريون (تكتل يويوجي Yoyogi) في مواجهة الطلاب اليساريين (تكتل تسينجاكورن المناهض لتكتل يويوجي Anti-Yoyogi) – وفي تلك الأثناء حاربت المجموعات الطلابية اليمينية إلى جانب الشرطة.

ظهرت أولى دلائل الثورة الطلابية على النظام التعليمي السلطوي مُفرِط التوجه إلى تحسين مستوى الكفاءة، والمشابه للنظام المدرسي في بداية عام 1965 بجامعة كايو الراقية، التي هي أقدم جامعة خاصة في اليابان؛ إذ تسبب الإعلان عن زيادة المصروفات الدراسية في حدوث إضراب عن المحاضرات والحلقات الدراسية دام لأسبوعين ثم انتهى بالوصول إلى حل وسط. من ناحية أخرى كانت هناك النزاعات التي بدأت بُعَيد ذلك وامتدت حتى صيف عام 1966 بجامعة واسيدا؛ حيث وجدت مجموعة الطلاب اليساريين الجدد بأكملها، وكذلك الاتحادات الأرثوذكسية للحزب الشيوعي الياباني KPJ: تواصلت من هناك النزاعات التي كانت غالبًا ما تشتعل لأسباب تافهة نسبيًا، ولكن عزَّزها استياء ضارب في العمق على نحو بيِّن. حينها لعبت لجنة المقاومة اليسارية (تسينكيوتو- Zenkyoto)، التي لم تعد مُوجَّهة سياسيًا، دورًا حاسمًا.

كان لوصول الاحتجاجات إلى جامعة طوكيو الإمبراطورية سابقًا (طوداي - Todai) هي الأخرى في فبراير عام 1968 أهمية رمزية كبيرة، فهي أكثر جامعة مرموقة في البلاد ويَدرُس فيها حتى الآن صفوة موظفي اليابان. قامت الاحتجاجات إثر حادثة بسيطة في كلية الطب[9]، غير أن رد فعل إدارة الجامعة عليها جاء متطرفًا تمامًا فخلق بذلك دوامة التصعيد: استولت مجموعة نشطاء صغيرة على قاعة محاضرات ياسودا المركزية، فتبع ذلك تدخُّل من رجال الشرطة تسَبَّب بدوره في إضراب 10000 طالب (وهو ما يمثل أكثر من ثلثي عدد الطلاب المسجَّلين بالجامعة) لأجل غير مسمى ونتج عنه تأسيس لجنة مقاومة عامة (طوداي تسينكيوتو- Todai Zenkyoto).

حرصت تسينكيوتو منذ ذلك الحين على أن يتواصل التسييس المتنامي للكتلة الطلابية اليابانية التي اتسمت في كل الأحوال بالتنظيم العالي ليتجاوز نطاق جامعة الصفوة الواقعة بطوكيو، وكان السبب وراء هذا الحرص هو انضمام كثير من الشباب الذين انصرفوا قبلا عن تكتل تسينجاكورن إليهم. أدَّى ذلك إلى حدوث إضراب على مستوى جامعة طوداي بأكملها في أكتوبر عام 1968 وإلى استقالة رئيسها في النهاية. لكن، وكما يحدث في الغالب، ظهرت هنا أيضًا مشاكل جديدة بعد "الانتصار" على الخصم الذي صار تقليديًا – مثل المشاكل داخل حركة الإضراب التي أدت الاختلافات الأيديولوجية الموجودة فيها بين تكتل يويوجي وتكتل تسينجاكورن المناهض له إلى الصراع من أجل الهيمنة على الحرم الجامعي. ولم تصل صراعات الفصائل الطلابية في دمويتها ووحشيتها في أي مكان آخر إلى درجة أعلى مما وصلت إليه في جامعة طوداي، ولم تدُم في أي مكان مدة أطول مما دامت هناك.[10]

شعر الصحفي كلاوس مينيرت، الذي كان في اليابان حينها من أجل عمله في صحيفة "المسيحي والعالم – Christ und Welt"، كأن الوضع يذكره بتشكيلات عسكرية من العصور الوسطي، وذلك عندما زار طوداي في ديسمبر عام 1968 وراقب في حرم هونجو التشكيلات القتالية التي ذكرته بـ "التشيكلات الثنائية من المرتزقة المسلحين بالرماح": "وقفوا في صفوف جنبًا إلى جنب، مصطفين على سلالم المكتبة العريضة. ومن هناك تحدَّث قادتهم، كلٌ إلى صفه. واضطر كل قائد إلى الصياح كي يفهمه الآخرون؛ لأن كل جارٍ له كان يصيح بدوره. استخدموا حينها مكبرات صوت مدوية كالأبواق. ومثلما أبقى الفارسُ يومًا حاملَ الدروع إلى جانبه، كذلك أبقى كل منهم إلى جانبه من يحمل مكبر الصوت [...]. كانت ضوضاء جحيمية [...]. وركَّب بعض القادة الشباب على خوَذِهِم أقنعة قابلة للطي إلى أسفل مصنوعة من مادة الزجاج البلاستيكي؛ فبدوا كالفرسان أكثر من أي وقت مضى."

بالنسـبة للمشـاهدين مـن الخـارج كان فهـم الوضـع السـياسي في الجامعـات اليابانيـة حـق الفهـم أصعـب في جوهـره مـن وصـف عمليـات زحـف الثـوار بطقوسـهم التـي تشـمل ارتـداء الخـوذ، واسـتخدام الهـراوات، والرايـات؛ إذ دلَّـت مفـردات الثـورة عـلى ترابـط عالمـي – فأُخِـذ عـن اللغـة الألمانيـة مصطلـح "Sprehi-koru"، وكـما علِـم مينـيرت، كان هنـاك أيضًـا مقابـل

لكلمة Fachidiot التي تعني "مهووس بتخصصه ولا يعرف غيره" التي كان استخدامها مستحبًا حينها. غير أنه لم يمكن من السهل التعبير عما شكّل نواة هذا الوضع، ولا حتى من قِبل من لعبوا الأدوار الرئيسة فيه كما اتضح لمينيرت الذي يقول: "طلبتُ توضيحًا لما يعنيه مصطلح قوة الطلاب Student Power في هذا الموقف. وجاء الرد أن الأمر يتعلق بمَن لديه اليد العليا في حرم جامعة طوكيو مِن الطلاب: هل أنتم أم اليويوجي. أردت حينها بالطبع أن أعرف أين يكمن الفرق بين من يقفون في الصفوف المنتشرة أمامنا واليويوجي. [...]. كان الرد: اليويوجي شيوعيون. فصحتُ قائلا: "ظننت أنكم أنتم الشيوعيون!". فردّوا أن أجل بالتأكيد، هم شيوعيون، بل إنهم الشيوعيون الحق، أما اليويوجي فهم الشيوعيون المزيفون. ثم استأذنوا وولوا مدبرين. وجاء الرد مشابها عندما سألنا آخرين."[11]

تدخل رجال الشرطة في يناير عام 1969 بفرقة ضخمة نظرًا لتواصل الصراعات بين الفصائل في الجامعة المتوقفة عمليًا عن العمل منذ ما يقرب من عام، ففصلوا مجموعات الطلاب واقتحموا قاعة محاضرات ياسودا المحتلة أخيرًا. بذلك وعلى مرأى من الأمة بأكملها اكتمل الفصل الأخير من فصول الثورة بالجامعة الإمبراطورية، والذي تحصّن الطلاب في أثنائه وراء متاريس وألقوا زجاجات كوكتيل المولوتوف: فقد أذاعت ست من أصل سبع محطات تلفزيونية المعركة الأخيرة على الهواء مباشرة.[12]

انحسرت الاشتباكات بشكل كبير على مدار عام 1969، بعدما كانت قد انتشرت فيما يزيد عن 200 جامعة ومدرسة ثانوية ، لكنها بالكاد توسعت لتتخطى نطاق النظام التعليمي. ووفقًا للإحصاءات تسببت صراعات الفصائل فيما بين الطلاب اليساريين في إصابة ما يقرب من 5000 شخص ومقتل 44.[13]

وبالقياس على تلك الأرقام المأساوية فإن نتيجة الإرهاب الياباني، الذي انبثق من صراعات الحرم الجامعي الواهنة وقتال الشوارع المتدني وبرز في سبتمبر عام 1969 في شكل فصيلة من فصائل الجيش الأحمر (سيكيجونها - Sekigunha)، تكاد تبدو بسيطة: فبعد بضعة أسابيع اعتُقِل خمسون فردًا من أفراد عصابات المُدُن هؤلاء في أثناء تدريب لهم على إطلاق النار. وهاجر العديد من الأعضاء المتبقين في اتجاه ليبيا بعد حادث

اختطاف طائرة محيِّر في مارس عام 1970، في حين وقع آخرون ضحايا لعمليات إعدام بلا محاكمة من رفقاء منافسين. ثم هدأ الوضع بعدها بعامين، بعد القضاء على أحد الفصائل الفرعية.

وقد بدأ التنظير حينها عن مدى إمكانية النظر إلى الإرهاب اليساري باعتباره مشكلة حقيقة تخص قوى المحور السابقة من الحرب العالمية الثانية؛ إذ كان الاعتقاد السائد حينها أنه في هذه المجتمعات وحدها اتخذت ثورة الستينيات مثل تلك النهاية. وحتى عندما تتغافل تلك الأفكار عن إرهاب منظمة ويذرمين Weathermen من أمريكا الشمالية (الذي كان مرحليا دون شك) وكذلك عن الأعمال الإرهابية المرتكزة على تجارب الدكتاتورية الحالية (والأكثر ضراوة) بأمريكا الجنوبية، فلا يمكن إنكار أن الحركات الاحتجاجية في اليابان وإيطاليا وجمهورية ألمانيا الاتحادية ظلت تمس أعباء الماضي السياسية التي لم يرها أحد بهذه الحدة فعليًا في أي مكان آخر؛ إذ إن "ماضيًا لا يمكن تجاوزه" بخصوص عام "68" لم يكن موضع نقاش حقًا في فرنسا أو هولندا على سبيل المثال - مثالا ملموسًا على ذلك تقدمه قضية التعاون مع ألمانيا النازية وتبعاته على اليهود الأصليين والمهاجرين.[14] كان الوضع في إيطاليا على النقيض من ذلك تمامًا؛ إذ اعتبر الكثيرون هناك الفاشية أثناء سنوات الثورة ليس فقط عبئًا ثقيلاً من الماضي، وإنما أيضا مشكلة وخيمة العواقب في الحاضر.

إيطاليا

التطرف والتنافس على الإرهاب

باولو روسي هو اسم الطالب الذي تمثل وفاته في روما في اليوم السابع والعشرين من شهر أبريل عام 1966 البداية المظلمة لحركة احتجاجات مثيرة للدهشة ومعقدة في الوقت ذاته: بداية ثورة يسارية تطورت ببطء لكن امتد تأثيرها طويلاً، بدأت هذه الثورة في الجامعات وسرعان ما ضمت المدارس الثانوية وبلغت أوجها في المصانع، واعتمدت في حساباتها دائمًا على الفاشيين وانتهت بأعمال إرهابية لا هوادة فيها قام بها كل من اليسار واليمين ولم تُكشف خلفياتها وصلاتها ببعضها البعض كاملةً حتى اليوم.[15]

كانت وفاة طالب الهندسة المعمارية ذي التسعة عشر عامًا التي لم تُسبر أغوارها قط سببًا في سلسلة من الأحداث الدالة على إرث المقاومة[16]، وكانت وفاته إثر اشتباك مع زملاء منتمين إلى الفاشيين الجدد – بعد مرور ثمان وأربعين ساعة على العيد القومي في الخامس والعشرين من أبريل الذي يُحتفل فيه بذكرى الثورات الكبرى لقوات المقاومة الشعبية (البارتيزان) في شمال إيطاليا في ربيع عام 1945.

ترجع خلفية الاشتباكات إلى اقتراب موعد انتخابات برلمان الطلاب في جامعة سابينزا – أكبر جامعات إيطاليا – وخوف شباب الحزب الفاشي من زوال نفوذهم. في صباح اليوم التالي لوفاة الطالب شارك أكثر من 2000 طالب وأستاذ جامعي ومعيد في اجتماع عام لكلية الفلسفة، كما حضر حوالي أربعة وعشرون نائبًا في البرلمان مما يبرز أهمية هذا الحدث الذي فُسر على الفور تفسيرًا سياسيًا خاصًا: "في يوم مولد المقاومة ضحية جديدة للفاشية" هذا الشعار كان على اللافتات التي حملها الطلاب والتلاميذ في مسيرات احتجاجية عبر البلاد.

قبـل مـدة طويلـة سـاد شـعور مبهـم بعـدم الرضـا عـن الأحـوال السياسـية والاجتماعيـة بـين الطـلاب الإيطاليـين الأكـثر إدراكًا، فمـن تنقـل في البلـد بعيـون مفتوحـة مـرة واحـدة أو عـرف القليـل عـن أوروبـا خـلال العقـود الرومانيـة، أدرك مـدى تأخـر أجـزاء واسـعة مـن إيطاليـا مـن حيـث الاقتصـاد والبنيـة التحتيـة وكذلـك العقليـة، خاصـة وأن جنـوب إيطاليـا اسـتفاد بالـكاد

من الطفرة الاقتصادية التي حدثت في العقود التي تلت كلا الحربين العالميتين؛ حيث أعاقت الهياكل العتيقة هناك التطور كما اعتادت أن تفعل من قبل، كما عانى الشمال أيضًا من مشاكل ليس فقط بسبب عنف اليمين المتطرف الذي اتضح مرارًا وتكرارًا، وإنما انتقد الأفراد الأكثر حساسية من الجيل الشاب (وأحيانًا من لم يعودوا شبابًا مثل بيير باولو بازوليني[17]) أيضًا تكاليف الرأسمالية الحديثة التي أدت من وجهة نظرهم إلى "نزعة استهلاكية" غير واعية وتدمير للموروثات الثقافية القديمة من جهة والإبقاء على الظلم الاجتماعي والامتيازات من جهة أخرى.

كما شعر الكثيرون بالمعاناة من اصطدامهم المستمر بالهياكل السلطوية غير الديمقراطية في المدارس والجامعات وبنقاط الضعف المزمنة لنظام تعليمي قديم؛ لأنه من وجهة نظر المتضررين لم يعالج الإصلاح المدرسي في عام 1962 - الذي كان قد أدى خلال نصف عقد إلى مضاعفة أعداد الطلاب - نقاط الضعف هذه وإنما زادها سوءًا[18]؛ حيث سرعان ما ظهرت نسبة بطالة عالية واضحة بين الأكاديميين؛ فقد بلغت نسبة خريجي الجامعات الذين لم يعثروا على وظيفة مناسبة تقريبًا الخمس في نهاية العقد، في حين تضاعف الإحباط وخيبة الأمل لدى الطلاب المنحدرين من أسر بسيطة الذين تعيَّن عليهم العمل أثناء الدراسة لكسب أقواتهم.

في ربيع عام 1965 طرحت حكومة ائتلاف الوسط مع اليسار برئاسة ألدو مورو خطة إصلاح أخرى (مشروع قانون 2314) من شأنها تقليل مدة التعليم الجامعي وتوجيهه لتلبية متطلبات الاقتصاد بشكل أكبر، لكن هذا المشروع بدا من وجهة نظر الطلاب أنه سيزيد الظروف الدراسية سوءًا بدلاً من أن يتيح إمكانات المشاركة الديمقراطية كما كان المأمول منه، من ثم أطلق هذا المشروع شرارة البدء لاحتجاجات مستمرة[19]، لكن كان هناك مسببات أخرى للغضب: بالكاد رأى الطلاب في معظم الجامعات أساتذتهم وكان التدريس أشبه بالمدرسة وروتيني وغير منظم جيداً – وهو أمر لا يكاد يدعو للدهشة نظرًا للأعداد القليلة من الأساتذة كما كانت في السابق ورواتبهم الهزيلة، في عام 1967 كان عدد الطلاب خمسمائة ألف طالب مقابل ثلاثة آلاف أستاذ جامعي، وكان التعليم في المواد الطبية كارثة؛ فبدلاً من التدريس في عيادات الجامعة المزودة بأجهزة قديمة فضَّل كبار الأطباء العيادات الخاصة الفارهة.[20]

لكن يتضح من كتيب "خطاب إلى مُعلمة" الشهير- الذي كان تلاميذ مدرسة في قرية بإقليم توسكانا قد كتبوه تحت إشراف معلمهم وراهبهم الكاثوليكي اليساري لورينزو ميلاني[21] - أن المشكلات لم تبدأ في الجامعات، فقد صدر هذا الكتيب عام 1967 ووجه أصابع الاتهام إلى الطبقية وأدعياء التدين والظلم الاجتماعي في نظام المدارس الإيطالية – وأصبح نصًا مقدسًا للحركة الطلابية الصاعدة وعلامةً مميزةً لمناهضي السلطوية[22] – ويمكن مقارنته بكتاب عالم التربية التقدمية الاسكتلندي ألكسندر نيل (Summerhill)[23] الذي صدر في جمهورية ألمانيا الاتحادية بعده بعامين.

قام الطلاب في ترينتو[24] بدور رائد في الكفاح من أجل جامعات أكثر دعمًا للحراك الاجتماعي واعتراضًا على مشروع قانون 2314، وفي عام 1962 أُنشئ هناك المعهد العالي للعلوم الاجتماعية (Instituto Superiore di Scienze Sociali) – الذي يقبل خريجي المدارس الثانوية التقنية أيضًا - طبقًا للنماذج الأمريكية، وكان ذلك محاولة لمواجهة واحدة من السلبيات النموذجية للجامعات الإيطالية: قلة التواصل بين المعلمين والطلاب، في ذلك الوقت أصبح الشعور المتنامي بالثقة بالنفس لدى الطلاب وتوجيههم إلى اليسار الجديد واضحًا في ترينتو على وجه الخصوص؛ حيث كان الاستعداد للإضراب هنا أسرع منه في أي مكان آخر، وبالفعل دعت في أكتوبر1966 مجموعة حديثة بعيدة عن اتحادات الطلاب التقليدية تدعى الحركة الطلابية في ترينتو ((Movimento Studentesco Trentino)) إلى المشاركة في "الجامعة السلبية" التي يعد من أهم قواعد مناهضتها للسلطوية: التجاوزات الواعية للحدود.

وفي الفصل الدراسي ذاته أصبح واضحًا أن موجة الاحتجاجات الجامعية الصاعدة في إيطاليا سطحية – تختلف في ذلك عن نظائرها في جمهورية ألمانيا الاتحادية أو فيما بعد في فرنسا، كانت معارضة الإصلاح الجامعي المخطط له هنا قوة محركة لحشد الطلاب؛ حيث شاركت في أسبوع الإضراب الذي دعت إليه لجنة الجامعة (Comitato Universitario) في فبراير 1967 الجامعات في جنوة، وبادوفا، وبولونيا، وبيروجيا، وبافيا، وفلورنسا، وتورينو، وميلانو، وروما، ونابولي، وباليرمو، وكاتانيا، وفي بيزا حيث تصاعدت الأمور في الربيع التالي لتصل إلى الاعتصام في قصر جامعة سابينزا (Palazzo della Sapienza) الذي أنهاه رئيس الجامعة بالاستعانة بالشرطة. احتوت أطروحة جامعة سابينزا (Tesi

della Sapienza) - التي كُتبت أثناء تلك الأيام وانتشرت بعدها انتشارًا واسعًا – نصائح طلاب اليسار الجديد الذي يتبع إلى حد ما تصورات حركة العمال الماركسية – الأناركية التي تختلف منذ نشأتها في بداية الستينيات بشدة مع الحزب الشيوعي الإيطالي[25](PCI).

رغم تلك التصريحات الداعمة لحركة العمال المناهضة للسلطوية بطريقتها الخاصة والمنفصلة عن الشيوعية المتشددة اهتمت حركة الطلاب الإيطاليين في المقام الأول بالجامعات ذات الأوضاع السيئة، مما يفسر أيضًا انتباههم المتأخر نسبيًا للحرب في فيتنام، في حين أعرب الوسط اليساري الكاثوليكي وبالطبع الحزب الشيوعي الإيطالي عن غضبهم من الحرب الأمريكية استغرق الأمر حتى ربيع 1967 قبل نشوب احتجاجات في الجامعات – أولاً في الجامعة الكاثوليكية في ميلانو ثم في فلورنسا حيث حادت مظاهرة كبيرة في الثالث والعشرين من أبريل 1967عن غرضها المعاصر: كان خبر الانقلاب الذي قام به كبار الضباط اليونانيين قد انتشر منذ ما لا يزيد عن يومين.

بعد الأجازة الصيفية سرعان ما انتشرت الاحتجاجات متعددة الأسباب[26]، كانت البداية مرة أخرى في ترينتو، حيث بدأ علماء الاجتماع "إضرابًا نشطًا" في الأول من نوفمبر 1967 – كانت الجلسة الختامية لقانون الجامعات في البرلمان على وشك الانعقاد، بعدها بحوالي ثلاثة أسابيع أضرب طلاب الجامعة الكاثوليكية في ميلانو احتجاجًا على زيادة الرسوم الدراسية، تبع ذلك تحركات جديدة في تورينو، وهناك اتخذ الاعتصام في قصر الجرس (Palazzo Campana) أشكالاً وأفكارًا ذكَّرت المراقبين المعاصرين ببيركلي.[27]

تشير مثل هذه الإحالات إلى أن النشطاء الإيطاليين اعتبروا أنفسهم في ذلك الوقت جزءًا من حركة عالمية، وكان منظِّرو اليسار الجديد الأمريكي والبريطاني والفرنسي محل اهتمامهم – كما ورد في مجلة كوادرني بياتشينتيني (Quaderni Piacentini)، وتوجهت أنظارهم إلى الأحداث في برلين وفي الولايات المتحدة الأمريكية وأيضًا في أمريكا اللاتينية على وجه الخصوص: ينقلها لهم الناشر جيانجياكومو فيلترينيلي (Giangiacomo Feltrinelli)، الذي روج بحماس لمسألة الثورة ونجح في تحقيق أرباح من ذلك (وكان أيضًا عضوًا في إحدى الجماعات المسلحة وتوفي عام 1972 أثناء الإعداد لهجوم بالمتفجرات).[28] إلى جانب فيدل كاسترو حظى تشي جيفارا بمكانة خاصة، حيث طبعت دار نشر فيلترينيلي كتاباته

طبعات كثيرة منذ عام 1967، وشُبه "بالمسيح المُعذب"[29] واشتهر في إيطاليا أكثر من أي بلد مهتم بالثورة في الغرب.

كان فيلترينلي ابن الطبقة الوسطى العليا المتحضر من ناحية أخرى مثالاً للتبادل العالمي والتواصل: كان لديه اتصالات جيدة برودي دوتشكه ودعم اتحاد الطلاب الاشتراكي الألماني (SDS) ببرلين ماديًا (مثل رودلف أوجشتاين وجيرد بوسيريوس) أثناء الإعداد لمؤتمر حرب فيتنام الكبير؛ عندما توجه إلى هناك في فبراير 1968 كان معه بضع أصابع ديناميت لمضيفيه.[30]

بعد أسابيع قليلة تصاعد العنف في إيطاليا، حيث قامت الاستراتيجية المناهضة للسلطوية الخاصة بمجموعة سُلطة الطلاب (Potere Studentesco) المتأثرة بهيربرت ماركيوز بالحشد على مستوى البلاد؛ شارك التلاميذ أيضًا – خاصة في المدن التي بها جامعات - في الإضراب، وفي بداية مارس بلغت "سلطة الطلاب" في روما ذروتها – قبل برلين وقبل باريس بمدة طويلة، في الوقت ذاته كانت موقعة فالي جوليا (Valle Giulia) في الأول من مارس 1968 نقطة تحول أيضًا.[31]

اشتعلت الثورة في جامعة سابينزا إثر ظهور مثير للدهشة لرئيسها المناهض للتقدم: أعلن بيترو أجوستينو دي أفاك عبر مكبر صوت أمسكه في يده الإلغاء الفوري لقانون طالب به الطلاب وأقرته كلية الفلسفة بالفعل – وهو قانون حقق شفافية أكثر في الامتحانات، ولم يكتف بذلك بل هدد كل من لا يغادر حرم الجامعة فورًا بقوات الشرطة التي تقدمت بألف وخمسمائة شرطي. غادر المعتصمون بالفعل وتواعدوا على التجمع في الصباح التالي على السلم الإسباني، ومن هناك انطلق الآلاف باتجاه كلية الهندسة المعمارية ليجتمعوا في حديقة فيلا بورغيزي (Villa Borghese)، وفي الطريق قاوم الطلاب مجموعتين من الفاشيين، وفي النهاية واجه الطلاب قوة خاصة تابعة للشرطة مسلحة على أعلى مستوى وهاجموها بالحجارة، استمرت الاشتباك ساعتين، نظرًا لشدة الاشتباك كان الأمر بمثابة معجزة أن ضابطًا واحدًا فقط أطلق رصاصة في الهواء، بنهاية اليوم بلغ العدد مائة وستين مصابًا من قوات النظام ومئات من الطلاب الذين أسيئت معاملتهم، لكن كان هناك ما هو أصعب: منذ فالي جوليا لم يعد نشطاء الحركة يتراجعون خوفًا عند استخدام

العنف معهم، من ذلك الوقت فصاعدًا ظهرت نسخة إيطالية من شعار فيتنام الخاص بتشي جيفارا الذي يستدعي للذاكرة أحداثًا عنيفة: "اثنان، ثلاثة، العديد من فالي جوليا" (due, tre, molti Valle Giulias[32]).

لكن أين كانت تكمن نقطة التحول؟ من ناحية فقدت سلطة الطلاب السبب الرئيس لغضبها عندما فشل إقرار قانون 2314 في البرلمان بشكل مفاجئ، ومن ناحية أخرى كلفها اندلاع العنف في جامعة سابينزا – الذي تكرر بعدها بقليل في ميلانو – الكثير من التعاطف، بعدها انسحبت الأغلبية النفعية من المحتجين الذين كانت مطالبهم تدور بالفعل حول تحسين ظروف دراستهم في المقام الأول، لم تستطع صيغ التحريض الجديدة التي نقلها المحتجون من نظائرهم الألمان – مثل حملة دار نشر سبرينجر ضد صحيفة لا ستامبا (La Stampa) في تورينو[33] أو فكرة الجامعة الناقدة – وقف تراجع الحركة الطلابية، نظرًا لهذا الاهتمام المتراجع بحث النشطاء المتطرفون بطرق مختلفة عن مجالات لنشاطهم خارج الجامعات، وانتهى بهم بحثهم إلى المصانع.[34]

بالتوازي مع ثورة الطلاب حدثت توترات اجتماعية كبيرة في إيطاليا في طبقة العاملين في مجال الصناعة ولم تستطع النقابات التابعة للحزب السيطرة عليها، فنتيجة لتدفق قوى عاملة من الجنوب الزراعي إلى المدن الكبرى في شمال إيطاليا نشأت منذ الخمسينيات طبقة بروليتارية صناعية جديدة لم تتأقلم جيدًا على الصعيد الاجتماعي الثقافي، عُين عمال هذه الطبقة على خطوط الإنتاج والتجميع خاصةً وخضعوا لأساليب تأديبية صارمة وعانوا غالبًا من ظروف معيشية صعبة، رأى مُنظّرو جماعة سلطة العمال (Potere Operaio) في أفراد هذه الطبقة الدنيا من العمال محتجين محتملين يتوجب تحريضهم على عكس الحزب الشيوعي الإيطالي (PCI) وغيرها من منظمات طبقة العمال الجامدة من وجهة نظرهم، وأرادوا حشدهم بمساعدة مجموعات صغيرة من "الطلاب العاملين".[35]

بـــدا التعـــاون بـــين العـــمال والطـــلاب واعـــدًا؛ حيـــث كان عـــدم الرضـــا وعـــدم الصـــبر عـــلى ظـــروف العمـــل غـــير الآدميـــة واضحًـــا جـــدًا في المناطـــق الصناعيـــة: أشـــار الإضراب العـــام الـــذي دعـــا إليـــه الاتحـــاد العـــام للعـــمال في إيطاليـــا ذو الفكـــر الشـــيوعي الاشـــتراكي CGIL (Confederazione Generale Italiana del Lavoro) في السابع من مارس 1968 – اعتراضًا على إصلاح

نظام المعاشات الذي خططت له الحكومة – إلى استعداد "الطبقة العاملة" للحشد.

خلال الإضراب العام أثارت مبادرة طلابية اهتمامًا واسعًا لدى مصنع فيات في تورينو، وتشكل هناك في بداية الصيف اتحاد الطلاب والعمال [36](Lega Studenti e Operai).وكان العمال – ذوو الأغلبية غير المتعلمة وغير المنتمين إلى النقابات - في مجمع البتروكيماويات بورتو مارغيرا (Porto Marghere) القريب من فينيسيا مستسلمين لأوضاعهم حتى ظهر طلاب في يونيو لمساندتهم في كفاحهم العنيف من أجل أجور وظروف عمل أفضل، وفي مصنع بيريللي في ميلانو طور القادة غير الرسميين لتحالف الطلاب والعمال (Comitato Unitario di Base) شكلاً من أشكال عرقلة العمل (Autoriduzione) كان من المفترض تطبيقه رغم معارضة النقابات وتعميمه قريبًا في مجموعة كبيرة من المصانع الواقعة شمال إيطاليا.

منذ ربيع 1969 لم يسد الهدوء مصنع فيات ميرافيوري في تورينو، ولم يكن الوضع في أماكن أخرى أفضل كثيرًا؛ إذ كانت الطبقة البرجوازية في إيطاليا مصدومة: في الثاني والعشرين من يونيو تصدر غلاف مجلة إيبوكا (Epoca) العنوان التالي: "لا يمر يوم دون نشر الصحافة لأخبار عن فضيحة جديدة أو إضراب أو اعتصام جديد"[37]، بعد مرور أسبوعين شهدت تورينو "موقعة كورسو تريانو"، حيث فضت الشرطة تجمعًا للعمال والطلاب بعد سلسلةٍ من الاعتصامات القصيرة المؤثرة التي استمرت عدة أيام، وفي النهاية تدخلت الحكومة في بداية سبتمبر على خلفية "اجتماع قومي للطليعية المستقلة" التي حاولت شل حركة شركة فيات من خلال إضرابات وتخريبات على مستوى البلاد، بدأ "خريف ساخن" في إيطاليا.

تجلى عنف الاشتباكات الشديد بأوضح صورة في مصنع بيريللي في ميلانو؛ حيث ضرب عمال رؤساءهم وصاح خطباء هدفهم تهييج العمال بعبارات تشبه المصنع بفيتنام: "The factory is our Vietnam"[38]، في مثل هذه الأجواء المشحونة تجددت الاشتباكات مع الشرطة في الشوارع: سواء أثناء مظاهرة ضد شبكة راي (RAI) (صوت الرؤساء) التي اتهموها ببث الأخبار بثًا منحازًا، أو أثناء مظاهرة من أجل بناء أفضل لمساكن الإسكان الاجتماعي دعت إليها النقابات التي اتخذت موقفًا دفاعيًا، أثناء هذه المظاهرة توفي شرطي

في الثامن عشر من نوفمبر 1969، وشارك عشرة آلاف مواطن في جنازة ممثل سلطة الدولة، وإذا أخذنا في الاعتبار الأحداث السابقة فإن هذه المشاركة كانت تحمل إشارة ما.

بعد ما يقرب من شهر توفي ستة عشر شخصًا – أيضًا في ميلانو – إثر انفجار قنبلة في البنك الوطني الزراعي في بيازا فونتانا[39]، سرعان ما أُلقي القبض على أناركي معروف في المدينة[40] سقط أثناء استجوابه من الطابق الرابع لمبنى الشرطة في ظروف غامضة لم تُكشف حتى الآن، وبعد ما يزيد عن ثلاثين عامًا مثُل ثلاثة فاشيون زُعم أنهم ارتكبوا اعتداء يوم الثاني عشر من ديسمبر 1969 أمام القضاء، واعتُبر الرابع – قيل إنه مخبر سابق لوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية - شاهد ملك في القضية، يتضح من ذلك أن المخابرات الحربية الإيطالية كان لها يد في اللعبة.[41]

تجمع ثلاثمائة ألف شخص في وسط مدينة ميلانو؛ لإحياء ذكرى ضحايا التفجير، وهو ما يُعد دليلاً واضحًا على رفض الثورة نظرًا للافتراض الرسمي في ذلك الوقت بأن مرتكبي الاعتداء منتمون إلى اليسار المتطرف، قبيل عيد الميلاد المجيد اتفقت النقابات مع المصانع على تسوية أجور العاملين في صناعة المعادن مما قلل من شرعية ما يقوم به اليسار المسلح. انتهى "الخريف الساخن"، لكن "الأعوام الرصاصية" للإرهاب كانت في انتظار إيطاليا.

اعتمدت حسابات قيادات سلطة العمال وبعض نشطاء حركة الطلاب السابقين - الذين اختفوا فيما بعد - عندما مارسوا الإرهاب اليساري على أن يجدوا في إيطاليا - بوصفها بلدًا يظهر فيه الاستقطاب السياسي بوضوح – تفهمًا أكثر مما يمكن أن يجدوا في جمهورية ألمانيا الاتحادية، فمن اعتبر نفسه مناهضًا للفاشية في إيطاليا – ويجب ألا يكون من المثقفين وألا يكون عضوًا بالحزب الشيوعي الإيطالي (PCI) – لم يقلقه في البداية متطرفو اليسار بقدر ما أقلقته هجمات الفاشيين الجدد التي تخلف الكثير من الضحايا، اتبع الفاشيون الجدد استراتيجية باردة لإثارة التوتر (strategia della tensione) وكان لهم في المقابل داعمون في كافة قطاعات الدولة.[42]

حتى الآن تُفسر أحداث "68" في إيطاليا على أنها مجموعة أحداث سياسية معقدة في المقام الأول وبداية لعقد مُحمل بالعنف، ارتبط هذا التفسير غالبًا بالنقل المبكر للثورة

من الجامعات إلى المصانع مما كان له أثر بعيد المدى، ثم بالإرهاب الذي مارسته منظمة الألوية الحمراء (Brigate Rosse) في السبعينيات، يتراجع في المقابل إدراك التغيرات الثقافية الكثيرة التي نشأت في ذلك الوقت – كما هو الحال في فرنسا، تطورت مفاهيم الثقافة المضادة والتغيرات الناشئة على صعيد المجتمع المدني في إيطاليا متأخرةً مقارنةً بمجتمعات غربية أخرى، حيث تأخر ذلك التطور في إيطاليا ما يقرب من عقد عن نظيره في هولندا على سبيل المثال.

هولندا

المستفزون والأقزام (البروفو والكابوتر)

أما في حالة هولندا فيتضح وبشكل خاص أنه من الخطأ حصر معنى "68" وروحها في هذا العام من التقويم فقط، فإسهام تلك الدولة الصغيرة في حركة الاحتجاجات لم يكن ضئيلًا، وبشكل أو بآخر لايمكن تأريخه وحصره فقط في هذا العام الذي قد يكون قد غير كل شئ في الغرب.

إذ خرجت إلى النور في مايو 1965 حركة أطلقت على نفسها اسم "المستفزون- Provos"، وأطلقت بعد إعلان تدشينها بشهرين الإصدار الأول لجريدة خاصة بها، كانت تحمل الاسم نفسه "المستفزون" Provos. وعلى الرغم من ظهور هذه الحركة الاحتجاجية فإن الحركة الطلابية في هولندا لم تؤخذ فعليًا على محمل الجد إلا مع بداية ظهور حركة كابوتر (تعني الأقزام بالهولندية) المثيرة للدهشة في العام 1969، وقد ظلت هولندا بمنأى عن حالات اندلاع العنف التي تذكرنا ولو بشكل مختصر بما عانته إيطاليا أو ألمانيا أو فرنسا من أحداث عنف في هذه الفترة، وإذا ما نظرنا إلى الأمر برمته فيمكننا القول إن هولندا كانت تمثل "القوة الناعمة" للثورة في الغرب وذلك دون أدنى مبالغة.[43] فلم تنعكس تلك الروح المضادة للثقافة السائدة في فترة الستينيات بهذا الشكل في أي مدينة أوربية أخرى مثلما انعكست في العاصمة الهولندية أمستردام، حيث تركزت تقريبًا كافة العناصر المؤدية لمثل هذه الحاله، (أما العاصمة الدانماركية كوبنهاجن التي قد يكون ما زال البعض يرى فيها في هذا الشان ساحة بديلة لأمستردام فلم تعرف برمزيتها بوصفها "دولة كرستيانا الحرة" إلا في عام [44]1971.

وقد يعد اعتبار مطالبات حركة البروفو الداعية لتغيير ثوابت المجتمع على أنها تصورات مثالية وساذجة لتحسين العالم يدعو إليها جيل من الطلاب نشأ نشأة مترفة ومرفهة، والميل إلى اعتبارها مناوشات غير سياسية بناءً على ذلك ماهو إلا فهمًا خاطئًا للأمر. وبغض النظر تمامًا عن أن بعض نشطاء هذه الحركة كانوا فعليًا في العقد الثالث

من العمر أي أنهم ولدوا حتى قبل احتلال ألمانيا لهولندا، مما يعني أنهم لم يعودوا طلابًا في منتصف الستينيات فجزء منهم كان لدية قدر لا بأس به الحنكة السياسية؛ إذ نجد على سبيل المثال أن حركة مسيرة السلام في عيد الفصح التي كانت من الحركات النشطة في هولندا أيضًا في فترة نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات والتي تحولت إلى قوة لها ثقلها من خلال تظاهرها تحت شعار "لا للسلاح النووي" كانت واحدة من الكيانات المؤسسة التي شكلت حركة البروفو في أمستردام. كما أن جزءًا من أفراد حركة البروفو كانوا ينتمون إلى إحدى الجماعات الأناركية أو الفوضوية التي كانت تؤيد فنان النزعة الحدثية روبرت جاسبر جروتفيلد الذي كان مناهضًا لوقوع الإنسان فريسة لسيطرة الفكر الاستهلاكي على البشر، حتى أنه أُطلق عليه مثلاً لقب "الساحر المناهض للتدخين" وذلك عندما ابتدع في صيف عام 1964 طقس الوقوف سلميًا كل سبت في منتصف الليل حول تمثال الفتي (هيت ليفردي) الذي يقع في وسط مدينة أمستردام، والذي نصبه أحد مُصنعي التبغ.

وعلى الرغم من أن أفراد حركة البروفو البسيطة من الناحية التنظيمية وكما يتكشف لنا من اسم الحركة كانوا مجموعة من المستفزين أكثر من كونهم محللين للمجتمع وأحواله، فإن غايتهم كانت واضحة؛ فكانت تتمركز حول السعي نحو استقلالية الفرد، كما كانوا يهدفون إلى عرقلة تقدم الرأسمالية عن طريق السخرية أكثر منها عن طريق الاحتجاج على أشكال سيطرة الرأسمالية على المجتمع. ويمكننا القول إن سعيهم الرئيس كان يتلخص في تحرير المجتمع من خلال تحقيق حرية الذات. فلم يكن هدفهم الثورة وإنما المقاومة الجادة ذات الدفعة السريالية العبثية في كل الأحوال.

ولم يقف انتماء أفراد حركة البروفو المُعلن صراحةً إلى المدرسة الواقعية في الفن[45] حائلاً أمام تقديمهم دائمًا مقترحات عملية للغاية تهدف إلى تحسين المجتمع وذلك مثل ما أسموه مشروع الخطط البيضاء)[46]، التي كان من أشهرها "خطة الدراجات البيضاء" (والذي ما زال يطرح كتصور قائم حتي يومنا هذا)، وكان هذا المشروع قائمًا على توفير دراجات هوائية مطلية باللون الأبيض للمواطنين في وسط مدينة أمستردام للاستخدام المجاني، وكان الهدف المنشود من ذلك هو حل كافة المشكلات المرورية.

كما كان من ضمن تلك الخطط البيضاء ذات الطابع السلمي أيضًا مقترح استغلال المنازل والغرف المهجورة أو تلك المهددة بتحويلها إلى مكاتب بالإضافة إلى فكرة الحد من تزايد تلوث الهواء الناجم عن استخدام المداخن الخاصة التي لا تعمل بالكفاءة اللازمة وأيضًا مقترح بيع حقوق التلويث. كما كان التنوير وتقديم المشورة الجنسية أيضًا من ضمن خطط حركة البروفو (الخطة البيضاء للمرأة) وذلك بالإضافة إلى المقترح الخاص بكيفية التعامل مع ضحايا الحوادث المرورية. فبعدما رفض مجلس بلدية أمستردام مشروع الحركة الخاص بالدراجات أعلنت الحركة عن مقترح مفاده أن يقوم سائق السيارة "القاتل" بإزالة أثار مكان وقوع راكب الدراجة التي تسبب في مقتله من على الأسفلت وأن يقوم بصب الأسمنت الأبيض في هذا المكان حتي يكون ذلك تحذيرا لسائقي السيارات يذكرهم بضرورة القيادة الآمنة.

كما طالبت حركة البروفو في نهاية مشروعها بتطبيق "خطة الديوك البيضاء"، وكان وصف الديك يُطلق على أفراد الشرطة في اللغة الهولندية الدارجة. وكانت هذه الخطة قائمة على المطالبة بتغيير زي أفراد شرطة أمستردام علاوة على تأهيلهم بشكل جذري للتعامل مع التظاهرات السلمية لأفراد حركة البروفو.

وترجع خلفية هذا المقترح إلى ماحدث في شهر مايو في عام 1966 أثناء حفل زفاف الأميرة بياتريكس والألماني كلاوس فون أمسبرج الذي كان يُلقب في السابق بتلميذ هتلر النجيب، حيث تظاهر أفراد حركة البروفو ضد عرض موكب العروسين في شوارع العاصمة الهولندية أمستردام التي كانت ذات أغلبية يهودية في هذه الفترة وأعلنوا عن خططهم لمقاطعة الموكب. وقد هاجمتهم الشرطة إثر إلقائهم لقنابل دخانية. وقد وصفت حركة البروفو هذا الهجوم "بالمذبحة". وكان فنانو حركة البروفو يرغبون في تناسي هذه الذكريات الأليمة فيما بعد باللجوء إلى جلسات العلاج النفسي القائمة على الفضفضة. وتمثلت رمزيتهم الواضحة في هذا المقترح بأن : "الديك الأبيض سيكون حمامة السلام للمحتجين."

وقد مثلت تلك الأفعال المفعمة بالخيال خلال عام 1966 ذروة الازدهار القصير الذي عايشته حركة بروفو التي كانت سلمية لأقصى درجة، لاسيما بعدما ركنت الشرطة عن عمد

إلى التخفيف من حدة التصعيد والمناوشات مع الحركة؛ إذ أدركت قواعد اللعبة بالنسبة للأحداث. وبعد فترة من الظهور المثير للانتباه وتحول الحركة وأفرادها بمظهرهم الذي يتميز بالشعر الطويل والقمصان البيضاء إلى محور للتغطيات الصحفية الدولية واسعة الانتشار خفت اهتمام وسائل الإعلام بهم، حتى أن رسامي هذه الحركة أنفسهم قد شعروا بالملل من الأمر وذلك بعدما لم تلق دعوتهم إلى تأسيس "مجلس البروفو" الصدى الكافي وأعلنوا من ثم في 13 مايو 1967 في إشارة ناقدة للذات ومثيرة للسخرية عن نهاية حركة البروفو :"موت البروفو" The Death of Provo.

وبعد انتهاء حركة البروفو بعامين تقريبًا ظهرت حركة الكابوتر وذلك عندما أعلن أنصارها قيام "دولة أورانج الحرة" في فبراير 1970. وقد اعتمدت هذه الحركة الساذجة كسابقتها على السبل المناهضة للاستبداد واللامركزية في التنظيم، وعلى الرغم من أن اختيار أنصار الكابوتر لأسلوبهم في التعامل مع الأمور كان يبدو أكثر ميلا للسلمية عن البروفو غير أنهم كانوا أكثر تفهمًا من البروفو للمشكلات الحقيقية التي يواجهها المواطنون على أرض الواقع، وسعوا إلى حلها بطرق غير تقليدية، فقاموا على سبيل المثال بتحويل الأراضي المهجورة وبشكل بسيط إلى ساحات للأطفال وذلك حل لنقص الأماكن المتوفرة كملاعب للأطفال، كما زينوا الشوارع والأزقة بأحواض الزهور وصادروا البيوت المهجورة. أما ما زاد من شعبية الكابوتر فهو ما نجحوا في الوصول إليه في النهاية لا سيما حصولهم على نسبة إحدى عشر بالمئة من نسبة الأصوات في انتخابات بلدية أمستردام في يونيو 1970 وفازوا بخمسة مقاعد في مجلس بلدية المدينة، علاوة على ذلك فقد اختير راؤول دوين وهو أحد زعماء الحركة ليصبح عضوا في مجلس الشيوخ في هولندا[47].

ويرجع السبب في أن الأحداث التي حركت هولندا في فترة ما قبل "68" وما بعدها لم تتخذ منحى متطرفًا أو حتى إرهابيًا إلى حالة التسامح الخاصة بهذا المجتمع بلا أدنى شك والتي برزت في ذلك الثبات المبهر الذي كانت تبدية السلطات الأمنية في البلاد أنذاك. كما كان لذلك الحس الساخر والعملي في الوقت ذاته دور في الأمر والذي كان يتجلي دائمًا في فعاليات حركة البروفو الحمقاء بعض الشئ وهو نفسه الذي منح حركة الكابوتر لبعض الوقت انتشارًا على المستوى المحلي في هولندا بأكملها.

كما كان المحتجون يهتمون على أية حال بالمبادرات الجيدة أكثر من اهتمامهم بحتمية تحقيق أهدافهم أو مطالبهم، فنجد أن كافة الحركات والمبادرات كانت تركن إلى تعريف نفسها في المقام الأول من خلال موقفها الرافض لقيم المجتمع وثوابته من حولها وقليلاً ما كانت تروج لنفسها من خلال عرض آلياتها للتمثيل السياسي في المجتمع، إلا في حال رغبتهم في الحصول على دعم وقبول مجتمعي، وإنه يمكننا القول إن مثل هذا المبرر لعدم تحول الأمر إلى موجة من العنف هو أمر غير مؤكد. وقد كان الوضع في الجامعات مماثلاً أيضًا لما يحدث في الشارع الهولندي بشكل عام مع مراعاة اختلاف ظروف المكان.

كان تأسيس اتحاد الطلاب في 1963 هو الشرارة الأولى الدالة على تزايد حالة الضغط المتنامي المطالبة بالتغيير في جامعات هولندا، ومن خلاله تشكل الوعي الطلابي في صورة برنامج محدد مفاده: الشعور بالمسئولية تجاه المشاكل التي ظهرت بسبب تزايد أعداد الدارسين بالجامعات في أماكن كثيرة في الغرب والرغبه، على الرغم من كل هذا، في التعامل مع تلك المشكلات والسعي إلى حلها بطرق عملية. وقد اهتم اتحاد الطلاب في البداية وبشكل خاص بمشكلة قلة المنح المتاحة للطلاب وأيضًا مشكلة القاعات الدراسية المكتظة فضلاً عن عدم توافر أماكن سكنية للطلاب بالشكل الكافي. وعلى الرغم من اتساع دائرة خدمات ذلك الاتحاد بشكل كبير فإنه من الواضح أن مبادرتهم السياسية التي أخذوها عن زملائهم في جامعة برلين الغربية والتي تخص إنشاء جامعة موازية ذات طابع سياسي لم تلق حينها الاستحسان الكافي.

وعلى الرغم من ذلك فقد نجح ناشطو الاتحاد من خلال هذه المبادرة في تحقيق مطالب أخرى لاقت من حيث مضمونها الذي يتعلق بالدراسة قبولاً بين الطلاب، مثل فكرة الدعوة إلى تأسيس ما يسمى "بالجامعة اللامركزية"، ووضعوا بذلك اللبنة الأساسية لحركة التحول الديمقراطي في عام 1969 وذلك بعد سيطرتهم على مبنى جامعة تيلبورج والذي تلاه وفي تواتر سريع السيطرة على باقى الجامعات في هولندا بأسرها تقريبًا.

كانت السيطرة على المبنى الإداري الخاص بجامعة أمستردام في مايو 1969 هو قمة نجاحات الحركة الطلابية في هولندا، والتي قامت بشكل كامل على المجهودات الذاتية للطلاب، حتى إن حرب فيتنام التي كانت المحفز لكافة الحركات الطلابية تقريبًا في

العالم الغربي لم يكن لها ذات الدور المهم بالنسبة للحركة الطلابية في هولندا، وقد هدأت الاحتجاجات بشكل سريع على مستوى الجامعات بهولندا وذلك بعد إخلاء ذلك المبنى الإداري التاريخي، خاصة بعد أن أعلنت الحكومة الائتلافية المشكلة من الحزب الليبرالي والحزب المسيحي تحت رئاسة بيت دي يونج عن اتخاذها إصلاحًا شاملاً في قطاع التعليم الجامعي. في واقع الأمر إن القانون الذي صدر في عام 1970 كان هو بداية التحول الديمقراطي وإلغاء هرمية السلطة في إدارة الجامعات ولم يحدث ذلك بهذا الشكل الواسع في أي دولة أخرى في إطار الحركة الطلابية في الغرب. كما دعا معارضو هذا الإصلاح الجامعي لمدة عقدين بعد إصدار هذا القانون إلى ما أسموه بـ" تجميع جامعات هولندا".[48]

وعلى الضفة الأخري من القناة لا يسعنا إلا أن نذكر موقف المؤسسات الأكاديمية الجديرة بالاحترام في بريطانيا واستجابتها لمطالبات المحتجين من الطلاب البريطانيين.

بريطانيا

الجنس والمخدرات والروك آند رول

لا يمكن استبعاد اليسار الجديد في إنجلترا من الخلفية الذهنية للحركة الطلابية العالمية؛ حيث كانت مجلة اليسار الجديد"New Left Review" - التي تأسست في ربيع عام 1960 على يد مجموعة من المنشقين عن الحزب الشيوعي ومجموعة من مثقفي شباب الماركسيين غير المتشددين- مصدرًا لنشر الإلهام بشكل نظري. تفوق على هذا الإلهام النظري المثال العملي الذي قدمته مسيرات عيد الفصح ضمن حملة نزع السلاح النووي (CND) منذ 1958. تبع ذلك مسيرات مشابهة في كل من هولندا وجمهورية ألمانيا الاتحادية وكذلك الدول الأعضاء بالكومنولث البريطاني (كندا، أستراليا، نيوزيلاند).[49]

على الرغم من قصة النجاح العالمية هذه فإن أهمية اليسار الجديد وحملة نزع السلاح النووي (CND) قد تراجعت تراجعًا دراميًا تامًا في إنجلترا منذ عامي 1963/1962 على أقصى تقدير. كانت أزمة كوبا أحد الأسباب التي أدت إلى ذلك: " لم يكن تحقيق إحدى الحركات الشعبية أعلى الأصوات يشكل فارقا، فقد كان من الممكن اتخاذ قرار بشأن الأمر كله في غضون خمس دقائق بواسطة أي شخص يرفع سماعة الهاتف الأحمر ويقول: "سوف نقوم بتفجيركم من السماء" لقد التزمنا الحياد وشعرنا بالعجز" صرح بذلك رئيس تحرير مجلة نيو لفت ريفيو متذكرا ما حدث منذ ربع قرن.[50] تمثل السبب الآخر في التغييرات الجديدة أو المأمولة في السياسة البريطانية في ذلك الوقت: حيث بدأ العديد من اليساريين التفكير في الانتخابات بشكل أكبر وبدلا من دعم حركة السلام قاموا بدعم حزب العمال بقيادة هارولد ويلسون. ذلك الحزب الذي كان يستعد للعودة إلى السلطة. ظهرت حسابات السلطة هذه ظهورا طفيفا في الانتخابات العامة التي أجريت عام 1964.

بالطبع بدأت الخيبات تتوالى كالعادة بعد أن حصل كل فرد على ما أراد. فعلى عكس المواطن البريطاني العادي الذي وهب ويلسون فوزًا ساحقًا على حزب المحافظين في الانتخابات الجديدة التي أُجريت في نهاية مارس 1966، وجد اليسار الجديد أن النهج

الذي اتبعه رئيس الوزراء فيما يتعلق بالعديد من الأمور بالكاد يتفق مع التوجهات اليسارية.

حيث لاقت سياسة ويلسون المتهاونة تجاه الروديسي العنصري إيان سميث استنكار اليسار. كان سميث قد اتخذ قرارًا فرديًا بالاستقلال عن المملكة بهدف إنقاذ نظام حكمه العنصري المنحاز للبيض. فما كان من لندن إلا أن فرضت بعض العقوبات الاقتصادية غير المجدية. الأمر الذي لم يدل فقط على وجود سياسة مصالح بين الطرفين، بل أعطى كذلك انطباعًا بأن ويلسون لم يجد ضررا في الحفاظ على شعبيته على حساب أقليات عرقية: خاصة عندما فرض مجلس الوزراء -على الرغم من تراجع أعداد العاطلين عن العمل والوضع الاقتصادي الجيد- قيودًا صارمة على المهاجرين (الملونين) من دول الكومنولث، كما رفع الرسوم الدراسية على الطلاب الوافدين من الخارج. من وجهة نظر الشباب الناقد في ذلك الوقت كان هذا كله مؤشرًا على عدم مراعاة معاناة مواطني "العالم الثالث"، إن لم يكن أيضًا دليلاً على التفرقة العنصرية. الأمر الذي لم يجد صدى جيدًا في كلية لندن للاقتصاد الشهيرة (LSE) التي تعيش على التبادل الطلابي الدولي وتضم عددًا كبيرًا من الطلاب الأجانب، الأفارقة منهم على وجه التحديد. خاصة أن هذه الكلية كانت قد شهدت بالفعل توترات في الأوضاع لم يكن لها مثيل سوى في كلية أكسفورد وذلك منذ صيف عام 1965 بسبب النقد الذي وُجه إلى حرب فيتنام.

كانت كلية الاقتصاد بجامعة لندن على بعد خطوة واحدة من أن تشهد أولى الاحتجاجات الطلابية القوية في بريطانيا في خريف عام 1966.[51] لم تختر اللجان المعنية بكلية الاقتصاد ذات التوجهات اليسارية التقليدية إلا والتر آدمز - الذي كان يترأس حتى ذلك الحين إحدى الكليات بروديسيا الجنوبية - ليتقلد منصب المدير الجديد. على الرغم من أن الانتقادات التي أخذها ديفيد أديلشتاين - اليهودي ذو الأصل الجنوب أفريقي والمتحدث الرسمي باسم الطلاب بكلية لندن للاقتصاد- على آدمز لم تكن مقنعة للدرجة، فإن حقيقة انتماء الرئيس القادم للنخبة البيضاء التابعة للمستعمرة الملكية كانت وحدها كفيلة بإثارة البلبلة. الأمر الذي عبَر عنه أديلشتاين بإحدى خطابات بريد القراء بمجلة التايمز. نتيجة لذلك اتخذت إجراءات تأديبية ضده (نظرًا لوجود قاعدة قديمة تمنع الطلاب من التحدث علنًا كتابعين لكلية لندن للاقتصاد). تضامنًا معه دافع عنه زملاؤه

عن طريق الاحتجاجات، تلك الطريقه المجربة سابقًا في أماكن أخرى، وكان شعارهم: " بيركلي 1964: كلية لندن للاقتصاد 1966: سوف نضع حدًا لهذه الكلية أيضا "

في مارس 1967 اعتصم الطلاب بكلية لندن للاقتصاد لمدة تسعة أيام. ونظرًا لأن علم الاجتماع التجريبي قد تناول بعدها مباشرة ذلك الحدث بالدراسة، توافرت لدينا معلومات دقيقه عنه: شارك حوالي نصف الطلاب البالغ عددهم 2800 طالبًا في تلك الاحتجاجات بطريقة أو بأخرى، شارك أكثر من ثلث هذا العدد لمدة يوم أو أكثر، بينما تطوع مئتا طالب للمبيت. وعندما تولى المدير آدامز منصبه في خريف 1967، لم يعد أحد يبالي بهذا الأمر. في تلك الأثناء ركزت الاحتجاجات في إنجلترا على النقد الموجه إلى القيادة الحربية الأمريكية بسبب الحرب في فيتنام.[52]

كان "مؤتمر إشكاليات التحرر" الذي استمر لمدة أسبوعين في يوليو 1967 مؤشرًا على استعداد اليسار - الذي اتهم حكومة ويلسون بدعم سياسة الولايات المتحدة الأمريكية- للمشاركة في الحياة السياسية من جديد. حضر هذا المؤتمر كل من ستوكلي كارمايكل وبول سويزي وهيربرت ماركيوز - الذي كان يتحدث قبلها مباشرة أمام طلاب جامعة برلين الحرة - بالاضافه إلى كبار الشخصيات العالمية المشاركة في الاحتجاجات ضد حرب فيتنام.[53] هنا اتضح الموضوع الذي سيشغل بشكل خاص اهتمام الطلاب مستقبلاً في مدينة لندن التي لها باع طويل في السياسة ألا وهو: حركات التحرر الثورية في "العالم الثالث".

جاء من ضمن نتائج المؤتمر تنظيم حملة التضامن مع فيتنام (VSC) التي أقامت أولى مظاهرات إنجلترا الكبيرة ضد حرب فيتنام في أكتوبر 1967. بينما شارك في هذا الحدث السلمي الأول من نوعه على الساحة السياسية في لندن عشرة آلاف متظاهر فقد أعلن المنظمون لمظاهرة مارس عام 1968 بميدان ترفلغار أنه قد شارك ضعف هذا العدد، وكان من ضمن المشاركين النجمة السينمائية فانيسا ريدجريف التي أعلنت وسط هتاف عارم أن انتصار الفيت كونغ (الجبهة الوطنية لتحرير جنوب فيتنام) هو الطريق الوحيد للسلام.[54]

بعد مرور عام على تأسيسها في نهاية أكتوبر 1968 نجحت الحملة أخيرا في حشد

حوالي مئة ألف متظاهر، بالطبع كان ذلك في مقابل ألا تمر مسيرة مؤيدي الماوية المتجهة إلى السفارة الأمريكية دون أية مشاحنات. غير أن الاعتداءات كانت بسيطة مقارنة بأعمال العنف التي صاحبت المظاهرات الشبيهة في الوقت ذاته في فرنسا وإيطاليا وجمهورية ألمانيا الاتحادية. فمن الواضح أن قوى النخبة في إنجلترا ومن ضمنها الشرطة كانت أكثر مرونة في التعامل كما كان الطلاب أقل عنفًا.[55] والدليل على ذلك أن الاعتصامات المختلفة التي شهدتها الجامعات في عامي 1968/1967 لم تشهد أحداثا درامية وأعمال عنف كبيرة، كما جرت العادة في باقي أنحاء القارة.

كانت الأحداث التي شهدتها كلية لندن للاقتصاد أيضا مثالاً على ذلك. كان هناك تساؤل عما إذا كان من الضروري الاعتصام في المبنى المقابل لمظاهرات فيتنام في نهاية الأسبوع الأخير بشهر أكتوبر عام 1968 وذلك لتوفير الحماية اللازمة للمتظاهرين ضد عناصر الشرطة وتوفير الرعاية الصحية كذلك إن لزم الأمر. طُرح هذا التساؤل للنقاش في اثنين من الاجتماعات الطلابية، وبعد التصويت لأكثر من مرة خسر طلاب الحزب المحافظ. غير أن الأمر برمته لم يبدُ اعتصامًا وإنما ظهر في النهاية في صورة احتفال جامعي على هامش المظاهرة العظيمة وذلك لأنه لم يحدث أي تدخل من طرف القيادة الجامعية أو الشرطة.[56]

بالطبع لم ينته الأمر دائما في كل مكان بهذا الشكل السلمي؛ حيث أدى النهج الأكثر صرامة الذي اتبعه رئيس مجلس إدارة كلية لندن للاقتصاد إلى اعتصام جديد بالكلية في يناير 1969. صاحبه هذه المرة أعمال عنف وتخريب وفي النهاية سلسلة من قرارات الفصل من الجامعة وطرد اثنين من أعضاء هيئة التدريس. ولكن هذا الاحتلال بدا كأنه نوع من أنواع المماطلة السياسية خاصة بعد أن سادت حالة من الهدوء في معظم الكليات والجامعات من جديد، وإلى حد ما نمى انطباع بأن معظم المشاركين في الاعتصام لم يكن الأمر يمثل بالنسبة لهم إلا دليلا لإثبات تطرفهم.

لأن الأمر برمته كان واضحا منذ زمن طويل: فقد كان هناك بالفعل حركة طلابية بريطانية حققت عظمتها عن طريق طارق علي التروتسكي العظيم خريج جامعة أكسفورد الذي ولد بباكستان.[57] على الرغم من المساعدات التي قدمها اتحاد الطلبة

الاشتراكيين الألماني SDS قبل مظاهرة الاحتجاج على حرب فيتنام في ربيع عام 1968 وكذلك المساعدات التي قدمها النجمان الفرنسيان دانييل كوهين بنديت وآلان جيمر لتأسيس اتحاد الطلاب الاشتراكي الثوري (RSSF) في يونيو 1968 فإن الاحتجاجات قد احتفظت بإيقاع هادىء. كانت تلك على أية حال وجهة نظر الفئة التي لم يشغلها سوى الأمور السياسية فقط.

ولكن من يتأمل الأمور من منظور أوسع فسيعرف أن إنجلترا في ذلك الوقت عام "68" لم تكن أبدًا لتخجل من مقارنتها بفرنسا أو إيطاليا خصوصًا فيما يتعلق بالتغييرات الديناميكية التي طرأت على نمط حياة الشباب. عند أخذ كل الأمور بعين الاعتبار سنجد أن الاحتجاجات الثقافية وثقافات الاحتجاج في لندن في أواخر الستينيات ربما كانت أقل غموضًا منها في سان فرانسيسكو أو أمستردام، غير أنه من الجدير بالذكر أن لندن كانت المدينة الوحيدة التي اجتمعت فيها على مدار عقد كامل منذ الخمسينيات عناصر نمط حياة شبابي جديد وذلك في مجالات الفن والموضة والأدب وبشكل خاص الموسيقى وتمتعت تلك العناصر برونق عالمي مبهر.

لم يكن من قبيل المصادفة أن تصبح عاصمة المملكة المتحدة محط حديث العالم أجمع في ذلك الوقت، كما اقترن اسم لندن بصفة براقة واشتهرت ب "لندن المتأرجحة" "Swinging London" ذلك الوصف الذي كان بمثابة استعارة عن نمط حياة هذا الجيل، كما أصبحت لندن قبلة محبي موسيقى البوب.[58]

يجب أيضا أن نُذكر بأن باريس لم تعد المدينة التي تضع مقاييس الموضة في منتصف الستينيات ولكن لندن، وخاصة موضة النساء الشابات اللاتي كان باستطاعتهن ارتداء التنورات القصيرة. كما كانت لندن البؤرة التجارية لموسيقى البوب؛ حيث كان من المعروف أن فرقة البيتلز قد نشأت في ليفربول، وبدأت الفرق الموسيقية الإنجليزية تتخذ من العالم الغربي بأكمله مسرحًا لها (شمل هذا الاهتمام بموسيقى البوب للمرة الأولى وربما الأخيرة أيضًا نطاقًا واسعًا ضم جميع الطبقات والفئات).

أصبح مصطلح "الثقافة المضادة" هو المصطلح الأساسي في تلك الفترة. كانت احتفالية الشعر التي أقامها جيل البيت Beat Generation في قاعة ألبرت الملكية في يونيو 1965

- على حد قول معاصري ذلك الحدث- بمثابة نقطة انطلاق الثقافة المضادة.[59] حضر هذه الاحتفالية من أمريكا آلن جينسبرج وجاك كرواك الذي كان من أهم ممثلي جيل البيت منذ بداياته. "شعراء العالم – شعراء زماننا" كان هذا هو الشعار الجريء لهذا اللقاء الشعري والذي اتضح من خلاله مضمون اللقاء. كان من ضمن عناصر الثقافة المضادة مجموعة من المجلات مثل مجلة "انترناشيونال تايمزInternational Times " التي تأسست في خريف 1966 وتغير اسمها بعد فترة قصيرة إلى IT بعد رفع دعوى من قبل مجلة التايمز الشهيرة، و مجلة "لندن أو زيد London OZ" ذات الصيت الذائع التي تميزت بألوانها الفاقعة ودعت إلى "الثورة الممتعة"، والمجلة التي اشتهرت بأخبار الهيبيز والهوبيت "جاندالفز جاردن Gandalf's Garden" وصحيفة طارق علي "بلاك دورف Black Dwarf" وكانت تعد صحيفة الثورة وتمتعت بمضمون سياسي جاد. من ضمن العناصر أيضًا بالطبع مواطن تجمع الفنون المستقلة مثل نادي "يو اف أو UFO" أحد نوادي موسيقى الأندرجراوند سابقًا.

"الجنس والمخدرات والروك آند رول" كانت تلك هي السمة التي وُصفت بها إنجلترا في الغالب عام" 68"، وعلى الرغم من كل الفروق التي كانت سائدة في تلك الفترة بين فئة شباب العمال والمتعلمين من أبناء المواطنين فإن هذا الوصف على وجه التحديد قد نال استحسان العديد من أبناء هذا الجيل حتى يومنا هذا.[60] من الواضح أن الخبرات الشخصية المرتبطة بهذا الوصف قد تميزت بصبغة خاصة، على الرغم من ذلك لم يكن هذا الوصف ينقل معنى أحداث 68 في بريطانيا. على مدار هذه السنوات طرأت تغييرات عدة على نمط حياة جيل الشباب في كل مكان ولم تكن تلك التغييرات ناجمة فقط عن توافر الفرص الجديدة للاستهلاك الثقافي والمادي ولكن أيضًا عن إدراك فرص المشاركة الاجتماعية وفرص صياغة مطالب تغيير سياسية.

إذا تساءلنا عما تسبب في أحداث 68 في الغرب وعن سبب الاحتجاجات سنجد أمامنا سببين أساسيين ظهرا في كل مكان وهما: الوضع في الجامعات وحرب فيتنام. إلى جانب سبب آخر وهو الاحتياج الذي انتشر آنذاك لنمط حياة جديد. على الرغم من أنه كانت الاحتجاجات في الجامعات مختلفة العمق والحدة وانتشرت إلى حد ما في الفترة الزمنية نفسها، فإن النقد الذي وجه للقيادة الحربية الأمريكية في جنوب شرق آسيا يعد بالتأكيد

العامل المحفز العالمي لحركات الاحتجاج. كما كانت الحركات المشابهة إلى حد مدهش - نهجا واصطلاحا- تُمثل ترابط مجموعة من الأشخاص والأفراد، وكذلك وسيلة اتصال مرئية عالمية أدت التغطية الحية لأحداثها في التلفاز إلى سرعة انتشارها وتكثيف تأثيرها.

على الرغم من ذلك فإنه لا يمكن إغفال الاختلافات:

حيث اختلفت بالفعل حركة الاحتجاجات في مجتمعات دول المحور السابقة اليابان وإيطاليا وألمانيا (باستثناء النمسا![61]) بشكل واضح من حيث طول المدة ومدى العنف عن نظيراتها في إنجلترا وهولندا والدول الاسكندنافية[62]. من البلاد التي اختلف شكل الاحتجاجات بها أيضًا أسبانيا والبرتغال واليونان. تلك البلاد التي حمل الاحتجاج بها معنى آخر غير انتقاد "البِنى الاستبدادية" والعجز السياسي الأخلاقي في ظل الديمقراطية البرلمانية. فمن المعروف أن الاحتجاجات هناك قد اهتمت في المقام الأول بانتزاع الحق الأساسي في الحرية، حيث كان الواقع السياسي في العديد من أجزاء "الغرب الحر" في عام "68 "قريبًا جدًا من توجهات الأنظمة الشيوعية في شرق آسيا. الأمر الذي لم تمل الحركة المناهضة للسلطوية من التأكيد عليه مرارا وتكرارا.

1 - الفصل الثالث (اليابان، وإيطاليا، وهولندا، وبريطانيا)
مقدمة مساعد المحرر للعدد الشامل من المجلة – عنوان العدد "النتائج المؤقتة لثورة الشباب – Zwischen-bilanz der Studentenrevolte"، ص 4.

2 - للاطلاع على "شرح دقيق" لهذه الجزئية يُرجى الرجوع إلى: Kurlansky, 1968.

3 - للاطلاع على أكثر محاولة تحليلية متعمِّقة في الأمر حتى الآن، وشارحة له بدقة في الوقت نفسه (إلا أنها مقتصرة على الولايات المتحدة، وإنجلترا، وفرنسا، وإيطاليا) يُرجى الرجوع إلى:Marwick, Sixties .

4 - للاطلاع على هذه الجزئية وما يليها في الوقت المعاصر يُرجى الرجوع إلى:
Klaus-Peter Koepping: Motive und Taktiken der japanischen Studentenrebellion, in: Indo Asia 12 (1970) 4, S. 268-286; Seiffert, Zengakuren, S. 9-87; vor allem aber Dowsey (Hrsg.), Zengakuren; Voss, Linke; Derichs, Linke.

5 - للاطلاع على الجزئية التالية بشكل مُفَصَّل يُرجى الرجوع إلى: Havens, Fire.

6 - وفقا لكرواس هار Kraushaar، 1968، ص 26.

7 - للاطلاع على هذه الجزئية وما يليها يُرجى الرجوع إلى:
Dowsey, Zengakuren, S. 136-192; Voss, Linke, bes. S. 179-211.

8 - وفقًا للأعداد التي ذكرها كوبينج Koepping, Motive، ص 276 (مثل الحاشية الرابعة).

9 - للاطلاع على الواقعة المسماة واقعة هارومي يُرجى الرجوع إلى: Voss, Linke، ص 187 – 190.

10 - قامت نزاعات مشابهة لتلك النزاعات في حدتها وبالتزامن معها في جامعة نيهون فقط؛ يُرجى الرجوع إلى: Voss, Linke ، ص 198-202.

11 - Klaus Mehnert: "" Mit Helm und Geba-bo. Japans junge Generation ist unruhig "", in: Christ und Welt, 27.12.1968, S. 9 f.

12 - يُرجى الرجوع إلى: Dowsey, Zengakuren، ص 158.

13 - يُرجى الرجوع إلى:
Patricia G. Steinhoff: Student Conflict, in: Ellis Krauss/Thomas P. Rohlen/dies. (Hrsg.): Conflict in Japan. Honolulu 1984, S. 174–213, hier S. 182.

14 - تشكل اللافتة التضامنية مع دانييل كوهين بنديت الذي كان مهددا بالنفي مثالا على سذاجة حركة الطلاب الفرنسية فيما يتعلق بالماضي السياسي، وكُتب على اللافتة: „Nous sommes tous des Juifs et des All-emands" - "كلنا يهود وألمان".

15 - من أجل نظرة عامة انظر Hess: Italien: Die ambivalente Revolte, in: Angriff auf das Herz des Staates
الجزء الثاني، ص. 9-166، متحيز لعصره لكنه مصدر توثيقي جيد: Viale, Traume.

16 - في هذا الشأن وما يليه Kurz, Universitat هنا ص. 97-103 انظر أيضاً Jan Kurz: Die italienische Studentenbewegung 1966–1968, in: Gilcher-Holtey, 1968, ص. 64-81.

17 - انظر أيضاً كتاب "Pier Paolo Pasolini: "Scritti corsari الذي صدر بالألمانية أيضاً في عام وفاة بازوليني تحت عنوان: Freibeuterschriften.Aufsatze und Polemiken uber die Zerstorung des Einzelnen durch die Konsumgesellschaft. برلين 1975.

18 - انظرKurz, Studentenbewegung ص. 66 (مثل هامش رقم 16)، يتناول ما يلي بالتفصيل كتاب لنفس المؤلف عنوانهUniversitat, ص. 84-96

19 - انظرTolomelli, Repressiv ، ص. 49

20 - انظر Marwick, Sixties، ص. 591

21 - Scuola di Barbiani (Hrsg.): Lettera a una professoressa.، فلورنسا 1967

22 - انظرMarwick, Sixties، ص. 552 والصفحة التي تليها

23 - Alexander S.Neill: Theorie und Praxis der antiautoritaren Erziehung. Das Beispiel Sum-merhill. ، راينبك 1969

24 - لما يلي Kurz,Universitat، ص.109-116

25 - لفهم التلاعب بالألفاظ في قصر الحكمة انظرViale, Traume، ص. 20، يتناول بيزا بالتفصيل: Kurz,Universitat، ص. 117-127

26 - لما يلي Marwick, Sixties، ص. 587-601

27 - انظرKurz,Universitat، ص. 171

28 - انظرCarlo Feltrinelli: Senior Service. Das Leben meines Vaters.، ميونخ 2001، ص. 291 والصفحة التالية لها؛ كتاب آخر غني بالمعلومات: Renato Curcio: Mit offenem Blick. Ein Gesprach zur Geschichte der Roten Brigaden in Italien von Maio Scialoja.، برلين 1997، ص. 49-55

29 - Judt, Geschichte، ص. 445

30 - انظرChaussy, Leben ، ص. 200، 212، 217 والصفحة التالية لها.

31 - وصف طوبوغرافي مفصل للمدينة عند Marwick,Sixties، ص. 596-599

32 - منقول عن Lumley, Emergency، ص. 69.

33 - دراسة مقارنة لهذا الشأن مثيرة للاهتمام. Stuart J. Hilwig: The Revolt Against the Establishment. Students Versus the Press in West Germany and Italy, in: Fink u. a.، 1968، ص. 321-349.

34 - يستفيض في الشأن التالي Lumley, Emergency، ص. 167-269.

35 - في هذا الشأن وما يليه- Marcia Tolomelli: 1968: Formen der Interaktion zwischen Studenten- und Arbeiterbewegung in Italien und der Bundesrepublik, in: Gilcher-Holtey، 1968، ص. 82-100.

36 - لمعلومات عن تورينو انظر Fraser, 1968، ص. 248-254.

37 - منقول عن Marwick, Sixties، ص. 623.

38 - انظر Lumley, Emergency، ص. 227.

39 - انظر Tarrow,Disorder، ص. 293-297.

40 - استخدم الكاتب المسرحي Dario Fo قصة GiuseppePinelli عام 1970 في مسرحيته الشهيرة: " Morte accidentale di un anarchico " ، صدرت ترجمة ألمانية للكتاب تحت عنوان: Zufalliger Tod eines Anarchisten.، برلين 1980.

41 - انظر Christian Jansen: Italien seit 1945. جوتنجن 2007، ص. 163.

42 - المرجع السابق، ص. 165.

43 - المراجع الألمانية والإنجليزية في هذا الصدد محدودة ولكن يمكن الرجوع إلى المراجع التالية للحصول على نظرة موجزة:
Martin Moerings, Niederlande: Der suventionierte Protest, in : Angriff auf das Herz des Staates. Bd.2
ص. 281-342 وأيضا:
Rudolf de Jong: Provos and Kabouters, in: David Apter/ James Joll(Hrsg.): Anarchism Todaz. New Zork 1971
ص 164-180، بالإضافة إلى:
Kennedy, Babylin; Walter Hollstein: Der Untergrund. Zur Soziologie jugendlicher Protest-bewegungen. Neuwied 1969 9، 47-62 .ص.

44 - للمزيد عن حالة "68" في هولندا يرجي الرجوع إلى
Tomas Ekman Jørgensen: Utopia and Disillusion: Shattered Hopes of Copenhagen Coun-ter-culture, in: Schildt/ Siegfried, Marx, ص. 333-352.

45 - ذكر de Jong في كتابه Provos، ص. 172 وما تلاها في كتابه الذي ذكر في الملاحظات تحت رقم 43: "أدركت حركة البروفو أن الأمر سينتهي بالفشل غير أنهم لم يفوتوا على الأقل الفرصة للقيام بمحاولة أخرى لإثاره المجتمع وتحفيزه."

46 - مصدر هذه المعلومات والاستشهادات التالية إلى ما كُتب في هذه الفترة/الكتابات المعاصرة في هذه الفترة (باللغة الإنجليزية) الموجودة في: 1967) Delta 10) الطبعة الثالثة، ص. 37-51.

47 - يرجى الرجوع إلى: de Jong, Provos، ص. 168. بيانات المرجع في (ملاحظات رقم

.(43

48 - Grahame Lock: The Collecivisation of the Dutch Universities, in : Minerva 27 (1989)
ص. 157-176.
ارجع أيضا إلى
Harry de Boor: On Nails, Coffins and Concils, in : European journal of Education 37 (2002)
1, 20-7 .ص

49 - انظر النسخة التي نُشرت لأول مرة عام 1964:
154 - 131 .ص ,Peter Sedgewick: The Two New Lefts, in: Widgery, Left
وفي السياق ذاته: Chun, Left

50 - Stuart Hall مقتبس عن Fraser عام 1968 ص. 36

51 - التالي مقتبس عن Marwick, Sixties ص.561 والصفحة التالية. تفصيلا من وجهة نظر Crouch أحد المشاركين بالاحتجاجات الطلابية ص. 33-64

52 - انظر:
Sylvia Ellis:A Demonstration of British Good Sense, in:DeGroot,Protest
ص. 54-69
Caute,Sixty-Eight 329 302- و 76 71- .ص
انظر أيضا Fraser 1968 و Passim,Marwick 1968 ص. 560-563 و 632-642

53 - انظر Fraser 1968 ص. 168 والصفحات التالية لها، و Ali, Street ص. 147 .
نُشرت نصوص المؤتمر حينذاك باللغة الألمانية أيضا:
David Cooper (Hrsg.): Dialektik der Befreiung, Reinbek 1969

54 - انظر Kraushaar 1968 ص. 80 والصفحة التالية.

55 - وكذلك أيضا إدراك الذات والآخر في ذلك الوقت: انظر Der Spiegel 21/10/1968 ص 152 والصفحة التالية.

56 - انظر Marwick, Sixties ص 639

57 - انظر Ali, Street

58 - انظر Thomas Mergel: Grosbritanien seit 1945. Gottingen 2005 ص 140-148
Dominic Sandbrook: White Heat. A History of Britain in the Swinging Sixties. London 2006.

59 - انظر البيانات المذكورة في Marwick, Sixties ص 481، من كتب السيرة الذاتية الممتعة أيضا:
.Barry Miles: In the Sixties. London 2002

60 - استخدم Ian Dury تلك الصياغة الشهيرة التي لم تقتصر على اللغة الإنجليزية فقط كعنوان أغنية عام 1977

61 - انظر:
Paulus Ebner/Karl Vocelka: Die zahme Revolution. 68 und was davon ubrig blieb. Wien 1998

62 - للمزيد عن السويد انظر Etzemuller 1968

الفصل الرابع

تحرك في الشرق

"يقوم برنامجنا على القناعة بأن البشر و البشرية
ليسوا قادرين على استكشاف العالم فقط،
بل على تغييره أيضًا"

ألكسندر دوبتشيك 16 مايو 1968[1]

تُعد النهاية الوحشية "لربيع براغ" في أغسطس 1968 رمزًا لفشل المصالحة بين الديمقراطية والاشتراكية. فهي نهاية لا تقل درامية بل تتجاوز ما حدث في شرق برلين عام 1953 وفي بودابست عام 1956 - وتثبت أنه من المستحيل في ظل الستار الحديدي تفعيل حقوق الإنسان الأساسية مثل حرية التعبير عن الرأي وحرية التجمع. لقد أظهر استدعاء الدبابات السوفيتية في قلب عاصمة تشيكوسلوفاكيا آنذاك للعالم كله وليس لمواطني التشيك وسلوفاكيا فقط إلى أي مدى كانت أفق التنوع السياسي الشخصي محدودة في ظل الاشتراكية الحقيقية كما كان الحال في السابق وما قد يبقى كذلك لفترة طويلة.

ورغم هذا فمن الخطأ التقليل من أهمية أسباب الأحداث التي وقعت عام 1968 في العديد من دول الكتلة الشرقية ونتائجها. وهو ما يفسر حراك الكتلة الشيوعية على غرار"نموذج براغ". لذا يتساءل البعض عن الروابط والعلاقات بين المطالبة بالتغيير في الشرق والحركات المناهضة للاستبداد في الغرب: ماذا تعني الاحتجاجات في خريف 1965 في مدينة لايبزج الألمانية ضد حظر موسيقى البيت (Beat-Musik) الذي خطط له قادة ألمانيا الشرقية؟ لماذا اعتقدت قيادة بولندا بضرورة خروج حملة مناهضة للصهيونية في مارس 1968؟ من أين جاءت الأفكار التي أثارت ضجة في شوراع البلدة القديمة في براغ طوال فصل الصيف القصير؟

بالنظر إلى الماضي يظهر من ناحية وبجلاء أن جيل الطلاب عام 1968 في الشرق كذلك كان يقع على عاتقه دور خاص حتى وإن كان أصغر. لكن من الواضح أيضًا على الجانب الآخر أن الاضطرابات السائدة هناك آنذاك والتمرد السياسي قصير الأجل كانا أقوى بشدة مما كان في الغرب؛ إذ ينبعان من قلب المجتمع. في حالة تشيكوسلوفاكيا جاءت شرارات الإصلاح الأولى من المؤسسة – من الحزب ليذكر في علم مصطلحات الحركات الاحتجاجية الغربية.

تشيكوسلوفاكيا

صيف الأمل المتحطم

على نقيض الثورة الطلابية في باقي دول أوروبا كانت علامات السخط المجتمعي المتزايدة التي أمكن ملاحظتها في النصف الثاني من الستينيات في الشرق لها أسباب مادية واقتصادية ملموسة. ويسري هذا بصفة خاصة على جمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية. فمنذ سنوات كان اقتصاد الدولة الصناعية المزدهرة يعاني ركودًا تامًا؛ حيث كان وضع توريد السلع الأساسية للاحتياج اليومي بين براغ وبراتيسلافا سيئًا للغاية، ليس فقط مقارنةً بالبلاد الرأسمالية، بل حتى في الدول المجاورة من حلف وارسو لم يكن الوضع يبدو بهذا السوء. لذلك لاقت أفكار إصلاح الاقتصاد المدمر كما صاغها رجل الاقتصاد الحزبي أوتا شيك Ota ˇSik في أكاديمية العلوم صدى واسعًا على غير المعتاد.[2] تلك الأفكار التي تشجع على مناخ من التفكير النقدي يمتد بصورة متزايدة إلى موضوعات أخري – ويحمل معه انفتاحًا ثقافيًا وفكريًا مدهشًا؛ إذ تشبه كثافة الحوار في براغ منذ منتصف الستينات نظيرتها في الدول الاشتراكية المجاورة. فقد وجه نقد صريح إلى الظروف السائدة على سبيل المثال في المؤتمر الرابع لرابطة كتاب تشيكوسلوفاكيا في يونيو 1967 عندما وضع لودفيك فاكوليك LudvíkVaculík العملاء الروس في الصورة بشأن مشكلة سلطة الأحزاب المدعومة من الخارج؛ حيث صرح صانع الأحذية المتعلم الذي عمل بمجمع مصانع وشركات باتا الشهيرقائلاً: على الرغم من أننا أمسكنا الثور من قرنيه فإن هناك دائمًا من يهاجمنا من الخلف"[3]

تتمثل السمة المميزة لحوار الإصلاح لدى الاشتراكية الحقيقية في أن المروجين للحوار لا ينتمون فقط إلى مجالات مختلفة في المجتمع - مثقفين وعلماء وسياسيين – بل كذلك إلى أجيال مختلفة. فالتنافس بين الأجيال الملاحظ في الغرب يلعب بالكاد دورًا في الشرق على المستوى السياسي، على كل حال لا تظهر فروق جوهرية في الاهتمامات بين أتباع جيل البناء الاشتراكي المستعدين للتغيير والجيل الذي كان يصغرهم بعقدين من الزمن ويدرس بالجامعات آنذاك،[4] لذلك ترتبط في حالة تشيكوسلوفاكيا بداية حركة "68" أيضًا بحركة احتجاج طلابية.

من أعماق الفن تحت الأرض المنتشر في أقبية براغ الثقافية منذ سنوات بشكل لافت جاء في خريف 1967 مئات من طلاب الجامعة، ممن لم يعد الأمر يعني لهم أحداثًا طموحة غير مفهومة للشعب، بل ظروفًا دراسية أفضل. كانت الأحوال في أحد بيوت الطلاب الذي يفتقر إلى التدفئة والإضاءة الكافيين هي محرك الاحتجاجات – في حين كانت الصحف تكتب يوميًا عن التقدم في الإنتاج الصناعي وتمتدح مستوى المعيشة المرتفع.

في مساء ليلة الحادي والثلاثين من أكتوبر عام 1967 بعد عدة طلبات غير مجدية للسلطات خرج حوالي 1500 طالب في مسيرة ممسكين بالشموع في أيديهم ومتوجهين إلى قلعة براغ. كان مطلبهم يحمل أكثر من معنى "المزيد من الضوء". لكن قبل أن تقترب المسيرة من قصر الرئاسة أوقفت الشرطة موكب الشموع وفرقت المتظاهرين باستخدام الغاز المسيل للدموع وأصيب حوالي 50 طالبًا في تلك الأحداث.[5]

وفي الحركة الاحتجاجية التالية بجامعة كارلوفا التي دُعي إليها بجانب إدارة الجامعة ممثلون للجنة المركزية للحزب الشيوعي ولجنة الشباب التابعة للحزب نادى الطلاب بمعاقبة قوات الشرطة النظامية التي اعتدت عليهم وطالبوا بوضع تقرير صادق عن الأحداث في الصحافة مهددين بالمزيد من المسيرات في حالة عدم تنفيذ مطالبهم. جاء رد الفعل الرسمي مُذبذًا: فبينما اعتبرت إدارة الحزب في الجامعة المطالب منطقية، رفضت الحكومة أي نوع من التفاوض.

عندما أراد الطلاب التشاور في الأمر من جديد في العشرين من نوفمبر كما أعلنوا من قبل كانت قاعة المحاضرات المقترحة بالجامعة تضج برجال الشرطة، فانتقل الطلاب إلى قاعة أخرى حيث تجمع حوالي ألف شخص وانقطع التيار الكهربائي بعد نقاش قصير حامي الوطيس. على الرغم من كل تلك الاستفزازات فقد ظل الطلاب هادئين، وفي النهاية لم يشارك الطلاب كما طالبوا أولاً في اللجنة المقرر أن تتقصى الحقائق بشأن أحداث 31 أكتوبر ولم يتابعوا خطتهم بالذهاب إلى المصانع لتوضيح أسباب حركتهم الاحتجاجية للعمال؛ إذ نجح نائب رئيس الجامعة في تهدئة الطلاب بحجة أن المظاهرات من شأنها أن تعوق عملية التحول الديمقراطي التي لا يمكن إيقافها بأي حال من الأحوال. وتأجل الموعد حتي الخامس عشر من ديسمبر ليدرك الطلاب أن الأمور تتحرك من أعلى.

يُدعى الرجل الذي كانت تنعقد عليه آمال كبيرة ألكسندر دوبتشيك .[6] Alexander Dubcˇek فقد مثل تعيين رئيس الحزب السلوفاكي البالغ من العمر 46 عاما خلفًا لأنطونين نوفوتني Novotn´y Antonín سكرتير أول للجنة المركزية للحزب الشيوعي في الخامس من يناير 1968 بداية مرحلة من السياسة الإصلاحية التي لا مثيل لها والتي غيرت من النهج السياسي لجمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية خلال أسابيع قليلة. في مواجهة مقاومة العملاء القدامى (ونوفوتني الذي ظل رئيسًا للدولة حتى الثاني والعشرين من مارس) خففت اللجنة المركزية بقيادة دوبتشيك الرقابة على الصحافة وحركت التحقيقات في عمليات التطهير الستالينية البشعة التي جرت في الخمسينيات. وهكذا انفتح طريق واسع أمام الحوار الدائر منذ فترة طويلة حول المسار الصحيح "نحو اشتراكية ذات وجه إنساني". فشارك في الحوار أدباء وناشرون وفنانون ومثقفون وشيوعيون إصلاحيون ومحافظون، وكذلك العديد من المجموعات الصغيرة والفصائل – لا يوجد طرف لم يعبر عن رأيه في الحوار. كانت تشيكوسلوفاكيا في ربيع 1968 دولة تتحدث مع ذاتها – تحت مراقبة وثيقة من جيرانها الاشتراكيين.[7]

لا عجب أن يشعر الطلاب أيضًا بالتحدي. في العاشر من مارس، الموافق للذكرى العشرين لوفاة جان مازاريك Jan Masaryk، الذي كان يشغل منصب وزير الخارجية وتوفي عام 1948 في ظروف غامضة، اجتمع الطلاب بالآلاف عند قبره للتعبير عن مطالبهم بمزيد من الديمقراطية.[8] وبعد مرور عشرة أيام تناقش السياسيون والصحفيون والكتاب في قصر مؤتمرات براغ أمام خمسة عشر ألفًا أغلبهم من الشباب حول المسار المختار. ونقلت الإذاعة الحوار حتى الساعات الأولى من الصباح في جميع أنحاء البلاد. كان حزب اليسار التابع لألمانيا الغربية حاضرًا من خلال إلقاء كلمة ترحيب: جاء في عنوانها التضامني "يجمعنا أكثر من رد الفعل. بالطبع يختلف كفاحنا في نقطة جوهرية: فبينما تحاولون توسيع القاعدة الاشتراكية لتصبح نظامًا شيوعيًا حرًا، نعمل نحن في الدول الرأسمالية على الاستعداد لتلك الاحتمالات.[9]

لا يمكن أن نجزم ببساطة بشأن الكم الذي أدركه طلاب تشيكوسلوفاكيا من هذا المنطق؛ حيث يمكن تحليل الكلام على أنه ليس فقط حاجة إلى التآخي بل كذلك تلميح متعجرف بمواجهة الخطر نفسه. تحدث رودي دوتشكه Rudi Dutschke بعد أسبوعين

في جامعة كارلوفا أمام ما يزيد عن ألف طالب من زملائه وفسر الأمر بقليل من الحذر كالتالي: لا يمكن أن نتثبت ما إذا كانت حركة الإصلاح تخطو فعلاً في مسار الديمقراطية الاشتراكية؛ ليعرب بهذا عن عدم ثقته في الأحزاب الشيوعية ذات النمط السوفيتي – فقد أساءوا استغلال مطلب ماركس بضرورة تثقيف المربي حسب رأيه. لكن دوتشكه ظن أنه يعرف ما تفتقر إليه جمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية بشدة: فالهدف لا يمكن أن يكون النظام البرلماني، بل يجب أن يكون الديمقراطية الاقتصادية التي تتغلب على الاشتراكية السلطوية للبيروقراطية الاحتكارية.[10]

لا يمكن الادعاء بأن الطلاب المتمردين من الغرب الذين جاء بعضهم في الأشهر التالية إلى الدولة النابضة بالسياسة والواقعة على نهر فلتافا قد أثروا على مجرى الأحداث هناك بشكل ملحوظ. لكن الأمر المثير للدهشة أكثر يتمثل في أن الطلاب المحليين لم يشكلوا طليعة المصلحين. جلب تقدم الحركة، ومأزق دوبتشيك، المزيد من الشباب بل كذلك مثقفين يكبرون الشباب بعشرة أو خمسة عشر عامًا مثل فاتسلاف هافل Václav Havel وإيفان سفيتاك Ivan Svitak الذين طالبا بشكل صريح بنهاية هيمنة حزب واحد على السلطة. فاتخذوا من مجلة "الأوراق الأدبية" الصادرة عن اتحاد الكتاب والتي كانت آنذاك تصدر رقمًا قياسيًا من النسخ يقدر بمائة ألف نسخة وأكثر بوقًا إعلاميًا لهم. وفي السابع والعشرين من شهر يونيو 1968 نشرت الصحيفة الأسبوعية البيان الشهير الذي تألف من 2000 كلمة والموجه إلى العمال والمزارعين والعلماء والفنانين وغيرهم.[11] في هذا البيان دافع الأديب لودفيك فاكوليك Ludvík Vaculík مدعومًا بتوقيع تسعة وستين من المشاهير عن عملية الإصلاح ضد النقد الرجعي وطالب بمواصلة الإصلاحات. لم يعن هذا البيان سوى نهاية الاحتكار الشيوعي للسلطة.

جاءت ردود الأفعال غاضبة بدورها. فلم يقتصر الأمر على رفض قيادة الحزب ورئيس الوزراء الجديد أولدريتش تشيرنك Oldˇrich Cterník للبيان فور نشره، بل ظهر التوتر واضحًا في موسكو بالأخص؛ حيث زادت المخاوف في موسكو وغيرها من الدول الاشتراكية الشقيقة من أن يفقد الرفاق في براغ السيطرة على التطور السياسي في جمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية.

بعد مرور ثمانية أسابيع حدث ما كان يخشاه موقعو بيان ال2000 كلمة، لا سيما تدخل القوات الأجنبية؛ ففي وقت مبكر من صباح يوم الحادي والعشرين من أغسطس 1968 توغلت أول الدبابات السوفيتية في وسط مدينة براغ. وبسرعة البرق انتشر نصف مليون جندي أجنبي في البلاد. وهكذا انتهى ربيع طويل من الإصلاحات وصيف قصير من الحلم بالمدينة الفاضلة.

كانت الصور التي تُبث للعالم كله لحظة بلحظة من ساحة فاتسلاف لا تدع مجالا للشك في أن الشباب بصفة خاصة هم من واجهوا قوات الاحتلال في الساعات والأيام الأولى بشجاعة منقطعة النظير. فقد دفع 94 مواطنًا من جمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية حياتهم ثمنًا لتدخل قوات حلف وارسو.[12] لكن ما دفنته القوات العسكرية السوفيتية وحلفاؤها في صيف 1968 لم تكن فقط أحلام طلاب براغ ولا آمال معظم التشيكيين والسلوفاك في مجتمع ديمقراطي؛ حيث شعرت الإنسانية المُحبة للحرية في الشرق والغرب ومن اليسار إلى اليمين بقوى الإصلاح في جمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية. بغض النظر عن الموجة المناهضة للشيوعية التي بات الآن بعض اليساريين يخشونها أعلن معادو السلطوية في فرانكفورت المطلة على نهر الماين وفي غرب برلين مثل نظرائهم في باريس وروما وشيكاغو تضامنهم مع ربيع براغ. ومن ذاك الوقت وصاعدا عاش في إحباط سياسي هؤلاء الذين آمنوا بإمكان التغيير خلف الستار الحديدي وسعوا من أجله وهؤلاء الذين فشلوا في الهروب إلى الغرب في الوقت المناسب أو الذين لم يقرروا الهروب إلى الغرب.

رأى بعض الشباب ضرورة مواصلة مقاومتهم ضد المحتلين وضد سلب المحتلين للحريات المكتسبة، حتى إذا وصل الأمر إلى التضحية بالنفس؛ ففي السادس عشر من يناير 1969 جرى طالب التاريخ جان بالاخ Jan Palach البالغ من العمر واحدًا وعشرين عامًا بعد أن أشعل النار في نفسه كأول شعلة بشرية عبر ساحة فاتسلاف، وبعد خمسة أسابيع أشعل جان زايتس Zajíc Jan الذي يصغره بعامين النار في نفسه في ساحة فاتسلاف بعد أن شارك في إضراب عن الطعام قام به الطلاب بعد وفاة بالاخ. انتهت سلسلة حرق النفس والانتحار مثلما انتهت المظاهرات الكبري المناهضة للاتحاد السوفيتي (في الثامن والعشرين من أكتوبر 1968 بمناسبة مرور 50 عاما على تأسيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا أو بعد أسبوع ونصف في الذكري الحادية والخمسين لثورة

أكتوبر) في ربيع 1969 عندما ألقى عزل موسكو الإجباري لدوبتشيك من منصبه بظلال اليأس المطلق على البلاد، اليأس الذي تحدث عنه بالاخ في رسالة الوداع.[13]

لقد استدعت شعلة بالاخ في الذاكرة الجمعية للتشيكيين نهاية المصلح يان هس Jan Hus الذي أُعدم حرقًا عام 1415، وهناك تداعيات أخرى أقوى. تلك التداعيات التي تربط الأحداث في تشيكوسلوفاكيا بقوة بأنماط التحرك العالمي لحركة اليسار "68"، ووتندرج تحتها صور حرق الذات التي أسفر عنها الاحتجاج على حرب فيتنام في سايغون وواشنطن ونيويورك في السنوات الماضية. وربما تسربت إلى براغ معلومات قليلة عن ريزارد سيفييتش Ryszard Siwiec الذي أشعل النار في نفسه في الثامن من سبتمبر 1968 في وارسو أثناء الاحتفال بعيد الحصاد. كان احتجاج الفدائي السابق موجهًا إلى مشاركة بولندا في احتلال جمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية. لكن من غير الواضح إذا ما كان الرجل الذي قام بمسيرة بمفرده أراد بفعلته تلك أن يبتعد عن الحملة المناهضة للسامية التي كانت منتشرة منذ نصف عام في وطنه.

بولندا

التيار المناهض للسامية

حتى وإن كان نبأ الروح الجديدة التي أصر من خلالها الطلاب منذ خريف 1967 في براغ على حقوقهم لم ينتشر بنفس سرعة انتشار صور الثورة في الغرب، فلم تكن الحفنة الثائرة في وارسو التي تجمعت في نهاية شهر يناير عام 1968 أمام النصب التذكاري لأمير الشعراء البولندي آدم ميكيفيتش (Adam Mickiewicz)1798 – 1855 غير متأثرة تمامًا بالاضطرابات السياسية في البلدان المجاورة بالجنوب.[14] إذ حدث في مساء هذا اليوم عرض مسرحيته الثورية الداعية إلى الحرية "عشية الأجداد" لآخر مرة على المسرح الوطني. ولم يكن سبب استبعاد المسرحية من العرض ضعف إقبال الجماهير، بل يتردد أن قادة الحزب لاحظوا أن الجمهور يصفق بشدة إعجابًا بالمشاهد التي تنتقد روسيا؛ لهذا تظاهرت مجموعة صغيرة من الطلاب بتشجيع من آدم ميكيفيتش وهندريك زتسليفر Hendryk Szlajfer ضد تلك الرقابة. وقد وقع على العريضة الموجهة إلى مجلس النواب ثلاثة آلاف شخصًا. وفي نهاية شهر فبراير اتخذ اتحاد الكتاب من هذا الأمر سببًا لمناقشة نقدية عن السياسة الثقافية لنظام غومولكا Gomulka . لم يدخر الملحن والموسيقى والمؤلف ستيفان كيسلفسكي Stefan Kisielewski الكلمات المناسبة للتعبير عما يحدث حين قال: "دكتاتورية الأغبياء تسود. الرقابة دولة داخل الدولة، الرقابة مؤسسة سرية غير شرعية. تقييد الثقافة عمل تخريبى."[15]

كما ساهم قيام شخصيات من وزارة الداخلية بعد بضعة أيام بضرب كيسلفسكي ضربًا مبرحًا أيضًا في جذب الاحتجاجات لحشود عبر العاصمة؛ حيث اتجه طلاب الجامعات والمعاهد العليا من مدينتي كراكوف وبرسلاو يحملون عرائض إلى الحكومة. وعندما تسربت لاحقًا أخبار تفيد بطرد ميشنك وزتسليفر من الجامعة خطط طلاب وارسو لمسيرة احتجاجية في الثامن من مارس.[16] وعلى الرغم من قرار رئيس الجامعة بحظر التجمعات فقد ظهر حوالي 4000 متظاهر - و ظهر كذلك حوالي 500 من ميليشيات العمال المعينين للدفاع عن "الثورة المضادة " فوق شاحنات. وعلى مرأى ومسمع من حوالي 200 رجل شرطة قامت الميليشيات بالتعدي على المتظاهرين داخل الحرم الجامعي، ومن أراد الهروب كان يُعتقل.

صُدم الطلاب من وحشية الاعتداء عليهم بيد أن تلك الوحشية لم تعرقلهم عن استكمال مسيرتهم. ففي اليوم التالي خرج حوالي 20 ألفًا في مسيرة عبر وسط مدينة وارسو مرددين هتافات "تسقط الرقابة"، "تحيا تشيكوسلوفاكيا". من جديد هاجمت قوات الأمن المتظاهرين بالهراوات والأصفاد. كان من بين المعتقلين جيسيك كرون Jacek Kuro´n وكارول مودلسكي Karol Modzelewski اللذان انتقدا نظام الحكم عام 1964 وشجبا في خطاب عام موجه إلى حزب العمال البولندي الموحد سيطرة القيادات الحزبية الشيوعية على طبقة العمال وسرعان ما انتشر خبر هذا الخطاب في الغرب (نقل إليهم في البداية إعجاب التروتسكيين الفرنسيين ثم المناهضين للسلطة حول دانييل كوهين بنديت).[17] وعندما صدر حكم بحبس أستاذي الجامعة لمدة ثلاث سنوات وثلاث سنوات ونصف، خرج العديد من المثقفين في مسيرات احتجاجية وحدث حراك جماهيري حقيقي.

في الحادي عشر من مارس 1968 خرج آلاف الطلاب من جديد في مسيرات لكنهم توجهوا هذه المرة إلى مقر الحزب.[18] هناك قامت قوات الشرطة بضرب المتظاهرين في حضور الرفاق ونتيجة لذلك ألقى المتظاهرين الحجارة على الشرطة. وقد استمرت معركة الشوارع حوالي ثماني ساعات. وخلال تلك المعركة نعت عمال المصانع الطلاب بالطابور الخامس – تماشيًا مع معاداة السامية، كشعارات معادية للصهيونية، تلك الشعارات التي أطلقها رئيس الحزب فلاديسلاف غومولكا عقب حرب الستة أيام بين العرب وإسرائيل في صيف 1967.[19]

في البداية لم تكتب الصحف عن المسيرات الاحتجاجية، لكن سرعان ما اتضح أن الاحتجاجات الطلابية لم تعد قاصرة على وارسو؛ حيث خرجت مظاهرات في غدانسك، كراكوف، بوزنان، فروتسواف، وودج. ليس فقط بسبب هراوات الشرطة وخراطيم المياه والغاز المسيل للدموع، بل كذلك بسبب التقنيات التي استخدمها الطلاب ظهر تشابه المشاهد في بولندا في تلك الأيام مع الصور المألوفة في الغرب: الاعتصامات واللافتات والشعارات والكلمات الساخرة عن الصحافة الصامتة.

أثبتت صحيفة "تريبونا لودو"Trybuna Ludu بعد فترة من التفكير مدى مشروعية الغضب الطلابي في الإعلام بتأكيدها أن أحداث الحادي عشر من مارس كان مخططًا لها

جيدًا.[20] ووصف عضو بالحزب كلا من آدم ميشنيك وكارول مودلسكي المعتقلين في ذلك الوقت بالمحرضين على تلك المظاهرات.

تطورت المظاهرات في واقع الأمر على مستوى البلاد دون تنسيق. وما دعا إلى الدهشة حتي بالنسبة للنشطاء[21] أنفسهم هو اكتشاف تشابه أفكار المشاركين في الاحتجاجات إلى حد التطابق وذلك بعد مناقشات دامت عامًا بين مجموعات كبيرة ومجموعات صغيرة. لقد أربكت عفوية الحركة بصفة خاصة الحزب، لكن قيادة الحزب لم تستطع الاعتراف بفقدها القدرة على التحكم في الجامعات وكذلك في جمهور المثقفين.

كانت الحملة ضد "الصهاينة المحرضين" (بعض قادة الحركة الطلابية من أصول يهودية) التي دعمها وزير الداخلية ميتشسلاف موتسار Mieczyslaw Moczar من ناحية مجرد محاولة للسيطرة على الأزمة الحالية باستخدام تكتيك كبش الفداء الكلاسيكي، ومن ناحية أخرى سنحت بهذا فرصة طيبة للمنافس القوي لرئيس الحزب غومولكا لإتمام الإبعاد المٌدبر منذ سنوات للرفاق اليهود المنبوذين من أجهزة الدولة بصفة نهائية. وتحت ذريعة أن الصهاينة يستغلون الطلاب السُذج سياسيًا طالبت صحيفة "تريبونا لودو" بتطهير كامل للحياة العامة من أعداء واقعنا الاشتراكي. "الفلسفة العدمية" و"اللاقومية" لا بد أن يتوقفا عن تسميم عقول وقلوب الشباب.[22]

كشفت وسائل الإعلام الموجهة طوال فصل الربيع طوفانًا من المؤامرات الصهيونية التي كانت سببًا لما يحدث في بولندا كما تردد. وبينما تنازل رئيس مجلس الدولة إدوارد أوخاب Edward Ochab عن منصبه بحجة مشاكل صحية، فإن موتار في الواقع وتحت انطباع المعاداة الوحشية للسامية، استطاع أن يثبت كيف تعمل أجزاء كبيرة من أجهزة الدولة والحزب على إعاقة خططه. "الطلاب مكانهم قاعات المحاضرات"، "الأدباء سلاحهم القلم،" الصهاينة مآلهم صهيون" هذا نص إحدى الشعارات التي لاقت إعجاب الكثير من أعضاء الحزب. وبينما كان الطلاب يتظاهرون، طالب رئيس الوزراء جوزيف سريكوفيتش Józef Cyrankiewicz في خطبته أمام مجلس النواب اليهود البولنديين بمغادرة البلاد. وبالفعل هاجر تحت ضغط الحملة وحتى صيف العام التالي ما يزيد

عن 11 ألف شخص من بينهم فنانون وعلماء ومدرسون بالجامعات ومثقفون. وحتى منتصف السبعينيات غادر البلاد معظم اليهود الذين لم يهربوا من بولندا في سنوات ما بعد الحرب وأخذ مقتنصو الفرص الموالون للحكومة وظائفهم ومساكنهم، وفي الجامعة تحدث الجميع عن معلمي 68.

في الرابع والعشرين من مارس – كانت موجة الاحتجاجات تشمل في تلك الأثناء كل الجامعات وفي الوقت نفسه أُقيل العديد من المتآمرين الصهاينة من مناصبهم – شجب الأساقفة الكاثوليك استخدام العنف وانتهاك الكرامة الإنسانية، حيث كانت الحركة الطلابية تسعي إلى الحصول على الحق الطبيعي في الحقيقة والحرية.[23] مثل موقف الأساقفة بداية للتقارب؛ إذ لم يحدث أبدًا حتى ذاك الوقت مثل هذا التحالف بين الكنسية والمثقفين اليساريين المناهضين لسيطرة القساوسة. في حين لم يتخذ الأساقفة الكاثوليك موقفًا من الحملة المعادية للسامية.

بعد مرور اثنتي عشر عامًا بات الوضع مختلفًا تمامًا؛ حيث لم يكن قادة الكنيسة حازمين بالقدر الكافي لمساعدة قوى المعارضة بشكل مؤثر. وفي الثامن والعشرين من مارس 1968 خرجت آخر مظاهرة في وارسو. من جديد طالب ثلاثة آلاف شاب بنهاية الرقابة وبنقابات عمالية حرة وحركة شبابية مستقلة عن حزب العمال البولندي المتحد. جاء رد فعل الحكومة متمثلاً في إغلاق أقسام كاملة بالجامعة؛ فكانت النتيجة خضوع سُبع الطلاب للرقابة على التسجيل بالجامعة ورفض تسجيل أربعة وثلاثين طالبًا بالجامعة. وفي العاشر من أبريل قام سينكيفيتش بتقييم الأوضاع رسميًا: اعتُقِل 2739 شخصًا في بولندا أثناء ما يُعرف باضطرابات مارس، أُطلق سراح 1850 منهم خلال 48 ساعة نظرًا لعدم كفاية الأدلة.[24] لم يذكر رئيس الوزراء أي شئ عن المعتقلين الآخرين البالغ عددهم ألف تقريبًا.

لم يُشكل إخماد الثورة الطلابية القصيرة القوية نهايةً للحركات المعارضة في بولندا. فقد حسم غومولكا مصيره السياسي عندما أمر في ديسمبر 1970 بإطلاق النار على العمال المتظاهرين في حوض بناء السفن بمدينة غدانسك – لكن موتار لم يخلفه في منصبه، بل إدوارد جيرك Edward Gierek بمباركة من موسكو، كذلك تعين على سينكيفيتش

الرحيل. وسرعان ما سمع العالم مجددًا عن بعض النشطاء الطلابيين والمثقفين الناقدين من حركة عام 1968 ممن بقوا في بولندا، ففي عام 1976 شُكلت لجنة للدفاع عن العمال، وعندما تضامنت النقابة وتولت منذ عام 1980 الكفاح كان آدم ميشنيك، جيك كورون وكارول مودلفسكي قد عادوا إلى مناصبهم من جديد.

إذا نحينا تغير القيم الأخلاقية والاجتماعية الذي شمل بمرور الستينيات المجتمعات الصناعية المنتمية للاشتراكية الحقيقية جانبًا[25] تبقى التغييرات في أسلوب حياة الشباب البولندي من حيث البيئة الدراسية والمدنية متواضعة.[26] بالتأكيد كان يوجد في بولندا أيضًا بعض الهيبيين لكن مظهرهم كان غريبًا بالنظر إلى هروب الشباب الجماعي من الواقع الذي وصل إلى ألمانيا الشرقية منذ فترة طويلة. على الرغم من أن الستار الحديدي هناك مؤمن أقصي درجات التأمين فإن الأفكار والقيم الغربية كانت تحتل مكانًا راسخًا في عقول الكثير من الشباب في ألمانيا الشرقية في منتصف الستينات.

ألمانيا الشرقية

المراقبون المتضررون من موسيقى البيت

لم تشهد مدينة لايبزيج عيد إصلاح مثل ذاك اليوم؛ حيث واجه مئات الشباب في الحادي والثلاثين من أكتوبر 1965 ضربات رجال الشرطة بدافع حبهم لموسيقى البيت. كان السبب وراء ذلك هو قرار مجلس الدائرة بسحب تصريح أداء حفلات لخمسين فرقة موسيقة من فرق الهواة ومن ثم حظر تلك الفرق الموسيقة.[27] تمثل الهدف من القرار في منع الموسيقى الغربية على منصات الحفلات في ولاية سكسونيا في المستقبل. نتيجة لهذا القرار دعا طالبان بقصاصات ورقية مكتوبة بخط اليد إلى مسيرة احتجاجية، غير أن خطتهما لم تحظ بشعبية سوى عندما علم بها أمن الدولة وحذر منها المدرسين في المدارس الثانوية وهكذا ظهر في الموعد قبيل ظهيرة يوم الأحد ما يزيد عن 800 عاشق حقيقي لموسيقى البيت وعدد مماثل كذلك من ممثلي الشباب الألماني الحر وعملاء أمن الدولة ومتفرجين فضوليين وعدد كبير من شرطة مكافحة الشغب مصطحبين خراطيم المياه والكلاب.

بينما لم يحمل محبو فرقة "Butlers" الموسيقة وغيرها من الفرق الموسيقية الأخرى في لايبزيج لافتات بحوزتهم، فقد أثبتت قوات الشرطة أنها وحشية للغاية؛ إذ أسفرت تلك المسيرة عن اشتباكات وجرى اعتقال 267 شابًا، بل وحُلِق شعر بعض المعتقلين أثناء احتجازهم علي ذمة التحقيقات واختفى حوالي مائة معتقل، بعضهم دام غيابه عدة أسابيع حيث أُجبروا على العمل في منطقة مناجم الفحم في لايبزيج.[28]

لم يكن هناك ما يفسر هذا التصرف الجائر للوهلة الأولى. وفي "لقاء شباب ألمانيا" ببرلين الشرقية بمناسبة عيد العنصرة عام 1964 استمع نصف مليون زائرًا إلى موسيقى البيت عبر محطة الإذاعة DT 64 التي تأسست خصيصًا لهذا الغرض (وأصبحت منذ ذلك الحين مشهورة للغاية) ولم تمر ستة أشهر حتى طرحت شركة التسجيلات الألمانية أميجا Amiga أول اسطوانة لموسيقى فريق البيتلز بالأسواق. وفي غضون ذلك سيطر الشك على قيادة الحزب تجاه هذا النوع من التنازلات وهو ما يمكن الاستدلال عليه من

هذا الهجوم على "المتسكعين والعناصر المشابهة لهم" الذين شُنت ضدهم حملة صحفية على مستوى ألمانيا الشرقية.

بعد مرور يومين على ثورة البيت في لايبزيج اتضح لفالتر أولبريشت Walter Ulbricht أن المجلس المركزي للشباب الألماني الحر جانبه الصواب حين ظن أن "الموسيقى الغربية وموسيقى البيت لا يمكن أن يكون لها تأثير ضار علينا على عكس الحال في ألمانيا الغربية." و ربما تكون أعمال الشغب واسعة النطاق التي وقعت في حفل فريق رولينج ستونز بمسرح الغابة في ألمانيا الغربية قد ساهمت في تكوين تلك الرؤية لدى رئيس الحزب. على أية حال أعلنت الجمعية العامة الحادية عشر للجنة المركزية للحزب الاشتراكي الألماني الموحد في ديسمبر 1965 عن تغيير جذري في السياسة الثقافية والشبابية. بعد تلك الجمعية العامة الحاسمة كما يطلق عليها كان لا بد وأن تنتهي موجة هذه الموسيقى الرتيبة التي تكرر الكلمات "Yeah,Yeah,Yeah" على حد قول أولبريشت. بدلا من "نسخ كل قذارة واردة من الغرب" طالب رئيس الوزراء بثقافة جديدة رائدة لعصر الاشتراكية. بالطبع لم يكن عشاق موسيقى البيت متحمسين لهذا الطلب. وتجنبوا بقدر الإمكان برامج منظمة الشباب الألماني الحر من خلال التجمع في نقاط التقاء شبه سرية متواضعة التجهيز – أو السفر إلى براغ.

في منتصف الستينيات تحديدًا بدأت جمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية تصبح وجهة مفضلة للألمان الشرقيين.[29] وكانت العاصمة بصفة خاصة تمثل لتلاميذ المدارس وطلاب الجامعات والفنانين والمثقفين نوعًا من البديل عن الغرب؛ حيث كانوا يرون في العاصمة أشخاصًا من جنسيات مختلفة ويلتقون بأصدقاء وأقارب من ألمانيا الغربية ويمكن أن يشاهدوا في دور السينما أفلامًا أمريكية في نسختها الأصلية كما كان بإمكانهم الحصول على الصحف والكتب الغربية. وعندما حل الربيع في مدينة براغ عام 1968 باتت المدينة فجأة تجسيدًا لتلك الفكرة التي ظلت تسحر الكثيرين في ألمانيا الشرقية: إن الاشتراكية الإنسانية ليست أمرًا مستحيلاً.

من منظور قيادة الحزب الاشتراكي الألماني الموحد مثل هذا خطر العدوى خاصة بالنسبة للطلاب وأنصار الثقافة الاشتراكية الذين بدأوا في تلك الأثناء يناقشون التجربة

التشيكية بشكل قاطع في منازلهم. كما ظهرت أولى الترجمات لنصوص الإصلاح الشيوعي – وكتب فولف بيرمان Wolf Biermann قصيدة عنواها: "مجتمع باريسي في براغ".

حتى تلك الفترة كان مكتب السفر الحكومي بألمانيا الشرقية قد حذف الأجازات القصيرة في الدول المجاورة من برنامجه، في حين كانت الرحلات إلى تشيكوسلوفاكيا ممكنة عن طريق الشركات الخاصة وتحتاج إلى تأشيرة. ومنذ بداية شهر مايو شكلت الصحف جبهة ضد أتباع دوبتشيك، لكن هذا لم يمنع الألمان الشرقيين من السفر إلى الجنوب بأعداد كبيرة في أجازة صيف 1968؛ وبصفة خاصة الشباب – لم يقتصر الأمر على طلاب الجامعات فقط، بل شمل أيضًا طلاب الدبلومات والعمال الذين استخرجوا التأشيرات بأنفسهم. وكانوا هم من وجهوا أشد رد فعل تجاه خبر غزو قوات حلف وارسو.

وبينما روجت الصحافة أن ألمانيا الشرقية تنفست الصعداء على خلفية قمع القوى المناهضة للاشتراكية في جمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية وإلحاق هزيمة مناسبة بهم، ظهرت في عدة أماكن علامات المعارضة:[30] فعلى الطريق السريع بالقرب من قرية هينينجسدورف احتشد أشخاص غير معروفين ممسكين بملاءة سرير مكتوب عليها "الحرية لدوبتشيك"، وفي مدينة إيرفورت عبر مائتا شاب تقريبًا عن غضبهم بالهتافات، كما طالب أحد مواطني مدينة هاله أمام مسرح الصداقة بإعادة التفكير فيما يحدث مستشهدًا بكلمات لينين، وفي مدينة دريسدن كتب ثلاثة شباب آلاف المنشورات تحمل شعارات مثل: "تحلوا بالشجاعة لقول الحقيقة". بينما عد إحصائيو أمن الدولة في برلين الشرقية عدد 272 كلمة سر في حوالي 212 موضعًا، تسببت مجموعة من الشباب بصفة خاصة في إحداث ضجة: معظمهم أبناء أعضاء بارزين بالحزب الاشتراكي الألماني الموحد مثل توماس براش Thomas Brasch، روزيتا هونتسيجر Rosita Hunzinger، إيريكا بيرتولد Erika Berthold، وفرانك وفلوريان ابنا هيفمان، اللذان أُلقي القبض عليهما لكتابتهما المنشورات بخط أيديهما وحُكم عليهما بالحبس لمدة تتراوح بين عام وعامين.

لكن الأوضاع في ألمانيا الشرقية لم تصل إلى أحداث درامية مشابهة لمظاهرات بعض الشباب الشجعان بالساحة الحمراء بموسكو التي قُمعت بوحشية على الفور. أثناء النقاشات السياسية في المؤسسات كان يوجد الكثير من التبرم على الرغم من أن المعارضة

الصريحة لطريقة قراءة الأحداث رسميًا ظلت على استحياء. واحتفظ كبار السن بصفة خاصة برأيهم لأنفسهم – كما أظهرت إحصائية المدعي العام لألمانيا الشرقية في أكتوبر 1968 التالي: تفيد الإحصائية بأن ثلاثة أرباع المدعى عليهم جنائيًا بسبب ثبوت تعاطفهم مع جمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية البالغ عددهم 1189 لم يتجاوزوا سن الثلاثين. ويمثل العمال الشباب الأغلبية الساحقة من هؤلاء "المجرمين": في حين تُقدّر نسبة المثقفين بـ 1,7% فقط، وتقدر نسبة تلاميذ المدارس وطلاب الجامعات بـ8,5%.[31] على ما يبدو أن الحذر السياسي في ألمانيا الشرقية ليس سوي نتاج للسياسة التعليمية.

في مايو 1968 كان يمكن الشعور بنسمات قليلة من ربيع براغ في الجامعات والمعاهد العليا بألمانيا الشرقية وبصفة خاصة من قِبل المراقبين المتمرسين. وهكذا سجل أمن الدولة بجامعة همبولدت موجة من الديمقراطية بين طلاب الحقوق بتشجيع من المظاهرات الطلابية في جمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية وألمانيا الغربية وبولندا وفرنسا وعبّر بعض الزملاء عن رأيهم باللافتات والملصقات. في شهر يوليو نوقش الوضع بطريقة استراتيجية تحت تأثير أمن الدولة داخل رابطة الطلاب البروتستانت بشرق برلين، وظهر هناك ضيوف شرف من تشيكوسلوفاكيا، وخلص الحاضرون إلى نتيجة مفادها أن أعمال الشغب التي نظمها الطلاب في بولندا لا يمكن حدوثها في جامعة همبولدت من ناحية لأن الموقف غير مناسب ومن ناحية أخري لأن مثل هذا التصرف ستكون عاقبته على الفور الدخول في مواجهة مع سلطة الدولة؛ لذلك لا بد أن نسلك الطريق الذي اتبعته جمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية. ومن ثم لا يجب معارضة الحزب الاشتراكي الألماني الموحد تمامًا على الفور، بل المضي قدمًا مع الحزب وإجباره على مناقشة الأخطاء، الأمر الذي من شأنه أن يؤدي إلى جدال داخل قيادة الحزب.[32]

تمثل نهاية ربيع براغ شرخًا عميقًا ليس فقط للجيل الذي ولد مع نهاية الحرب ولا داخل ألمانيا الشرقية فقط. لكي نقول هذا تطبيقًا على نموذج ألمانيا الشرقية؛ فإن الآمال التي تحطمت في تلك اللحظة التاريخية أو على الأقل تجمدت،[33] تتنوع ليس فقط حسب درجة الحماس الذي صاحب تجربة تشيكوسلوفاكيا، بل كذلك حسب المرحلة العمرية والوضع الاجتماعي. على النقيض من أنصار جيل البناء فإن الارتداد السياسي لم يكن بأهمية الجمود الاجتماعي والثقافي بنفسه بالنسبة لجيل الطلاب آنذاك وخاصة الأصغر

سنًا. واستمرت التغييرات في أسلوب الحياة من خلف الستار الحديدى على الرغم من أن هذه التغيرات لم يصل منها إلى عقلية كبار السن سوى قدر ضئيل أقل من الغرب.

يبدو أن إيقاف التحرر السياسي في الشرق شجع على تشكيل ثقافات فرعية ومجتمع منعزل متنوع بدرجة أقوى من الوضع في الغرب بعد نهاية الحركة الاحتجاجية. وهو ما يسري بالتأكيد بالنظر إلى الثقافة اليومية والثقافة الاستهلاكية. ومثلما لم تتمكن الجمعية العامة الحاسمة من القضاء على حب موسيقى البيت سوى بقدر ضئيل –حلت في الأول من مايو 1966 المطربة الأمريكية جوان بيز Joan Baez ضيفة على شرق برلين[34] - هكذا وصل الذوق الموسيقي الغربي وطراز الحياة الغربية لكثير من الشباب إلى ألمانيا الشرقية بقدر ضئيل. ظلت موسيقى البيت وتطورها حتى العقد الأخير من عمر ألمانيا الشرقية نموذجًا لردود الفعل الدفاعية[35] للطبقة البرجوازية التي دائمًا ما تواجه بالصبر، لكنها لا تُقبل. وقد ارتبط بذلك أيضًا عدم الاهتمام الذي نظرت به الحركة المناهضة للسلطوية في الغرب على تطور الأحداث في الشرق منذ فشل براغ وضياع بولندا.

هوامش :

1 - اقتباس منقول عن Kurlansky، 1968، صفحة 11

2 - أصبح سيك أثناء ربيع براغ منسقًا للإصلاحات الاقتصادية ونائبًا لرئيس الوزراء، للاطلاع على نظريته الاقتصادية قارن نفس المرجع السابق

3 - اقتباس عن Botho Kirsch: عندما دمرت الدبابات حلم، في صحيفة فرانكفورتر ألجماينا تسيتونج بتاريخ 1998/08/21، صفحة 11

4 - بهذا المعنى المعاصر Spender، الثوار، صفحة 95.

5 - قارن بـ Günther Bartsch: الثورة والثورة المضادة في أوروبا الشرقية 1948 – 1968. بون 1971، صفحة 282؛ Judt، أوربا، صفحة 495؛ Mark Kramer: أزمة تشيكوسلوفاكيا وعقيدة بريجنيف في مجلة Fink، 1968 صفحة 111 – 171.

6 - قارن ما يلي بصفة خاصة بـ Pauer، براج، صفحة 22

7 - قارن بـ Jaromir Navratil: الخلفيات التاريخية لإصلاحات تشيكوسلوفاكيا عام 1968 و جوانبها الدولية في مجلة 1968 ، Francois، صفحة 95 – 101، هنا صفحة 99، بالإضافة إلى Pauer ، براج، صفحة 45

8 - قارن بـ 1968 ،Kraushaar، صفحة 76؛ Wolf Oschlies: تاريخ ومسار وأهمية ربيع براغ 1968، في Peter Gosztony (الناشر): ثورات تحت النجم الأحمر. بون 1979، صفحة 265 – 349، هنا صفحة 305.

9 - مطبوعة Berliner Extradienst، بتاريخ 1968/03/27، اقتباس عن Kraushaar، صفحة 85.

10 - اقتباس عن Kraushaar، صفحة 97.

11 - قارن Schneider، الربيع، صفحة 108.

12 - قارن Pauer، براغ صفحة 233، كذلك فيما يلى.

13 - قارن Christiane Brenner: "وفاة الاشتراكية ذات الجانب الإنسانى". Jan Palach في Silke Satjukow/ Rainer Gries (الناشرين): أبطال الاشتراكية. التاريخ الثقافي للشخصيات الدعائية في أوربا الشرقية وألمانيا الشرقية. برلين 2002، صفحة 256 266-؛ قارن كذلك تقرير شاهد العيان Christian Schmidt-Häuer: شعلة الضمير، في صحيفة Die Zeit بتاريخ 1999/01/14، صفحة 8.

14 - قارن فيما يلى Jerzy Eisler: مارس 1968 في بولندا، في مجلة 1968 ،Fink صفحة 237 – 251؛ موجزة لكن نادرة Judt، تاريخ صفحة 487 – 491؛ Csaba Janos Kenez: الحركات المعارضة في بولندا 1956 – 1981 في Gosztony، ثورات (مثل ملحوظة رقم 8) صفحة 203 – 263، هنا صفحة 231.

15 - اقتباس عن المرجع السابق صفحة 232

16 - قارن 1968 ،Kraushaar صفحة 72 – 75؛ 1968 ،Kurlansky، صفحة 143، كذلك فيما يلى.

17 - السيرة الذاتية Jacek Kuron: الإيمان والذنب. الشيوعية والعودة. برلين/ فايمر 1991 صفحة 329؛ Kenez ، الحركات المعارضة (مثل الملحوظة رقم 14)

18 - قارن 1968 ،Kurlansky صفحة 144.

19 - قارن في هذا و فيما يلى Kosmala، الطرد؛ Ingo Loose: 1968. صور الأعداء المناهضة للسامية والوعي بالأزمة في بولندا، في Silke Satjukow/ Rainer Gries (الناشرين): أعداؤنا. تكوين الأخر في الاشنراكية، لايبزج 2004، صفحة 481 – 502 ؛ Dariusz Stola: القتال ضد الظلال. حملة 1968 المناهضة للصهيونية في: Blo-baum, Robert (الناشر): معاداة السامية ومعارضوها في بولندا الحديثة، Ithaca 2005، صفحة 284 –

.300

20 - صحيفة Trybuna Ludu بتاريخ 1968/04/03، قارن 1968 ، Loose (مثل ملحوظة رقم 19) صفحة 487.

21 - هذا ما ذكر عند 1968 ،Kurlansky، صفحة 144 – 148 مصحوبًا ببعض المقابلات.

22 - كما جاء في ملحوظة رقم 20، و يسري كذلك على ما يلى.

23 - قارن Kenez ، الحركات المعارضة (مثل ملحوظة رقم 14) صفحة 233

24 - معلومات منقولة عن 1968 ،Kraushaar، صفحة 75.

25 - قارن كتقرير موجز لـ Wolfgang Engler: المتناقض والمتوازى في 1968 ،Francois، صفحة 108.

26 - دور الموسيقي قارن Jerzy Wertenstein-Zulawski: إنها ليست سوى موسيقى الروك أند رول، وارسو .1990

27 - فيما يلى بصفة خاصة Yvonne Liebing: كل ما تحتاجه موسيقى البيتلز. ثقافة فرعية شبابية في لايبزج 1957 – 1968. لايبزج 2005؛ Wierling، السنة 1.، صفحة 215 – 242، بالتحديد صفحة 229، Ohse، الشباب.

28 - قارن Wierling، السنة 1، صفحة 220.

29 - فيما يلى Stefan Wolle: الثورة الفاشلة. ألمانيا الشرقية وعام 1968 في مجلة ApuZ، مجلد رقم 23/22 (2001)، صفحة 37 – 46، هنا صفحة 43.

30 - المعلومات التالية نقلا عن 1968 ،Kraushaar صفحة 229 – 232؛ Ilko-Sascha Kowalczuk: من لا يعيش في خطر ... „الحركات الاحتجاجية ضد التدخل العسكرى في براغ وعواقب عام 1968 على المعارضة في ألمانيا الشرقية في: Henke, Klaus-Dietmar/ Stein

bach, Peter/ Tuchel , Johannes (الناشريـن): المقاومـة والمعارضـة في ألمانيـا الشرقيـة. كولـن 1999، صفحـة 257 – 274.

31 - قارن Kowalczuk، الحركات الاحتجاجية، صفحة 262.

32 - اقتباس عن Wolle، الثورة، صفحة 45 (مثل ملحوظة رقم 29).

33 - قارن Hartmut Zwahr: أجنحة السنونو المتجمدة. ألمانيا الشرقية و ربيع براغ. مذكرات أزمة 1968 – 1970. بون 2007.

34 - قارن Lutz Kirchenwitz: عام 1968 في الشرق ماذا يخص ألمانيا؟ في مجلة ApuZ ، مجلد 45 (2003)، صفحة 6.

35 - قارن Michael Rauhut: موسيقى البيتلز في منطقة الشفق. موسيقى الروك في ألمانيا الشرقية 1964 حتى 1972. السياسة والحياة اليومية، برلين 1993.

الفصل الخامس

ما كان وما بقي؟

"يبدو لي أن أطفال القرن القادم سيدرسون أحداث عام 1968 مثلما درسنا نحن عام 1848. "حنا أرندت في رسالة إلى كارل وجيرترود جاسبرس في 26 يونيو 1968.[1]

"أنا آخر من يقلل من نجاح الحركة الطلابية، لكنها تختلط بقليل من الجنون الذي تتأصل فيه الشمولية ولا يعد تكرارًا – على الرغم من أن هذا ممكن." تيودور أدورنو يوم وفاته في رسالة إلى هيبربرت ماركيوز بتاريخ 6 أغسطس 1969.[2]

"في السنوات الأخيرة خشي البعض في تلك الدولة من أن تسلك الديمقراطية الألمانية الثانية مسار الديمقراطية الأولي نفسه. لكني لم أعتقد هذا أبدا. واليوم أعتقد هذا بدرجة أقل. لا: نحن لسنا في نهاية ديمقراطيتنا، بل إننا نبدأ الآن بشكل صحيح.

"فيلي براندت في تصريح حكومي بتاريخ 28 أكتوبر 1969.[3]

ما زال السؤال عما كان في "عام "1968 موضع خلاف حتى الآن. والسؤال عما تبقى من عام 1968 مثار جدل لا ينتهي. وحده ذلك العدد الهائل من الأسماء المنتشرة لوصف أحداث هذا العام يسهم في كلتا الحالتين. الأمر الذي يُعد، قبل دخول أحكام تقييمية واضحة في اللعبة، بمثابة مؤشر على أنه من الصعب التعبير عن الأحداث باسم واحد فقط: الحركة الطلابية، تمرد الشباب، ثورة الأجيال، احتجاج اجتماعي، إصلاح أسلوب الحياة، ثورة ثقافية – فكل اسم من تلك الأسماء له مبررات إذا نظرنا إليه عن كثب، كما تعطي كل كلمة من تلك الكلمات معنى إذا وضعناها في سياقات أخرى. لكن هذا يوضح أنه بعد مرور أربعة عقود لم تُفسر أحداث 1968 بعد، بل هي في حراك وما زالت تنتمي إلى الحاضر أكثر من كونها تاريخًا مضى.

الأسباب الكامنة وراء ذلك واضحة؛ إذ إن أبناء جيل 1968 على الرغم من أنهم اقتربوا في تلك الأثناء من سن التقاعد أو تقاعد جزء منهم بالفعل، فإنهم كانوا نشطاء في المجتمع، ولهم حضور سياسي – وانشغل الغرب بصفة عامة وألمانيا الغربية بصفة خاصة بالتفسير الذاتي لهذا الجيل بطريقة لا مثيل لها بعد الحرب العالمية الثانية. وهم يواصلون بهذا ما جرى ملاحظته وقت الثورة. قبل وجود عام 1968 باعتباره رمزًا ومصطلحًا كان المجتمع الدولي لداعمي الحركات الاحتجاجية يفخر بنفسه. وهذا الفخر مستحق له حتى الآن، وإن كان فخرًا مخزيًا.

إن الفكرة التي كان يتحدث عنها الجميع تقريبًا آنذاك ومفادها أنهم جزء من جيل ذي طبيعة خاصة[4] كانت معروفة من المنظور التاريخي، فقد دفعت ألمانيا وأوربا بالتحديد في النصف الأول من القرن العشرين ثمنًا باهظًا مقابل تلك الأفكار، غير أن الجديد كان يتمثل في الانتشار العالمي للمطالب الشكلية التي صيغت عام 1968، والانتماء للذات والجديد كذلك تلك المبالغة في كل شيئ؛ الثقة غير المحدودة في قوة هذا الجيل والتوقعات الكبيرة بالقدرة على تغيير العالم والإيمان بالمثالية وبالإنسان الجديد.

أجبر الكم الكبير من الخيال والقوة المعاصرين باستمرار على تأويل الذات حتى أصبح ذلك عادة. وجيل 68 هم أنفسهم محللو تلك الفترة؛ لذا كان الانتماء إلى جيل 68 يعني حينها وحتى الآن الحديث عن عام 1968 فيما بينهم ومع الأجيال التالية. الأمر الذي يعني التدقيق من جديد في نتائج كل الأحاديث والخلافات والتحقق من دقة تفسير الأحداث. وهذا لايمثل عملًا تطوعيًا في مجال التاريخ، بل نرجسية في شكل عمل محدد على أسطورة جديدة على ما يبدو وذكريات حديثة. غير أنه لا يمكن الهروب من التأريخ بهذه الطريقة.

أفكار عام 1968

يُعد "عام 1968" بمثابة اختراع. بالطبع لم يكن عام 1969 فقيراً بالأحداث المهمة تاريخيًا، لكن "رقم الشفرة 68" (ديتليف كلاوسن Detlev Claussen) يعني القليل والكثير في الوقت نفسه؛ فهو لا يصف "حدثًا نقديًا وحيدًا"[5] وقع في هذا العام، ولا يصف إجمالي تلك اللحظات المعروفة عالميًا، ولا يصف فقط العديد من الأحداث المترابطة في فترات زمنية مختلفة المدة من حالة إلى حالة. إن عام 1968 يمثل أكثر من مجرد تجسيد لحدث حقيقي. عام 1968 يمثل مجال تداعيات لسمات المجتمع وتفسير الذات، ويمثل كذلك ملتقى مذدهرًا لا مثيل له، تجتمع فيه أقوال الجهات الفاعلة وآراء منتقديها وشهادات معاصريها وملاحظات الأجيال التالية. كما يمثل عام 1968 نتيجة للتحليل والخيال في الظاهر العالمي للتزامن.[6] هنا بالتحديد تكمن السمة التاريخية للأحداث.

ما يرتبط بعام 1968 من وجهة نظر المجموعات المشاركة في الاحتجاجات وموضوعات الاحتجاجات امتد كما رأينا في بعض الدول إلى أكثر من عقد من الزمان. ففي الولايات المتحدة الأمريكية لاحظنا البدايات في احتجاج المجتمع المدني عام 1960 المتجدد بوضوح والممتد على المستوى العرقي ضد التمييز العنصري – ثم التراجع السريع منذ عام 1970 على الرغم من استمرار الحرب في فيتنام. في جمهورية ألمانيا الاتحادية وتحديدًا في برلين الغربية بدأ الطلاب الحراك في منتصف الستينيات، وكانت ذروة الحركة الطلابية في عامي 1968/1967؛ أما التشكيلات التنظيمية في شكل مجموعات شيوعية فقد استمرت عقدًا أخر من الزمن، أما إرهاب جماعة الجيش الأحمر فاستمر مدة أطول. وفي اليابان بدأ الاضطراب داخل الجامعات أيضًا عام 1965 حتى بلغ ذروته عامي 1969/1968 ثم توقف سريعًا، وكذلك الإرهاب الذي بدأ عام 1970 اختفى تقريبًا بعد عامين. وفي إيطاليا شهد عاما 1967/1966 احتجاجات طلابية توسعت حتى عام 1968 ثم انتقلت من الجامعات إلى المصانع في الشمال عام 1969؛ وفي السبعينيات عانت البلاد من تحدي الإرهاب من كل حدب وصوب. في هولندا وإنجلترا وفي كل مكان ظهرت فيه الاحتجاجات أقوى ثقافيًا، بدأ هذا قبل منتصف الستينيات؛ ظهرت المطالب السياسية الطلابية في تلك الدول في عامي 1969/1968. وفي فرنسا اقتصر كل شيء بشكل أوضح في الغرب أكثر

من أي مكان أخر وبصفة خاصة في ربيع 1968. أما الاحتجاجات في براغ والبلاد الأخرى خلف الستار الحديدى فكانت في التقاليد المناهضة للاستالينية للتمرد الليبرالي ضد الاتحاد السوفيتي – و تخطت عام 1968 بالكاد واستمرت لمدة أطول من تمرد 1953 في برلين الشرقية و 1956 في المجر.

من يدرك أن 1968 ليست حقبة بل "عامًا غيَّر كل شيء"[7] بالنظر إلى المراحل التاريخية غير القصيرة، سيقبل بسهولة حقيقة أن دوافع الاحتجاجات – بغض النظر عن التطابق والتشابه في الأشكال – لا يمكن تعميمها.[8] إن تغير الأفكار والأسباب لا يعني بالضرورة أن للاحتجاج أسبابًا جديدة، فكثيرًا ما ينشأ هذا موضوع من ذاك. فعلى سبيل المثال حين نتحدث عن العنصرية: فقد انبثق عن الكفاح ضد التمييز العنصري تجاه السود في الولايات المتحدة الأمريكية حركة حرية التعبير "الحركة الأم للثورات الطلابية"[9] في بيركلي عام 1964، كما حدثت اضطرابات مارس 1968 في بولندا وقد ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بالحملة الوحشية المضادة للسامية لقيادة الحزب الشيوعي.

مثلت المطالبة بالحرية السياسية بصفة عامة نواة للحركات التي انطلقت خلف الستار الحديدي وكذلك في الديكتاتوريات الغربية (البرتغال، أسبانيا، اليونان، الحكم العسكري في أمريكا اللاتينية) على الرغم من أنها كانت عام 1968 ما زالت ضعيفة، في حين كان التمييز الاجتماعي والاقتصادي يلعب على النقيض الدور الرئيس في الاحتجاجات بالعالم الثالث التي انعكست في الغرب كنقد للرأسمالية والإمبريالية. إن التضامن اللفظي مع حركات التحرر في وسط وجنوب أمريكا وأفريقيا وآسيا ثم استخدام صناديق التبرع والوجود أحيانا في شكل مناضلين في المناطق الثورية كلها أمور تنتمي إلى المرجعية الأيديولوجية الثابتة للثورة. الشاهد على هذا أيقونة تشي جيفارا وهوتشي منه في الشوارع والمدن الجامعية بغرب أوربا (أقل في الولايات المتحدة الأمريكية)، وتشهد كذلك حكايات كوبا الحماسية للكتاب والمفكرين البيض في الأجزاء الثقافية بالصحف وفي صالونات المثقفين.

سادت السياحة الثورية بالقدر نفسه، وربما أكثر داخل الجامعات على جانبي المحيط الأطلنطي لتطرح بهذا أسئلة عن الطبقة الاجتماعية الأهم المشاركة في الثورات وعن

الأسباب الخاصة بتلك الثورات والترابط شبه القومي بينها وتؤدي إلى السؤال التالي: لماذا بالتحديد طلاب الجامعات، ولماذا في تلك الفترة الزمنية ولماذا في كل الدول الغربية؟

ترتد هذه الأسئلة فتوجه الانتباه إلى الوضع الاجتماعي والديمغرافي والفكري في منتصف الستينيات. ولاحت في الأفق أيضًا أول السحب التي تعلن نهاية فترة إعادة البناء العاصفة بعد الحرب العالمية الثانية، بحيث نضجت الفئة العمرية من آخر جيل 68 في فترة ما وتطورت بسرعة ودون توقف علي ما يبدو.

خلافًا لما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية فإن طفرة المواليد في أوربا التي كانت لا تزال تتضور جوعًا آنذاك لم تحدث مباشرة بعد عام 1945 بل تأخرت لمدة عقد من الزمن تقريبًا. لكن المجتمعات هنا وهناك أصبحت فجأة شابة للغاية. لقد كانت الستينيات كما وصفها إيريك هوبسبوم Eric Hobsbawms "السنوات الذهبية" في "العصر الذهبي"[10]؛ إذ لم تنقطع عقيدة التقدم والتكنولوجيا وبات العالم قابلاً للتشكل من كافة الجوانب. المدهش أكثر أن معظم الدول كانت تجد صعوبة في تربية هذا العدد الكبير من الشباب صغير السن وتعليمهم. واتضح من ناحية أن الاقتصاد والمجتمع في حاجة إلى موظفين وعمال مؤهلين بشكل أفضل، ومن ناحية أخرى كانت المدارس الثانوية والمدارس المتوسطة غير مستعدة فعلا للانفتاح المعلن عنه وللنمو السريع في الإعداد شأنها شأن الجامعات.[11] كما تفاقم سوء الأوضاع مع استمرار زيادة معدل المواليد بقوة في السبعينيات: كان طلاب الجامعات الجدد الكثيرون في النصف الثاني من الستينيات أول من واجهوا القصور في نظام التعليم الجامعي المنهك والمهمَل – ولم يلق أمر زيادة عائدات الضرائب بكثرة في بعض الفترات والمطالب المتزايدة على الدولة من أجل التعليم تفهمًا.

ورغم هذا فقد كانت الرؤية مخالفة للمنطق؛ إذ تأجج الوعي الثوري الجمعي بسبب السخط على هذا الوضع. على أية حال كانت الدراسة بالجامعة في فترة الستينيات تعد امتيازًا مجتمعيًا في كل مكان. وهذا الرأي صحيح قياسًا على حقيقة مفادها أن تلك الفرصة، لا سيما التوسع في فرص التعليم تعد تحديًا، قد ضاعت على 90% من الشباب من الفئة العمرية المستهدفة، على الرغم من أن أجزاء من اليساريين الجدد الذين تشكلوا تقريبًا منذ بداية الستينيات بصفة خاصة في الوسط الجامعي الأنجلوسكسوني والفرنسي

والألماني وضعوا آمالهم في الطلاب بسبب التقدير المتفائل للإمكانات المتواضعة المتوافرة بالجامعات وبدرجة أكبر بسبب الرؤية المتشائمة لطبقة العمال الراضية داخل قفص الاستهلاك الذهبي للرأسمالية.

جدير بالذكر في هذا الصدد الإشارة إلى أن الشبكات الفكرية والعلاقات الثقافية المتبادلة ضرورية فدونها ودون التغييرات الكبيرة في البنية الاجتماعية لا يمكن فهم الظاهرة العالمية "68". في الواقع يمكن قياس الأخيرة بسهولة أكبر من تأثير الأفكار المتدفقة، لكن علي سبيل المثال حضور رابطة الطلاب الألمانية الاشتراكية عام 1962 في بورت هورن أو عام 1968 في أحداث مايو بباريس – واللقاءات الدولية الكثيرة في السنوات بين العامين – تشير إلى قوة اللحظة شبه القومية في الحركة الناشئة. يمكن أن نقول بصفة عامة: إن الماركسية اللاعقائدية المجددة التي طاردها هتلر حول العالم والتى وجدت طريق العودة إلى أوربا بعد إثرائها في تلك الأثناء بعناصر التحليل النفسي والنقد الثقافي والفلسفة الوجودية مارست قوة جذب كبيرة (كان لها تأثير السحر) على اليسار الجديد – الذي كان بصفة خاصة يسارً شبابيًا. كان العجوز هيربرت ماركيوز Herbert Marcuse يجسد تلك الجاذبية.

على خلاف عروض تفسير مدرسة فرانكفورت التي لم يكن يقرأوها خارج نطاق الدول المتحدثة بالألمانية سوى هواة النظريات، كان لكتابات ماركيوز والنظريات المشتقة منها قيمة كبيرة في التفاهم والتواصل العالمي بين الثوار. وعندما نبرر نشأة "أنا" ثورية مشابهة للمضطهدين في العالم الثالث في شكل سكان الغيتو السود المتمردين والطلاب المتمردين استنادًا إلى الولايات المتحدة الأمريكية بهيربرت ماركيوز وتلميذته المفضلة انجيلا دافيس Angela Davis – لماذا إذن لا يمكن على سبيل المثال أن تدعم أوربا حركات التحرر في أمريكا اللاتينية التي تعاطفت معها في تلك الأثناء أجزاء من الكنيسة الكاثوليكية؟ لماذا لم تنجح أوربا في نقل النضال المناهض للإمبريالية إلى القارات الأخرى؟ ما الذي منع الثوار في النهاية من القيام بثورة عالمية؟

في خضم أفكار عام 1968 كانت تلك الآراء بالتأكيد هي المثالية، لكنها أشعلت فتيل الثورات وألهبت حماس النواة الصلبة لنشطائها على الأقل. مما لاشك فيه أن تلك الأفكار

أثرت بشكل مختلف أكثر إقناعًا على غالبية المشاركين في الحركات الاحتجاجية في الغرب – واندرج تحتهم علي الأقل في فرنسا وإيطاليا أحيانًا العمال والحرفيون وطلاب المدارس. طريقة التعبير والهوية الفريدة من نوعها هما ما حمسا الناس بصفة خاصة: الكلمات الرنانة الصادقة والمشاعر العميقة والغضب الحقيقي التي لم يُعبر عنها في أي مكان أخر بمثل هذا النقاء سوى في الاحتجاج ضد الحرب في فيتنام. كما تحمس الناس كذلك بسبب الإمكانات التي تفجرت فجأة وبلا حدود عندما أثبت جيل جديد ذاته دفاعًا عن عالم أفضل.

يبقي أن نؤكد أن الاحتجاجات لم تطالب سوى بحياة أفضل.[12] طالبت بحرية المضطهدين وبمشاركة الجميع في المجتمع ومزيد من الديمقراطية. طالبت بـالتعبير عن تلك الأفكار بالألفاظ الواضحة المناهضة للسلطوية، طالبت بالتحرر والمشاركة والشفافية. أوجه التشابه مع عام 1848 التي تأملتها حنا أرندت في لحظة الثورة والتي نسعي إليها أحيانًا[13] حيث تجد فيها سببها وحدودها لأن ما لا يمكن أن نتهم به جيل 68 في الغرب في أحسن الأحوال وما تفتقده أطراف من المعارضة في الشرق هو حب الليبرالية.

لكن هل يعني هذا مثلما برر أدورنو مؤخرًا بصفة خاصة في ألمانيا الغربية بقسوة أكبر حينئذ أن حركة 68 كانت حركة شمولية؟ في هذا السؤال يبرز بوضوح عن أي مكان آخر التناقض بين تطرف المواقف الأيديولوجية المتمثلة في الثورة – يندرج تحت تلك المواقف تحديدًا الجهل بالجرائم الوحشية للثورة الثقافية الصينية – وبين نمط الحياة الخاص المباشر؛ حيث يسري هذا بالطبع على قناعة الثوار من الطلاب الذين طالبوا بالمزايا والحريات الأساسية للحياة الغربية حتى إن لم يطالبوا بكل سبل الراحة المادية. في هذا التناقض توجد نظرة غير المصدقين، نظرة المترددين – كما يوجد كذلك بعض من المواسين، لكن القليلين فقط من اتخذوا الأمر بجدية مثلما تبدو الكثير من الشعارات. الغموض والتعصب واللاعقلانية والحتمية – والشمولية كذلك بهذا المعنى – التي تنتمي إلى العقائد الرئيسة للثورات لم يكن هذا ما شجع الحركة الاحتجاجية ودفعها.

لـذا يقـع ضحيـة لسـوء فهـم تاريخـي مـن يعتقـد أن الطـلاب المتمرديـن ينقسـمون إلى فئـات مـن الزعـماء والتابعـين ويكتفـي بصفـة خاصـة في ألمانيـا بقياسـات واضحـة جـدًا عـلى مـا يبـدو.

بالطبع لا يجب أن نأخذ فكرة معاداة السلطة التي يتزعمها مناهضي السلطة في ظاهرها – فالإنسان الجديد كان قيد مرحلة التكوين بعد – لكن لا يمكن الخطأ في الحكم علي المشروع الذاتي لجيل جديد يدعمه التغير العام في القيم: الرغبة في حرية الاختيار والتحرر الأخلاقي والمطالبة بحق تقرير المصير وتحقيق الذات وأخيراً وليس آخرًا لحظة المرح والخيال في الكثير من الأشكال. على الرغم من المحاولة المستمرة، يمكن انتقاد جيل 68 بشدة بسبب مذهب المتعة إذا أردنا إثبات الشمولية والعكس صحيح.

الأرجح هو التصور بأن عام 68 يمثل حركة رومانسية أو بصياغة هيرمان لوبييس Hermann Lübbes الأكثر حزمًا انتكاسة سياسية رومانسية[14]؛ لأنه في الواقع يقوم المشروع المستقبلي الذي يؤمن به الثوار ومملكة الحرية التي يناضلون من أجلها على تصورات أقل تعقيدًا نوقشت أكثر من مرة بشأن وظيفة المجتمعات الحديثة والاقتصاد الوطنى: ديمقراطية المجالس على كل المستويات وفي كل المجالات، العمل المناسب، حياة وتعليم مستقلان، تربية مناهضة للسلطوية، عالم بلا عنف ودون التنازل عن الغرائز الفطرية.

لكن السخرية من تلك المثالية الساذجة في الخطب والكتابات تراعي وتبرز جانبًا واحدًا فقط، إلى جانب نقد المجتمع الذي لم يدرك أن المجتمع ليس له عنوان للحديث مع لوهمان ولذلك لا بد من توجيه كل المطالب إلى المنظمات[15]، كان هناك في كل مكان أيضًا علم يأخذ الأمور على محمل الجد ويتناول أسباب الحركة وينتج نظرية مجتمعية أكاديمية تشير بشكل جوهري إلى الأحداث التي وقعت حتى ذلك الحين. إذا كان العالم الغربي في فترة الستينيات يعكس ذاته بدرجة أكبر وكان في الوقت نفسه أكثر انفتاحًا في الثقافة اليومية ويشبه مطالبه الخاصة فإن الفضل في هذا يرجع إلى جيل 68. وهو ما يسري بصفة خاصة علي ألمانيا الغربية.

توازن ألماني اتحادي

إن الميل إلى اتهام الحركة الطلابية في ألمانيا الغربية بالتطرف والسذاجة، ظل الاتهام المعتاد بين منتقديهم المعاصرين واستمر لفترة طويلة بشكل يثير الدهشة. ونرى في هذا الاتهام نتيجة لنظرية الاستثناء الألمانية المقصود بها التنوير وكان تأثيرها في البداية تربوي، وتمتلك تلك النظرية في الجيل المتشكك محلليها الأقوياء.[16] إن الصراع بين جيل 45 وجيل 68 الذي بدأ منذ عام 1967 في مجال انتقاد الماضي قد دعم هذا الاتهام الذي تقاسمه أيضًا العديد من مدرسي الجامعات الأكبر سنًا العائدين من الهجرة. غير أن المقارنة الخاطفة تجعل التصور بأن الحركة الطلابية تخطو مجددًا طريقًا خاصًا أو تواصل ببساطة طريقًا ألمانيًا خاصًا لأمر نسبي. وهكذا كانت الثورة الفرنسية على سبيل المثال أقصر لكنها بالتأكيد ليست أقل عنفًا ومثالية. كما واجه طلاب إيطاليا اليساريون دولتهم بعداء يصعب تجاوزه وهكذا لم تكن رابطة الطلاب الاشتراكيين الأمريكيين في نهاية عام 1969 أقل تسممًا فكريًا في نزاعهم عن نظرائهم الألمان الذين يحملون الاسم نفسه.

ورغم هذا توجد بالطبع سمات مميزة لألمانيا الغربية ترتبط بشدة بالماضي الألماني الخاص. ورغم تصاعد الاحتجاجات هنا وهناك فإن الاستعداد العقلي للمجتمع فقط يصنع الفارق بين الموقف في ألمانيا الغربية المنتمية للرايخ الثالث (مثلما هو الوضع في النمسا وألمانيا الشرقية بطريقة خاصة لكل منهما) عن الوضع في الدول التي احتلتها ألمانيا النازية آنذاك. كانت عملية إعادة البناء في ألمانيا الغربية تحدث خلف إطار نفسي اجتماعي مغاير لما يحدث في المجتمعات الأوروبية التي شعرت بانتمائها إلى دائرة القوى المنتصرة في الحرب العالمية الثانية حتى لو في وقت لاحق. لم يكن جيل آباء 68 مشوهًا سياسيًا لهذه الدرجة وضعيفًا أخلاقيًا بهذا الشكل في أي مكان آخر مثلما كان في الديمقراطية الألمانية الثانية التي تحكمت قوات التحالف في بداياتها كما هو معروف وقرر مصيرها في البداية جيل أجداد أديناور وشوماخر.

تبدو كلمة ألكسندر ميتشيرليش Alexander Mitscherlich الرمزية عن "المجتمع اليتيم" الأنسب لوصف صورة التشخيص الذاتي للألمان الغربيين في بداية الستينيات.

ففي واقع الأمر لم يعبر المحلل النفسي في كتابه الشهير عن العلاقة بين النازية والحرب عن رأيه في الآباء الضعفاء والغائبين ليس فقط نفسيًا، بل واقعيًا أيضًا. لكن ميتشيرليش بدعوته إلى عملية ديمقراطية أصولية وتحرير الفرد وتحسين قوة الأنا، قدم الكلمات الرئيسية وكذلك بانتقاده للشخصية القومية الألمانية غير المستعدة بالقدر الكافي لمواجهة ادعاءات السلطة الكاذبة ومطالب الإذعان.[17]

كما يبين هذا المثال ما عُبِّر عنه بوضوح في الجدل الناشئ سريعًا حول قانون الطوارئ؛ ففي منتصف الستينيات انتشرت نظريًا وسياسيًا الكثير من الأفكار التي التقطها الشباب وأضفوا عليها طابعًا راديكاليًا. إن الارتباط الممكن بالماضي النازي يؤدي إلى دعم وتهويل الوعي بالمشاكل والأزمات حين يتعلق الأمر بالعيوب وأوجه القصور الألمانية النمطية الحقيقية أو الخيالية.

مما يتعلق أيضًا بالحركة الطلابية الألمانية يتمثل فيما يلي – لا يوجد موضوع لا يعود إلى الماضي وإلى السؤال عن استمراره في الوقت الحاضر أو على الأقل يمكن فهمه بهذه الطريقة. يرتبط الشك في استمرار تأثير الأخلاق النازية بشدة بكل استدعاء لاستمرار المجتمع والطليعة وعلي خلفية الجرائم ضد الإنسانية التي تعرض لها اليهود كان هذا الشك فكرة لا يمكن احتمالها في الواقع. ولذلك أيضًا تبقى خبرات الشارع محفورة في الذاكرة بطريقة ما بحيث يستطيع أحد متظاهري فرانكفورت وصفها بعد مرور أربعة عقود بوعي كامل لكل التدوينات منذ ذلك الحين؛ إن البغض الشديد الذي واجهنا من أرصفة المدن الكبرى وظهر في النصيحة المكتومة الموجهة إلى الشرق أو الأفضل إلى الغاز، يعزز أبشع الصفات في أعقاب الحركة الفكرية والبدنية المتقدمة إلى الأمام؛ لأنه الإحساس العكسي بأن تصبح دليلاً حيًا لعصر جامد والأسوأ أنه يعود إلى الخلف ويوشك أن يفترسنا على الفور، إن ملامح وجه المارة التي يكسوها الغضب والجنون لا تذكرنا فقط بوجوه أتباع النازية، بل يبدو أنها تمتزج بها.[18]

كان وجود هذا الارتباط بالماضي هو الذي يميز جيل 68 في ألمانيا ليس فقط عن أقرانهم الأنجلوسكسونيين، بل كذلك عن أقرانهم في الدول ذات الوضع المتناقض سياسيًا وأخلاقيًا نتيجة للحرب العالمية الثانية. ففي فرنسا أو هولندا دائمًا ما كانت المقاومة

تعارض المحتلين فيما يخص الالتزام بالمشاركة في قتل اليهود، وفي إيطاليا تتداخل ذكرى المرحلة النهائية للحرب مرحلة الأخوة الفاشيين مع الألمان. إن قتل اليهود الأوربيين في البيئة السياسية التاريخية لألمانيا مثل جبل ذنوب يشعر بضخامته الشباب بصفة خاصة. على الرغم من أن الأمر استغرق عقدًا من الزمن أو أكثر قبل أن يدخل مصطلح هولوكوست وفكرة الانهيار الحضاري إلى اللغة الألمانية، فقد كانت جريمة الآباء حاضرة دائما في الوعي الجمعي لجيل 68 وربما أكثر في أفكارهم. عندما يدعي بعض المتمردين آنذاك بعد مرور عشرات السنين امتلاكهم هوية إجرامية[19] فإن هذا يوضح المشاعر التي أصبحت مزمنة في بعض أبناء هذا الجيل، وتستخدم نقدًا للذات لفترة الستينيات، غير أن مثل هذا التشخيص أخطأ في تفسير الوضع المجتمعى آنذاك.

هذا الأمر الأخير يسري أيضًا على الادعاء المتناقض بأن حركة 68 الألمانية معادية للسامية.[20] بقدر ما كان هذا الادعاء موجه إلى جيل الاحتجاجات بأكمله. تجدر الإشارة مرة أخرى إلى دوافع الحركة المنتقدة للماضي؛ لهذا لا يمكن اعتبار الدوافع غير قابلة للتصديق؛ لأن النازية التاريخية – على خلاف العقلية المنسوبة إليها – تتوارى مع استمرار الثورات.

بلا شك لم يكن تعميم الاتهام بالفاشية الذي يفضله اليساريون المتشددون بغرض انتقاد الرأسمالية مبالغًا فيه للغاية، بل إنه يمثل كذلك استخفافًا بالرايخ الثالث. لكن الحركة لم تكن في جوهرها معادية للسامية ولا مناهضة لأمريكا بالمعنى الثقافي مثلما كان يقال عن اليمين الألماني أحيانا عن عام 1945. ما يسري بصفة خاصة على ذروة الحركة الدولية المناهضة لحرب فيتنام عندما ظهرت كل شرور انتقاد الفاشية في المعادلة سيئة السمعة "الولايات المتحدة الأمريكية= كتيبة العاصفة = وحدات النخبة النازية". لذلك يمكن أن نفهم بسهولة أن أطفال فترة الحرب وفترة ما بعد الحرب لديهم تعاطف تجاه ضحايا حرب القنابل الأمريكية في فيتنام. إن تفسير انتقادهم للولايات المتحدة الأمريكية بسبب حرب فيتنام باعتباره دفاعًا مقنعًا عن الذنب الألماني ربما يكون بعيدًا عن الحقيقة.[21]

هنـاك صعوبـة واضحـة في التعامـل مـع تلـك الافتراضـات بشـكل مناسـب. فغالبًـا مـا يطـرح

السؤال الكلاسيكي عن تمثيل بعض الأحداث والعناصر الفاعلة: ماذا نقول عن الحركة الطلابية عام 1967، 1968 عندما يتضح بعد مرور 36 عامًا من كان وراء الاعتداء الفاشل على مبنى الجالية اليهودية في برلين الغربية في التاسع من نوفمبر 1969؟ باسم من كان ديتر كونسلمان Dieter Kunzelmann يتصرف، وهو الذي كان في تلك الأثناء يُعد المحرض على الجريمة التي وقعت هناك في الذكرى السنوية لليلة البلور وكان يمكن أن تسفر عن العديد من الضحايا؟[22] هل كان ديتر كونسلمان وجماعته اليسارية المتشددة في غرب برلين التي تدربت قبل فترة قصيرة في أحد معسكرات الفلسطينيين بالأردن مؤيدين للتيار الرئيس للثورة؟ وهل نفهم فكرته الشاذة بشفاء اليسار الجديد بهذه الطريقة من المجمع اليهودي الخانع والمناصر للسامية كمؤشر على معاداتهم المستمرة للسامية؟[23] أم أنه من المعقول أكثر أن نرى طلائع الجيش الأحمر المرعبة ضمن قوات حرب العصابات التابعة لكونسلمان وعملياتها الإرهابية في المقام الأول[24] لكنهم ليسوا إنتاج الانهيار الأوحد الذي أفرزته حركة 68؟

من يدرس المناهضة العدوانية للصهيونية التي كرس جزء من اليساريين أنفسهم لها بعد نهاية المعارضة خارج البرلمان، يميل إلى التوافق مع جان أمري JeanAméry الناجي من معسكر النازية في أوسشفيتس واليساري الذي صرح في صيف 1969 بأن معاداة السامية لم تعد "اشتراكية الشباب الأغبياء" كما كانت سابقًا، بل جزءًا لا يتجزأ من الاشتراكية على أية حال".[25] في وقت حرب الستة أيام التي تزامنت مع مقتل بيننو أونيزورج Beno Ohnesorg وتسببت جريدة "بيلد" لصاحبها اشبرينجر في هتافات باسم كل الألمان الذين على دراية بالجيش، كانت إسرائيل ممثلة في حركة كيبوتس تقدم نموذجًا مدهشًا للاشتراكية الحية. فالطلاب اليساريون انخرطوا هناك منذ بداية الستينيات في إطار منظمة المصالحة وبالطبع كانت مجموعة الطلاب الإسرائيليين الألمان بجامعة برلين الحرة تنتمي إلى المنظمات التي خرجت في احتجاجات بعد الثاني من يونيو 1967.[26] ومنذ تركيز الرؤية عام 1970/1969 على وضع الفلسطينيين في المناطق المحتلة تغير هذا التكتل السياسي.[27]

عندئذ حاز تفسير ما على القبول لدى بعض اليساريين، لا سيما تفسير تأسس بالفعل في نظريتهم الفاشية وأدى إلى فهم قتل اليهود في أحسن الأحوال بوصفه نتيجة عرضية

وفي أسوأ الأحوال بوصفه نتيجة منطقية للمصالح النفعية الإجرامية للفاشية الناتجة عن الرأسمالية. من كان يؤمن بهذا فإنه لم يجد صعوبة في ربط سياسة الإبادة التي اتبعتها النازية بالسؤال عن الاعتبارات الاقتصادية الكامنة وراءها وتنحية كل الدوافع الأيديولوجية العنصرية جانبًا. من كان يؤمن بهذا فإنه لم يخطر بباله مدى التقارب بين معاداة الصهيونية ومعاداة السامية ولم يرى في الصهيونية سوى عنصرية موجهة ضد الفلسطينيين. الحقيقة القائلة بوجود طلاب يهود يساريين متطرفين - سواء في مدينة فرانكفورت أو في باريس - يمثلون تلك القناعات[28] جعلت من هذا الأمر محل شك. فكانت النتيجة تعريف واسع النطاق بالقضية الفلسطينية التي تتحرك منذ بداية الستينيات للتضامن مع الجبهة الوطنية لتحرير جنوب فيتنام (والتي عبر عنها الشباب الثوري بصفة خاصة في شكل خزانة ملابس ينقصها الثوب الفلسطيني).

بقي التصعيد الأيديولوجي المستمر من نصيب أقلية من اليساريين غير اليهود. كما دفعت تلك الأقلية بعضهم إلى الارهاب. ومع ذلك فإن الاستسلام السياسي والأخلاقي كما أدركه إرهاب الجيش الأحمر فقط[29] لم ينطبق على الثورة كلها؛ إذ يمثل عام 1968 أكثر من الطموح المثالي المدفون أسفل العنف الغاشم. كما أنه أكثر من قصة صعود وهبوط سلطة الطلاب. ولا يدع مجرد إلقاء نظرة سريعة على السنوات التالية مجالاً للشك في هذا.

ربما تبقى المكانة التاريخية لعام 1968 في تاريخ مجتمع ألمانيا الغربية لفترة طويلة في طي النسيان، ومن ثم تتضح بعض الأمور في تلك الأثناء، كانت الحركة النسائية الجديدة التي نتجت عن إفلاس رابطة الطلاب الألمانية الاشتراكية[30] الأكثر نجاحًا من الماويين والتروتسكيين وغيرهم من المجموعات اليسارية المتنافسة التي تكونت منذ عام 1970/1969 وهيمنت على الوسط الجامعي في العقد التالي بالتنافس والصراع الدائم مع الحزب الشيوعي الألماني ورابطته الطلابية الماركسية سبارتاكوس.

منذ لقاء الموفدين في فرانكفورت في سبتمبر 1968 "كمجلس نسائي" قادم وجدت مطالب تحرير المرأة التي أطلقتها اليساريات الشابات صدى بسرعة وبشكل مدهش. انطلاقاً من متاجر الأطفال المناهضة للاستبداد مرورًا بالمطالبة بتعليم المرأة وتوظيفها وصولاً إلى مسألة حرية اختيار الجنس والحق في الإجهاض (جسدي ملك لي فقط) -

اصطدم الكثير من تلك الأفكار بوسائل الإعلام الفضولية والمجتمع المنفتح. وانطبق هذا أيضًا على المطالب التحررية التالية لغيرها من المجموعات الاجتماعية والأقليات (المثليين جنسيًا، المعاقين، كبار السن وليس آخرًا مرضى الطب النفسي الذي كان يحتاج إلى إصلاح بصورة ملحة[31])، لكنه انطبق كذلك على البيئة الناشئة وفي نهاية السبعينيات على حركة السلام المتجددة التي امتدت إلى أجزاء كبيرة من الوسط الكنسي.

ربما كانت "الحركات الاجتماعية الجديدة" في البداية بلا استثناء محاطة بهالة من البدائل والثقافات الفرعية؛ فحقيقة أن الحركات الاجتماعية أصبحت موضوعًا لعلم اجتماعي تفسيري تعد مؤشرًا إضافيًا على أن تلك الحركات كان يقابلها في فترة الستينيات الرمادية مناخ إصلاحي معلن واستعداد للتغيير في السياسة والمجتمع. وهذا ما أمكن ملاحظته كذلك في الأوساط الأخلاقية الاجتماعية مثل وسط سكان الريف الكاثوليك أو وسط عمال الصناعة الديمقراطيين الاجتماعيين الذين كانوا حتى تلك الفترة محافظين، لكنهم في واقع الأمر اعتادوا في تلك الأثناء على الأدوار الاجتماعية والأنماط الحياتية الجديدة.[32]

الدليل على هذا شعار المعركة الانتخابية "ألمانيا الحديثة" الذي أعلنه الحزب الاشتراكي بقيادة فيلي برانت Willy Brandt ويقاس على هذا الشعار الائتلاف الليبرالي الاجتماعي منذ خريف 1969. فقد كان هذا الشعار بمثابة تعبير أنيق عن رسالة معقدة على ما يبدو. لقد نادت بهذا الشعار الحاجة إلى التمييز بين الائتلاف الليبرالي الاجتماعي وائتلاف آخر كبير يرجع الفضل في قوة تخطيطه وإصلاحه الكبيرة إلى الصناع الاشتراكيين. ومن ثم يفهم هذا الكلام رسالةً موجهة إلى الناخبين الشباب والناخبين لأول مرة الكثر كدعوة إلى المشاركة في الحزب الاشتراكي الذي تعرض لهجوم شديد من اليسار، وكذلك كدليل غير مباشر على التمييز عن تلك المعايير التي لا تطالب بها ديمقراطية أحدث فقط، بل ديمقراطية مختلفة.

حتى الآن يوجد خلاف عما إذا كانت استراتيجية الإدماج عام 1969 قد أتت بثمارها بصفة خاصة في انتخاب فيلى عام 1972.[33] من الواضح أن عددًا كبيرًا من المواطنين قد قبلوا الدعوة، عدد قليل منهم استمر في التمرد، في حين تعاطف العدد الأكبر مع المتمردين.

لم يمنح هذا الحزب الاشتراكي الديمقراطي من ناحية الفوز بمنصب المستشار للمرة الثانية والآلاف من الأعضاء الجدد فقط، بل كذلك عدد من القرارات الغريبة؛ من ناحية أخرى غيرت "المسيرة عبر المؤسسات" التي دعا إليها رودي دوتشكه Rudi Dutschke وشارك فيها عدد من رفاقه على الأقل الكثير مثل الحزب الشيوعي والمناخ السياسي للديمقراطية الألمانية الثانية.

كما يبدو أن حقيقة وجود ألمانيا الغربية في مرحلة تحول سريع في سنوات ما قبل الثورة قد ساعدت في انتشار الكثير من أفكار عام 1968 واستيعابها داخل المجتمع. من يعتقد أن الحركة الاحتجاجية قد فشلت تمامًا سياسيًا[34]، فقد يقصد بهذا النقد فقط الإلغاء الفاشل للديمقراطية البرلمانية التي لم تتحقق في الواقع في أي وقت ولا حتى في ذروة الإرهاب. تشير كل الأدلة إلى الدهشة من القدر الكبير من الاستعداد المتبادل لاستيعاب تلك الأفكار.

إذا أخذنا فقط ثلاثة مصطلحات كلاسيكية من حركة 1968 – التحرر، المشاركة، الشفافية - لتثبت لنا ظهور نمو في تلك المجالات خلال سنوات قليلة: المزيد من المساواة بين الأجناس والمزيد من الحقوق للفئات الاجتماعية المهمشة والمزيد من المشاركة في الأحزاب والنقابات والكنائس والروابط، مزيد من الانفتاح والالتزام بتبرير الإجراءات الإدارية للدولة والبلديات، والمزيد من الديمقراطية في الشرطة. إذا كانت ألمانيا الغربية قد أصبحت في الستينيات دولة للمبادرات الأهلية – ميزة مبادرة الرعوية على كرسي القيصر وفئران الحقل المهددة بالانقراض في الكثير من الممرات، لكن مع عيوب مؤقته لتدفق حركة المرور-، فهذا نتيجة لجيل 68.

لم تعجب عمليات التغيير السياسية والثقافية الكبيرة اليومية على مستوى العالم في أعقاب الثورة كل الأشخاص، كما أنه ليست كل ردود الأفعال في الإنذار من التشاؤم الثقافي الجديد تعد مؤشرات غير مباشرة لاختراق عمق المجتمع. لكن في عام 1968 تغير مظهر ألمانيا الغربية وجوهرها أمام النقد المحافظ الحاد؛ فالعامل ذو الشعر الطويل في القرية الواقعة بمنطقة شفابن الذي يدفع عربة الأطفال دون مرافقة شريكته لم يكن يشكل القاعدة العامة بالتأكيد، لكنه أمر ممكن حدوثه مثل موظف المكتب الشاب القادم

من مدينة صغيرة بولاية هيسسن الذي يقضي إجازته في إسبانيا دون رفقة؛ إذ لم يبدأ التغير المجتمعي الضروري لهذا الأمر بالتأكيد في لحظة الثورة – أين كانت مثل هذه الافتراضات؟ - ولكن أجواء الاحتجاجات والاضطرابات عام 1968 أسرعت من وتيرة هذا التغيير.[35]

لم يكن عام 1968 العام الذي غير كل شيء، فالعديد من الأمور كانت قد بدأت بالفعل، لكن بعد عام 1968 لم يتبق شيء على حاله كما كان من قبل. وبهذا المعنى كان عام 1968 حاضرًا في كل مكان.

هوامش

1 - Hannah Arendt/Karl Jaspers: تبادل الخطابات 1926 – 1969، الناشرين Lotte Köhler، Hans Saner، ميونيخ/ زيورخ 1985، صفحة 715.

2 - اقتباس عن Kraushaar، مدرسة فرانكفورت، المجلد الثاني، صفحة 671.

3 - مفاوضات البرلمان الألماني، الدورة السادسة، تقارير مختصرة بتاريخ 1969/10/20، صفحة 33.

4 - بهذا المعنى أيضا Judt، تاريخ ، صفحة 436.

5 - لقد اتبع Ingrid Gilcher-Holtey مصطلحات Bourdieu؛ قارن المرجع السابق، جيل 68، صفحة 72.

6 - Detlev Claussen: رقم 68 فى: Dietrich Harth/ Jan Assmann الناشرون: الثورة والأسطورة، فرانكفورت1992، صفحة 219 – 228، هنا صفحة 219.

7 - هكذا جاء العنوان الفرعى لـ 1968 ، Kraushaar.

8 - بهذا المعنى أيضًا نظرة عامة واضحة لـ 1968„ :Hans Günter Hockerts كحركة عالمية فى: -Schu bert، 1968، صفحة 14.

9 - قارن صحيفة die Zeit، بتاريخ 2004/12/02، صفحة 50.

10 - Hobsbawm، عصر، صفحة 324 – 362.

11 - بشكل واضح Judt، تاريخ، صفحة 437 – 441.

12 - كان يحفز بشكل معاصر Lutz Niethammer: تحالف دون مبدأ – احتجاج دون واقع في مجلة: 239 (1968) der Monat 20 ، صفحة 47 – 61.

13 - قارن Gilcher-Holtey: مايو 68، صفحة 14؛ Franz-Werner Kersting: إزالة غموض الأسطورة؟ الظروف الأولية واتجاهات تحديد الوضع التاريخي المجتمعي لحركة 68 في ألمانيا الغربية في مجلة: 1998(Westfälische Forschungen 48)، صفحة 1

14 - 1968 :Hermann Lübbe. تاريخ التأثير الألمانى على الانتكاس السياسي الرومانى: في المرجع السابق، السياسة بعد التنوير. مقالات فلسفية، ميونيخ 2001، صفحة 129 – 149.

15 - 1968 :Niklas Luhmann – و ماذا الآن؟ فى: المرجع السابق، الوسط الجامعى.KleineSchriften. الناشر Andre Kieserling. Bielefeld 1992، صفحة 152؛ اقتباس عند Gilcher-Holtey، مايو 68، صفحة 31.

16 - Paul Nolte: مؤرخو ألمانيا. نظرة على „جيل طويل" فى: 5 (1999) 53 Merkur، صفحة 413 – 432؛ مصطلح جيل 45 Dirk Moses: جيل 45. جيل بين الفاشية والديمقراطية فى: German politics 50 (1999) und Society 17، صفحة 94 – 126.

17 - قارن Tobias Freimüller: ألكسندر ميتشرليش. تشخيص المجتمع و التحليل النفسي بعد هتلر. 2007 Göttingen، صفحة 254 – 266، 429.

18 - Günter Franzen: إلى معسكر أوشفيتز. إشكال هوية جيل 68. في مجلة: Psy

6 (2006) che 60، صفحة 573 – 581، اقتباس صفحة 573. في الجزء المتبقي من المقال يناقش المؤلف تلك الذكرى وينتقدها ويخالف Wolfgang Leuschner: أطفال الحرب وعام 68 في مجلة Psyche 60 4 (2006)، صفحة 370 – 374.

19 - أيضا Franzen، المرجع السابق صفحة 575، نقلا عن Christian Schneider: الهولوكوست مشروع جيل.ملاحظات جيل حول إشكال الهوية الألمانية. فى: Mittelweg 36، الجزء 4 (2004)، صفحة 56 – 72.

20 - على سبيل المثال Götz Aly: انفجار الكراهية فى: Literarische Welt 16/07/2005، صفحة 7 ان جيل 68 في ألمانيا يشبهون آبائهم بطريقة بائسة. قارن أيضا Judt، تاريخ ، صفحة 470 الذي كان يرى أن الشباب الألمان من جيل الستينات مثل آبائهم متأثرين بالقضية اليهودية بشكل مزعج.

21 - في هذه النقطة غير مقنع: Judt، تاريخ، صفحة 470.

22 - قارن Wolfgang Kraushaar: القنبلة في مبنى الجالية اليهودية، هامبورج 2005.

23 - Kraushaar: المرجع السابق، صفحة 294.

24 - في هذا المعنى Gerd Koenen: إذا كنت تعرف يا راينر! لقد اتضح الآن أمر الاعتداء على مبنى الجالية اليهودية في التاسع من نوفمبر 1969. ماذا كان دور الدولة؟ في صحيفة Berliner Zeitung بتاريخ 2005/07/06، صفحة 27؛ المرجع بعنوان دعم الأصدقاء في صحيفة Frankfurter Rundschau بتاريخ 2005/07/19، قارن أيضا المرجع نفسه، العقد، صفحة 176 – 182.

25 - صحيفة Die Zeit بتاريخ 1969/07/25، قارن أيضا Jean Amery: اليسار

والصهيونية في مجلة (Tribüne 32 1969)، صفحة 3419 – 3422.

26 - HIS, Mappe، السياسة العامة، قتل بيننو أونزورج، برلين 1967.

27 - بهذا المعنى يتضح تحليل الذات لـ Joschka Fischer: السنوات الخضراء و الحمراء. السياسة الخارجية الألمانية – من كوسوفو حتى الحادى عشر من سبتمبر. كولن 2007، صفحة 410 – 414. على عكس اليساريين الآخرين قام بتطوير موقف أخلاقى تجاه الاضطهاد والظلم في السياسة في تناوله للماضي النازي. عند المطالبة بحقوق الفلسطينيين لم يشكك أحد أبدًا في حق وجود اليهود. قارن ملخص مختصر للحوار اليسارى النقدى للثمانينات (مع الإشارة إلى مراجع أخرى) Ingrid Strobl: الإرث الغامض. ملاحظات عن معاداة السامية في اليسار، في المرجع نفسه، مجال النسيان. المقاومة اليهودية ومواجهة الماضي الألمانى.1994 ،Berlin/ Amsterdam، صفحة 102 – 118.

28 - انظر السيرة الذاتية لـ Micha Brumlik: لا طريق كألمانى و يهودى. تجربة بألمانيا الغربية. ميونيخ 2000.

29 - بهذا المعنى أيضًا بالإشارة إلى مجتمع الميديا كشرط لإمكانية الإرهاب، Claussen, Chiffre، صفحة 225 (مثل ملحوظة رقم 6).

30 - قارن Schulz، النفس الطويل.

31 - قارن Franz-Werner Kersting (الناشر): إصلاح الصحة النفسية باعتباره إصلاحًا للمجتمع الرهن النازي وصحوة الستينات. بادربورن 2003.

32 - توجد العديد من الأمثلة على هذا في مجلة 1998(Westfälische Forschungen 48)

33 - نفى الحيوية الأصولية، الباحث في الأحزاب Franz Walter: جيل 68. التحول الليبرالي للجمهورية؟ في مجلة 1998(Universitas 53)، صفحة 957 – 961.

34 - الميل المتباين على تركيز النجاح المجتمعي إلى تحليل الذات قبل عقد من الزمن؛ قارن على سبيل المثال Daniel Cohn-Bendit: لا أعيش بشكل سيء كرمز، في صحيفة Tages-Anzeiger، بتاريخ 1998/06/04، صفحة رقم 2.

35 - بهذا المعنى الآن أيضا Stephan Malinowski/ Alexander Sedlmaier: 1968 كمحفز للمجتمع الاستهلاكى. انتهاك القواعد السلوكية، التكيف التجارى والتبديد المتبادل فى: Geschichte und Gesell-schaft 32)2006(، صفحة 238 – 267.

مكتبة الرافدين للكتب
الالكترونية
https://t.me/ahn1972